

### المظفر بن الفضل العلوي

الحمد لله الباهرة آياته، القاهرة سطاوته، القديم إحسانه، العظيم سلطانه، السابعة مواهبه، السابعة مشاربه،  
الواسع جوده، القامع وعيده، الجزيل حباؤه، الجميل بلاؤه، الجليل ثوابه، الويل عقابه، العزيز كتابه، الوجيز  
حسابه، لا تحيط به المشاهد، ولا يدركه المشاهد، ولا تحببه الحواجز، ولا يوصف بأنه عاجز. أرسل محمداً  
نبيّه، وصفوته وصفية، صادقاً بالحق، وصادقاً في النطق، وموضحاً جدّد الطرق وناصحاً لجميع الخلق. فقام  
وأعلام الهدى دارسة، ومعالم التقى طامسة، والجهالة جائلة، والضلالة شاملة، فصدع بما أمر، وصدع عما أنكر،  
وهدى الى الرشاد، وهد ما أسس الكفر وشاد. صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الظلم، ومفاتيح النعم،  
وشايب الحكيم، وجلايب الكرم، وعلى أصحابه المنتخبين، وأحزابه المنتخبين، صلاة دائمة الى يوم الدين.  
وبعد: فإني كنت بعض الأيام بمجلس مولانا صدر صدور الأنام، ملك وزراء الشرق والغرب، النافذة أمره في  
البعُد والقرب، مؤيد الدين رضي أمير المؤمنين أبي طالب محمد بن أحمد أيد الله دولته، وأيد كلمته، فلقد  
سجدت لأدابه جباه المناقب وقلبت أحامص هممه شفاه النجوم الثواقب.

همم محلقة على هام السها ... طلباً لمركز عنصير ونيجار  
ولكل شيء عنصير ياوي الى ... غايات مركزه بغير نفار  
فأدبه يفرج عن الفقر من أسر الأفكار، ومواهبه تستخرج الدرر من سر البحار، وأسواق الفضائل لديه قائمة  
على سوقها، وأيق الفواضل من بين يديه تساق بوسوقها، وعلوة خاطره لا تصل إليها غايات الطوق، وإذا  
قيس به سواه قيل: شب عمرو عن الطوق، داره بأرج الأدب دارين، ومحلّه بحلول البركة قمين.

دار تسيّل بما سيول فضائل ... وفواضل لمسائل أو سائل  
فالغدر مقبوض بما عن آمل ... والعلم مبسوط بما للجاهل  
وقد جرى حديث الشعر وصفاته، وتولج أبوابه وقذح صفاته، وما يجوز فيه ويمتنع منه، وذكر الفضيلة التي  
مدح بها والرذيلة التي ذم بسببها، والبحث عن منافعه ومضاره، ونقائه وأوضاره، وهل تعاطيه أصلح، أم تركه  
أوفر وأرجح. فكل من الحاضرين أتى بأغرب ما سمعه، وأعجب ما ابتدعه، وأطرف ما فهمه، وأطف ما علمه،  
فكان مع الإعذار فيه أخصر تعذير، وبعد الإسهاب ردي زروح وتقصير.

فأمر مولانا، وأمره مطاع، وخلافه لا يستطاع، أن أثبت له في ذلك أوراقاً، واستمطر من سحب خواطر  
المتقدمين أوراقاً، ولا أحوج فيه الى الاسترشاد بغيره، ولا الى الاستنساء بسواه. فبادرت الى اتباع مراده،  
وانتجاع مراده، " ولو شاء لكان زنده إذا استقدحه ورى، والصيد كل الصيد في جوف الفرا " .

وقد أجبت عن ذلك في خمسة فصول، عارية من الهدر والفضول، مائلاً الى الاختصار، وقائلاً بالاختصار. فإن  
الاستيعاب لما ورد فيه، وصنّف في معانيه، يحتاج الى تأليف كتب عدّة، وفراغ له في طويل من المدة، والوقت  
عن ذلك يضيق، والعلائق عنه تصد وتعوق.

وَأَقْسِمُ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ ... سِوَاكَ، وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ عِنْدَكَ مَدْفَعًا  
وقد وسمنا هذا الكتاب بنصرة الإغريض في نُصرة القريض إذ أصلناه على الانتصار للشعر والشعراء، ونصلناه  
لمناضلة المناظر والنظراء، ونرجو من الله تعالى أن نورد في فصوله، ونُرهِفَ من نصوله، ما يكون للعلّة نافعاً،  
وللعلّة نافعاً، وللحاسر من الأدب مُقنِعاً، وللناظر في معانيه مُقنِعاً، وإن كان ذروة قد فُرِعَتْ، وعُدْرَةٌ قد  
افْتُرِعَتْ، فنحن بعون القديم جلّ جلاله نجتهد أن لا نُقصرَ في ذلك الرهان، ولا نُستصعِرَ عن مواقف تلك  
الفرسان، ومنه سبحانه وتعالى نستمدُّ التوفيق ونستندُّ الطريق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الفصل الأول: في وصف الشعر وأحكامه، وبيان أحواله وأقسامه.

الفصل الثاني: فيما يجوز للشاعر استعماله وما لا يجوز، وما يدرك به صواب القول ويجوز.

الفصل الثالث: في فضل الشعر ومنافعه، وتأثيره في القلوب ومواقفه.

الفصل الرابع: في كشف ما مُدح به، ودُمَّ بسببه، وهل تعاطيه أصلح، أم رفضه أوفر وأرجح.

الفصل الخامس: فيما يجب أن يتوخاه الشاعر ويتجنبه ويطرّحه ويتطلبه.

## الفصل الأول

### في وصف الشعر وأحكامه

#### وبيان أحواله وأقسامه

أول ما أبدأ به في هذا الفصل فأقول إن اشتقاق لفظة الشعر من العلم والإدراك والفتنة تقول: لبت شعري هل  
أصاب صوب السماء منازل أسماء، أي لبت علمي. قال الشاعر - أنشده ابن الأعرابي:  
يا لبت شعري والمنى لا تنفع ... هل أغدو يوماً وأمري مُجمَعُ  
وتحت رخلي زفیان مِيلَعُ ... حرف إذا ما زجرت تبوعُ  
كأنها نائحة تفجع ... تبكي لميت وسواها الموجهُ  
زفیان: ناقة تزيّف في مشيها، وميلع: سريعة ناجية.  
وسمّي الشاعر شاعراً لعلمه وفطنته.

وأما كونهم سموا الشعر قريضاً فلأن اشتقاقه من القرص وهو القطع لأنه يُقرض من الكلام قرضاً، أي يقطع منه  
قطعة كما يُقرض الشيء بالقرض. قال الله تعالى: " وإذا عرّبت تقرضهم ذات الشمال " أي تجوزهم وتدعهم  
على أحد الجانبين. قال عبد العزيز بن حاتم بن النعمان ابن الأحمر، وكان يهاجي الفرزدق:

أنفي قدى الشعر عنه حين أقرضه ... فما بشعري من عيب ولا دام

كأنما أصطفي شعري وأغرّفه ... من موج بحر غزير زاحر طام

منه غرائب أمثال مشهورة ... ملمومة، إنما رصفي وإحكامي

وأما القصيد، وهو جمع قصيدة مثل سفين جمع سفينة، فإنما اشتقت لفظتها من القصدة وهي القطعة من الشيء  
إذا تكسرت كأنها قطعة من الكلام. ومن ذلك رُمح قصد وقد تقصد إذا صار قطعاً. قال المسيّب بن علس:

فَأُهْدَيْنَ مَعَ الرِّيحِ قَصِيدَةً ... مَنِ مُغْلَغَلَةً إِلَى الْقَعْقَاعِ  
 تَرِدُ الْمِيَاءَ فَلَا تَزَالُ غَرِيْبَةً ... فِي الْقَوْمِ بَيْنَ تَمَثُّلٍ وَسَمَاعٍ  
 وَأَمَّا تَسْمِيَتُهُمُ الْقَصِيدَةَ قَافِيَةً فَلَأَنَّ الْقَافِيَةَ تَقْفُو الْبَيْتَ أَي تَتَّبِعُهُ وَسَمَّوْا الْجَمِيْعَ بِاسْمِ وَاحِدٍ إِجْزَاءً وَابْتِصَارًا كَمَا  
 سَمَّوْا الْقَصِيدَةَ بِجَمَلَتِهَا كَلِمَةً، وَالْكَلِمَةُ اللَّفْظَةُ الْوَاحِدَةُ، مِيَالًا إِلَى ابْتِصَارِ الْكَلَامِ وَإِخْلَادًا إِلَى مَا يَدُلُّ فِيهِ عَلَى  
 التَّمَامِ. قَالَتْ الْخَنَسَاءُ:

وقافيةٍ مثل حدِّ السَّنَنِ ... تَبْقَى وَيَهْلِكُ مَنْ قَالَهَا

نَطَقَتْ ابْنَ عَمْرٍ وَفَسَّهَتْهَا ... وَلَمْ يَنْطِقِ النَّاسُ أَمْثَالَهَا

وَأَقُولُ: إِنَّ الشَّعْرَ عِبَارَةٌ عَنِ الْفَاطِ مَنظُومَةٌ تَدُلُّ عَلَى مَعَانٍ مَفْهُومَةٍ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: الشَّعْرُ عِبَارَةٌ عَنِ الْفَاطِ  
 مَنصُودَةٍ، تَدُلُّ عَلَى مَعَانٍ مَقْصُودَةٍ. فَإِذَا قِيسَ بِهِ النُّشْرُ كَانَ أَبْرَعَ مِنْهُ مَطَالِغٌ، وَأَنْصَعَ مَقَاطِعٌ، وَأَجْرَى عِنَانًا،  
 وَأَفْصَحَ لِسَانًا، وَأَشْرَدَ مَثَلًا، وَأَعْضَدَ مُنْصَلًّا، وَأَسَدَّ سِهَامًا، وَأَشَدَّ خِصَامًا، وَأَنْوَرَ نَجْمًا، وَأَزْهَرَ نَجْمًا، وَأَبْقَى  
 مِيَاسِمًا، وَأَنْقَى مَبَاسِمًا، وَأَذَكَى مَنَاسِمًا، وَأَزَكَّى مَعَالِمًا، وَأَرْشَقَ فِي الْأَسْمَاعِ، وَأَعْلَقَ بِالطَّبَّاعِ.  
 وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الشَّعْرُ مَا قَلَّ لَفْظُهُ، وَسَهَّلَ وَدَقَّ مَعْنَاهُ وَلَطَفَ، وَالَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ ظَنَنْتَ أَنَّكَ تَنَالَهُ، فَإِذَا حَاولته  
 وَجَدْتَهُ بَعِيدًا، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَهُوَ كَلَامٌ مَنظُومٌ. وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ: الشَّعْرُ عِبَارَةٌ عَنِ مَثَلٍ سَائِرٍ وَتَشْبِيهِ نَادِرٍ  
 وَاسْتِعَارَةٍ بِلَفْظٍ فَآخِرٍ.

وروى لي الغزنوي عن هبة الله المعروف بابن الشجري قال: حدثني أبو زكريا التبريزي قال: كنت أسأل المعري  
 عن شعر أقرؤه عليه فيقول لي: هذا نظم جيد. فإذا مرّ به بيتٌ جيدٌ قال يا أبا زكريا هذا هو الشعر.  
 وأما الشعرُ فيحتاجُ إلى آلات، وفيه ألقابٌ وله صفات. ونحن نذكرُ ذلك مجملًا، ونشرحه مفصّلًا، ولا نقصدُ  
 فيه الترتيب، إذ تقدّمُ فصلٌ على فصلٍ غير مفتقرٍ إلى التهذيب.  
 في الشعر:

١ - النحو ٢ - والبلاغة ٣ - والفصاحة ٤ - والحقيقة والجاز ٥ - والصنعة والمصنوع ٦ - وإقامة الوزن  
 ٧ - والقوافي ٨ - والألقاب وهي أ - الإشارة ب - والكناية وتسمى التتبع، ٩ - والموازنة وهي المماثلة  
 ١٠ - والتجنيس، ومنه الخض والمطلق وهو تجنيس اللفظ، والمغاير والمقارب، وتجنيس المعنى، والمُطْمَع والمُبدل  
 والمُختلِف، وتجنيس الخط ويسمى التصحيف، وتجنيس البعض، والمُتَمِّم، وتجنيس القوافي، والمماثل وفيه ١١ -  
 الطباق ١٢ - والتصدير وهو ردُّ أعجاز الكلام على صُدوره ١٣ - والالتفات ١٤ - والاستطراد ١٥ -  
 والتقسيم ١٦ - والتسهيم ١٧ - والترصيع ويسمى التفويف ١٨ - والترديد ١٩ - والمقابلة ٢٠ -  
 والاستثناء ٢١ - والإيغال ويسمى التبليغ ٢٢ - والاستعارة ٢٣ - والتشبيه ٢٤ - والحشو السديد في  
 المعنى المفيد ٢٥ - والمتابعة ٢٦ - والمُخْلِص ٢٧ - والتضمين وهو التسميط والتوشيح ٢٨ - وتجاهل  
 العارف ٢٩ - والماتنة وهي الإنفاد والإجازة ٣٠ - والسرقه وأقسامها المحموده والمذمومة ٣١ - والنقد.  
 وغير ذلك مما سُبِينُهُ ونوضِحُهُ، ونعيْنُهُ ونشرحُهُ على سبيل الاختصار دون الإكثار، لافتقار الإسهاب إلى زمانٍ  
 طويلٍ وعُمُرٍ مديدٍ وقولٍ بسيطٍ والله الموفقُ لجَدِّ الهدايةِ بمشيتِهِ وكرَمِهِ.

١ - فأما التَّحْوِ فَإِنَّهُ مِنْ شَرَايِطِ الْمُتَكَلِّمِ سِوَاءَ مَا كَانَ نَاطِقًا أَوْ نَاطِقًا أَوْ نَاطِقًا أَوْ نَاطِقًا، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَعْنِيَ عَنْهُ  
 إِلَّا الْأَخْرَسُ الَّذِي لَا يُفْصِحُ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ. وَكَانَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ يَقُولُ: إِنِّي لِأَجِدُ لِلْحَنِ فِي فَمِي سُهْوَكَ كَسُهْوَكَ

اللحم. وقال صلى الله عليه وسلم: " رحم الله امرأً أصلح من لسانه " وهذا حثٌ على تقويم اللسان وتأدب الإنسان. وقال عليٌّ رضي الله عنه: تعلموا النحو فإن بني إسرائيل كفروا بحرف واحد كان في الإنجيل الكريم مسطوراً وهو: أنا ولدتُ عيسى بتشديد اللام، فخففوه فكفروا. وما قد ورد في الحث على تعلم النحو وفي شرف فضيلته وجلالة صناعته، لو تعاطينا حكايته لاحتجنا فيه الى كتاب مفرد، إذ بمعرفته يُعقل عن الله عز وجل كتابه وما استوعاه من حكمته، واستودعه من آياته المبينة، وحججه المنيرة، وقرآنه الواضح ومواعظه الشافية، وبه يفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم آثاره المؤدية لأمره ونهيه وشرائعه وسننه، وبه يتسع المرء في منطقه، فإذا قال أفصح وإذا احتج أوضح، وإذا كتب أبلغ وإذا خطب أعجب.

ومعنى النحو انتحاء سُمِّيَ كلام العرب في تصرفه من إعراب وتننية وجمع وتكسير وتحقير وإضافة ونسب وغير ذلك. وهو في الأصل مصدرٌ شائعٌ من قولك نحوتُ نحواً، أي قصدتُ قصداً، ثم خُصَّ به انتحاء هذا النوع من العلم فصار كالمقصود عليه دون غيره كما أنَّ الفقه في الأصل مصدرٌ فقَّهْتُ الشيءَ أي عرفتُه. ثم خُصَّ به علم الشريعة من التحليل والتحريم، وكما أن بيتَ الله خُصَّ به الكعبة وإن كانت البيوت كلها لله تعالى. ونظائرُ ما كان شائعاً ثم قُصِرَ في جنسه على أحد أنواعه كثيرةٌ. وحكي عن أعرابيٍّ أنه قال إنك لتنظرون في نحوٍ كثيرةٍ فشبهها بعتو وهو قليلٌ في كلامهم. والوجه في مثل هذه الواو، إذا جاءت في جمع، الياء كقولهم في جمع حقو حُقِّي. وأول من نطق بالنحو عليٌّ رضي الله تعالى عنه والحكاية في ذلك معروفة، ولما وضح بمثاله المنهج، وأتضح بمقاله المستقيم والأعوج، تشعبت السبلُ فيه، واتسعت العُملُ في معانيه. والأصل ثلاثُ كلمات: اسمٌ وخبرٌ وأداةٌ تدلُّ على معنى. فالاسمُ كلُّ موصوفٍ من الخلق. والخلقُ ثلاثةُ أشياء: إما جسمٌ أو لونٌ أو فعلٌ. وأما الخبرُ فكلُّ ما أثبتَّ مجهولاً أو أقام وصفاً من اسمٍ أو غيره. إلا أن الكلمة التي خصصناها به الكلمة التي لا يقع لفظها إلا خبراً، وهي كلُّ كلمةٍ دلت على حدوث حركة مؤقتة، من نحو قولك فعلَ ويفعل، أو فعلَ أو يفعل. وأما ما كان يقع مرةً خبراً ومرةً مخبراً عنه، فكرهنا أن نسميه خبراً إذ لم تدُم حاله. وأما الأداة فكل ما عدا أن يكون اسماً أو خبراً. وهي كلمةٌ لا تقع وصفاً ولا موصوفاً. والكلمة التي سميناها خبراً هي في تسمية النحويين فعلٌ وذلك خطأ. لأن قولك فعلَ أو يفعلُ أو فعلٌ أو يفعلُ إنما هو إخبارٌ بحدوث الفعل ووقوعه، والإخبار بحدوث الشيء خلاف الشيء، ولو كان فعلٌ أو يفعلُ فعلاً، لأمكنك أن تصفه فتحمده أو تدممه كقولك نعم الفعل آمن وأصلح، وبئس الفعل كفر وأفسد. فهذه جملة تفسير الكلم الثلاث التي حصر بها عليٌّ رضي الله عنه الألفاظ وجمع بها المعاني، ولكل ضربٍ من هذه الثلاثة الأضرب، ضروبٌ مختلفةٌ وشعبٌ متفرقةٌ ومعانٍ متباينةٌ قد فرغ منها النحويون في كتبهم. وما أورده فعلية اعتراضاتٌ قد أجاب عنها أبو علي علي المنطق وكلامه حكيتُ، وعنه رويتُ.

والشعرُ فلا يسلم أديمه من النفل، ولا يصحُّ مريضه من العليل إلا بمعرفة النحو وامتداد الباع فيه، والوقوف على غامضه وخافيه، كما قال المحدث:

وإذا أردت من العلوم أجلاً... فأجلها منها مُقيم الألسن  
وفي هذه التبتة كفاية.

٢ - وأما البلاغة فهي الفصاحة. يقالُ بلغ الرجلُ بضم اللام فهو بليغٌ، ولا فرق بين البلاغة والبيان إلا في اللَّفْظ. وسئل بعضهم عن البلاغة فقال: كلامٌ وجيزٌ معناه إلى قلبك أقربُ من لفظه إلى سمعك. وقال جعفر بن

محمد الصادق رضي الله عنه: إنما سُمِّيَ البليغُ بليغاً لأنه يبلِّغُ حاجتَهُ بأهونِ سعيه. وقال ابن الأعرابي: قال  
المفضلُ الضبيُّ: سألتُ أعرابياً عن البلاغةِ فقال: الإيجازُ في غيرِ عجزٍ، والإطنابُ في غيرِ خطلٍ. وقيلَ للعتابي: ما  
البلاغةُ؟ فقال: مَنْ أفهمَكَ حاجتَهُ من غيرِ إعاقةٍ ولا حُسْبةٍ ولا استعانةٍ. وسئِلَ بعضُ الحكماءِ عن البلاغةِ فقال:  
مَنْ أخذَ معانيَ كثيرةً فأذاها بالفاظٍ قليلةٍ، وأخذَ معانيَ قليلةً فولدَ منها ألفاظاً كثيرةً فهو بليغٌ. وقيلَ: البلاغةُ ما  
كان من الكلامِ حسناً عند استماعه، موجزاً عند بديهته. وقيلَ: البلاغةُ لحةٌ دالةٌ على ما في الضمير. وقيلَ:  
البليغُ الذي يبلِّغُ ما يريدُ، أطالَ أم قصَّرَ. وقال بعضهم: البلغةُ تصحيحُ الأقسامِ، واختيارُ الكلام. وقيلَ: البلاغةُ  
معرفةُ الفصلِ من الوصلِ. وأقولُ أنا: إن تركيبَ ب ل غ معناه إدراك ما يحاوله الإنسان عن قوة، وتمكُّن من  
قدرة. فمن ذلك بلَغَتِ الأمرَ والغرضَ إذا وقفتَ على غايته، وأشرفتَ على نهايته، ولولا قوتك عليه لما وصلتَ  
إليه. ومن ذلك البلاغةُ، فإنك إذا وقفتَ على غاياتِ الكلامِ ونهاياتِ المعاني، دلَّ ذلك على قُدرتكِ في الأدبِ  
وتمكُّنك من لغةِ العرب. فإن أوجزتَ أو أسهبتَ كنتَ فيه بليغاً وكان ما أتيتَ به بلاغةً. ومن ذلك غ ل ب،  
فإن الغلبَ لا يكون إلا عن قوة وتمكُّن وقُدرة. ومن ذلك ل غ ب اللُّغوبُ هو التعبُ ولا يكون ذلك إلا عن  
دأبٍ وشدة حركة تدلُّ على قوَّةٍ وقدرةٍ على الحركاتِ وتمكُّنٍ من السعيِ العنيفِ في سائرِ الأوقات. ومن ذلك  
ب غ ل يقالُ بَعَلَ الفرسُ إذا سارَ بين العنقِ والهملجة، ومنه التبغيلُ وهو مشيٌّ سريعٌ فيه اختلافٌ ولا يكون  
ذلك إلا عن قوة وقدرةٍ على السعي.

ومن أعلى درجات البلاغةِ وأرفعِها في الكلامِ المنشور قوله تعالى: " وقيلَ يا أرضُ ابلعي ماءك ويا سماءُ أقلعي،  
وغيضِ الماءَ وقضيِ الأمرُ واستوتتْ على الجوديِّ وقيلَ بعداً للقومِ الظالمين " . وقوله تعالى: فاصدغ بما تؤمرُ).  
ومن البلاغةِ في الكلامِ المنظوم قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل .....  
.....

فإنه وقفَ واستوقفَ، وبكى واستبكى، وتغزلَ بذكرى الحبيبِ والمنزلِ في نصفِ بيتٍ. وقال طرفة:

ولستُ بجلالِ التَّلَاعِ مَخَافَةً ... ولكن متى يسترفِدِ القومُ أرْفِدَ

المعنى أكثر من اللفظ. يقولُ لستُ أحلُّ بالمواضعِ الخفيةِ مخافةَ القري، ولكني أحلُّ بالمواضعِ الظاهرةِ التي لا  
تخفى على الصَّيْفِ الطارقِ. فإذا استقرتُ قَرَيْتُ. فأوردَ كلاماً يدلُّ على نفيه عن نفسه نزولِ التَّلَاعِ خوفاً  
فقط. فلما ذكرَ في النصفِ الثاني الرُّفْدَ، دلَّ على أنَّ المخافةَ في القري، ولم يقابل اللفظَ بأن يقول: ولكن أحلُّ  
باليفاعِ بارزاً وأشجعُ، فاكتفى بمعرفةِ السامعِ وبما دلَّ الكلامُ عليه. وهذه بلاغةٌ ناصعةٌ.

٣ - وأما الفصاحةُ فإنَّ الكلامَ عليها يحتاجُ الى شرحٍ طويلٍ يخرجُ بنا عما نحنُ بصددِهِ والاقتصارُ عليه غير  
شافٍ ولا كافٍ. وقد استوفينا أقسامَ ذلك في الرسالةِ العلويةِ، وحدونا فيه حدواً عبد الله بن سنان الحفاجي في  
صدر كتابه الموسوم بسرِّ الفصاحةِ. والفصاحةُ مشتقةٌ من الكَشْفِ وارتفاعِ اللَّبْسِ. يقالُ أفصحَ اللبنُ إفصاحاً  
إذا ذهبَ اللَّبُّ عنه، وخلصَ اللبنُ منه. وأفصحَتِ الناقةُ فهي مُفصِّحٌ إذا انقطعَ لَبُّها وخلصَ لَبُّها. وفصحَ اللبنُ  
إذا كَشَفَتْ رُغْوَتَهُ عنه. قال الشاعر:

.....  
وتحت الرُّغْوَةِ اللَّبُّ الفصيحُ

وأفصحَ الصُّبحُ إذا انكشفَ وبدا. وكلُّ واضحٍ مُفصِّحٌ. وعلى ذلك فكلُّ ناطقٍ فصيحٌ، وما لا ينطقُ فهو أعجمٌ.  
فهذه بُدْءةٌ يسيرةٌ في هذا الموضوعِ كافيةٌ.

٤ - وأما الحقيقةُ والمجازُ، فإن الحقيقةَ ما أُقِرَّ على أصل وضعه في اللغة عند استعماله. والمجازُ ما كان بضدِّ ذلك. وقال علي بن عيسى الرُّماني: الحقيقةُ الدَّلالةُ على المعنى من غير جهة الاستعارة، والمجازُ تجاوزُ الأصلِ إلى الاستعارة. وإنما يُعدَّلُ عن الحقيقةِ إلى المجازِ لمعانٍ ثلاثةٍ وهي: الاتساعُ، والتوكيدُ، والتشبيهُ، فإن عُدِمَتْ هذه الأوصافُ كانت الحقيقةُ أولى بالاستعمال. قال الله تعالى: " وأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا " ، هذا مجازٌ وفيه الأوصافُ الثلاثة. أما السَّعةُ فإنه زادَ في أسماءِ الجهاتِ، واخُلَّ اسمٌ وهو الرَّحمةُ. وأما التشبيهُ فإنه شبهَ الرَّحمةَ، وإن لم يصحَّ دخولُها، بما يجوزُ دخوله، ولذلك وضعها موضعَه. وأما التوكيدُ فإنه أخبرَ عن العَرَضِ بما يُجَبِّرُ به عن الجوهرِ. وهذا تعالٍ بالعَرَضِ وتخييمٌ له، إذ صيِّرَ في حيزٍ ما يُشَاهَدُ ويُلمَسُ ويُعَايَنُ. ومن المجازِ في أشعارِ العربِ كثيرٌ لا يُحصى. فمنه قولُ الأول:

غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا ... غَلَقَتْ لَصِحْكَيْهِ رِقَابُ الْمَالِ  
وقال طَرْفَةٌ:

ووجَّهَ كأنَّ الشمسَ أَلَقَتْ رِداءَهَا ... عليه، نَقِيُّ اللَوْنِ لم يَتَخَدَّدِ  
جعل للشمسِ رداءً وهو جوهرٌ لأنه أبلغُ من النورِ الذي هو عَرَضٌ. وكلُّ ما كان من هذه الاستعاراتِ فإنه داخلٌ تحتِ المجازِ. وقال جلَّ جلالُه: " فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ". فبدأ في الآية بحقيقة الكلام، ثم جعل الجوابَ مجازاً واستعارةً لوقوعه أكد من الحقيقة. والمرادُ تشبيهه المُتَمَسِّكِ بشرائطِ الإيمانِ بالمتمسكِ بالُعُرْوَةِ الْوُثْقَى من عُرَى الحَبْلِ لأنه يستعصمُ بها من المزالِ المُزْلِقَةِ، والمهابطِ الموبِقَةِ. ثم قال تعالى: " لا انْفِصَامَ لَهَا " ، تبعيداً لها من شبهِ العُرَى المعهودَةِ التي ربما انفصمتْ على طولِ الجذبِ أو بَلِيَّتْ قواها على مرِّ الدَّهْرِ.

٥ - وأما الصَّنعةُ والمُصنوعُ، فإن الصَّنعةُ هي عبارةٌ عن الحوادثِ في المصنوعاتِ مثل الإصلاحِ والإفسادِ، والطولِ والقصرِ، والضخامةِ والنحافةِ، والحُضرةِ والحُمرةِ، والحركةِ والسكونِ، والأشياءِ التي يسميها المتكلمون الأعراضَ. وأما المصنوعاتُ فهي الأشياءُ التي تتعاقبُ عليها هذه الأعراضُ. فالصَّنعةُ والمصنوعاتُ مُخَدَّتَانِ. فمن المصنوعاتِ الحيوانُ الذي يصنعه اللهُ تعالَى، وصُورٌ في الجَماداتِ نفعُها نحنُ فالإشاراتُ التي في الصورِ من حَذقِ المصورينِ في أفعالهم فيها يُخَيَّلُ إليك أن بعضها ناطقٌ وإن كان لا ينطقُ، ومنها ما يُخَيَّلُ إليك أنه متحركٌ وهو ساكنٌ. فأنت تُسمي الجسمَ مصنوعاً على حقيقة اللغة، وتُسميه صَنعةً على الاتساعِ والمجازِ، ألا ترى أنك تقولُ هذا جسمٌ مصنوعٌ حسنٌ الصَّنعةِ، أو قبيحٌ الصَّنعةِ وكاملٌ الصَّنعةِ أو ناقصٌ الصَّنعةِ، وإن كان أصلُ اللفظينِ فيهما واحداً. وإنما قَدِمَتْ ذلك توطئةً لتعلم أن الصَّنعةَ في الشعرِ عبارةٌ عن النظمِ الذي خَلَصَ من النثرِ، وجمعُ أَشْتاتِهِ بعدَ التبدُّدِ والصدِّعِ. وأن المصنوعَ هو الشعرُ الذي عنصرُهُ الكلامُ المنشورُ. والمصنوعُ لا يُسمَى مصنوعاً حتى يخرُجَ من العدمِ إلى الوجودِ. فإذا كان موجوداً سُمِّيَ مصنوعاً مُشَاهَدَتَهُ والعلمُ بهِ، ثم يَعتورُهُ بعد ذلك النقدُ فيقالُ فيه كاملٌ وناقصٌ، وحسنٌ وقبيحٌ، وسقيمٌ وصحيحٌ، وجيدٌ وورديٌّ.

ورأيت قوماً من المُصنِّفينِ قد خلطوا الصَّنعةَ بالنقدِ والنقدَ بالصَّنعةِ ولم يفرقوا بين المصنوعِ والصَّنعةِ وهذا غلطٌ وشطَطٌ. ألا ترى أنه لا يجوزُ أن تقولَ في شعرٍ لم تسمعه ولم يتصل بك، جيدٌ وورديٌّ، حتى تقفَ عليه وتكرر النظرَ إليه؟ فقد عرفتَ بهذه الإشارةِ اللطيفةِ، والعبارةِ الخفيفةِ، ما الفرقُ بين المصنوعِ والصَّنعةِ وبين الصَّنعةِ والنقدِ، واللهُ الموفقُ.

٦ - وأما إقامة الوزن فهو عبارة عن ذوقٍ طبيعي حفظ فصوله من الزيادة والنقصان وعدلها تعديل القسطنطين بالميزان. ولو أن كل ناظم للشعر يفتقر في إقامة وزنه، وتصحيح كسره، وتعديل فصوله الى معرفة العروض، والقوافي، لما نظم الشعر إلا قليل من الناس. على أن الشاعر إذا عرفهما لم يستغن عنهما.

فأما العروض، وهي مؤنثة، فهي ميزان الشعر يُستخرجُ بها صحيحه من مكسوره. والشعر كله مركب من سبب، ووتدٍ وفاصلة والسبب سببان والوتد وتدان والفاصلة فاصلتان، وتقطيع الشعر على اللفظ دون الخط، وكل حرفٍ مشددٍ بحرفين: الأول ساكن، والثاني متحرك. والفرق بين الساكن والمتحرك أن الساكن تتعاقب عليه الحركات الثلاث، والمتحرك قد اختصَّ بإحداهن. والأمثلة التي يُقطعُ بها الشعرُ ثمانية: اثنان خماسيان وهما فعولن، فاعلن، وستة سباعية وهم: مفاعيلن، مُستفعلن، فاعلاتن، مُفاعِلتن، مُتفاعِلن، مفعولات، وما جاء بعد ذلك فهو زحافٌ له، أو فرعٌ عليه. والزحافُ جائزٌ كالأصل والكسر ممتنع، والزحاف لا يقع إلا في الأسباب، والحرم والقَطْع لا يقعان إلا في الأوتاد. والعروضُ اسمٌ لآخر جزء في النصف الأول من البيت، والضربُ اسمٌ لآخر جزء في النصف الآخر من البيت. وكل بيتٍ مَصْرَعٍ فعروضه على زنة ضربه أو ما يجوز في ضربه.

والنصريعُ مُشَبَّهٌ بمصرعي الباب، وإذا خلا البيت من النصريع سُمي المصمت. والشعرُ كله أربعٌ وثلاثون عروضا، وثلاثة وستون ضرباً وخمسة عشر بحراً، وشرح ذلك قد فرغ منه العروضيون في كتبهم، فاعرفه.

٧ - وأما القوافي، فإن القافية تختلف فيها: فعند أبي الحسن الأخفش ومن تابعه من المقيمين: أن القافية آخر كلمة في البيت. وقال: إنما سُميت قافيةً لأنها تقفو البيت. وعند النضر بن شميل ومؤرِّج وأبي عمر الجرمي، أنها النصف الأخير من البيت. وقيل بل هي البيت بكامله، وقيل بل القصيدة مجملتها. وعند الخليل بن أحمد: أن القافية من آخر البيت الى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن، وعلى قوله الاعتماد، فإن القول ما قالت حذام. والقافية تنقسم الى ثلاثة أشياء: أصول، وحروف، وحركات.

فالأصول: مُتكاوِسٌ، مُتراكِبٌ، مُتدارِكٌ، مُتواتِرٌ، مُترادِفٌ.

والحروف: الدخيلُ، والتأسيسُ، والرَّدْفُ، والخروجُ، والوصلُ، والرويُّ.

والحركات: التوجيهُ، والإشباعُ، والرَّسُّ، والحذوُ، والتفادُ، والمجرى.

ويعرَضُ في القافية عيوبٌ أربعة وهي: الإكفاء، والإقواء، والإيطاء، والسنادُ، والتضمين وهو أن البيت لا يتم إلا بالذي يليه وهو من عيوب الشعر المكروهة. وقد نُظِمَ هذا شعراً. قال الشاعر:

القوافي مُخَمَّساتٌ ثلاثٌ ... حركاتٌ وأحرفٌ وفَسادٌ  
فابتدأها رَسٌّ وحذوٌ وإشبا ... عٌ ومجرى، وفي التفادِ العنادُ  
والحروف: الرويُّ والرَّدْفُ والتأ ... سيسُ والوصلُ والخروجُ العِمادُ  
والعيوب: الإيطاءُ والإقواء والإك ... فا وفيها التضمينُ ثم السنادُ  
وقال الآخر:

حروفُ القوافي ستَّةٌ مُستبينَةٌ ... يُجمَعُ أشناتاً لهنَّ نظامُ  
رويٌّ ووصلٌ والخروجُ وردِفُها ... وتأسيسُها ثم الدخيلُ تمامُ  
ويلزمها من بعدِ ذا حركاتُها ... كذلك سِتُّ صاغهنَّ إمامُ  
فمَجْرَى وتوجيهٌ وحذوٌ ورشُّها ... وإشباعُها ثم التفادُ دِعَامُ

وجميع حروف المعجم تكون رويًا إلا الواو والياء والألف، الزوائد السواكن اللواتي تتبعن ما قبلهن، فإنهن لا يكن رويًا البتة، وألف التثنية وواو الجمع وياء ضمير المؤنث، لا يكن رويًا، والألف المبدلة من التنوين في نحو قولك رأيت زيدا لا يكون رويًا والنون الخفيفة نحو قولك اضربن، والهمزة المبدلة من ألف التانيث في الوقف نحو قولك هذه حبلاء، وهاء الوقف، وهاء الإضمار، وهاء التانيث، كل هذه لا تكون رويًا. فإن سكن ما قبل هذه الهاءات كن رويًا، والهاء الأصلية يجوز أن تكون رويًا، سكن ما قبلها أو تحرك، كقول رؤبة بن العجاج: قتلت أبيلى لي ولم أشبهه ... ما العيش إلا غفلة المدله لما رأيتني خلق المموه ... براق أصلاذ الجين الأجله بعد غدافي الشباب الأبله

وسمي حرف الروي رويًا لأنه من الرواء وهو الخيل الذي يشد على الأحمال والماع ليضمها. وروى في كلامهم للضم والجمع والانصال، وكذلك حرف الروي، تنضم وتجتمع إليه جميع حروف البيت. فالقوافي على ذلك خواتيم على عنوان الشعر جامعة لأطراف معانيه، قابضة على أزيمة مهاريه. ٨ - وأما الألقاب، فإنها تنقسم الى أقسام ولكل قسم منها باب، فمنها:

#### باب الإشارة

والإشارة من محاسن البديع، ومعناه اشتمال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة وإن كان بأذن ملح يستدل على ما أضمير من طويل الشرح كقول امرئ القيس: على هيكل يعطيك قبل سؤاله ... أفانين جري غير كنز ولا وان تأمل ما تحت لفظة أفانين، وما اقترن بها من جميع أصناف الجودة، ثم نفى عنه الكزازة والونى وهما أكبر معايب الخيل. وقال زهير:

فلو أني لقيتك واتجهنا ... لكان لكل منكرة كفيلاً  
فهذا لفظ قليل يدل على معنى كثير. وكما قال بعض الأعراب:  
جعلت يدي وشاحاً له ... وبعض الفوارس لا يعتنق  
قوله: جعلت يدي وشاحاً له، إشارة بديعة الى المعانقة بغير لفظها وهي دالة عليها.  
وقال الأعشى:

تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت ... كما استعان بريح عشرق زجل  
أشار بذلك الى دقة الخصر والرشاقة والهيء لأن حركة الوشح تدل على ذلك. فأما الخلاخل والأسورة والبرى، فإنها توصف بالصمت والخرس. وفي البيت إشارة أخرى الى شدة الحركة وهي قوله، كما استعان بريح عشرق زجل، وذلك أن العشرق وهو شجر شديد الحركة في ضعف النسيم، فكيف إذا استعان بريح. وقالت الخنساء:

يذكرني طلوع الشمس صحراً ... وأذكره لكل غروب شمس  
إشارة حسنة الى وقت الغارة، ووقت الميسر وإطعام الضيف.



وقال الفحيف:

أتاني بالعقيق دعاء كعب ... فحنّ التبع والأسلّ النهال

إشارة حسنة الى إغاثته بالجيش. وقال آخر:

وزيد مئت كمد الحبارى ... لأن طعت سكينته والرباب

إشارة حسنة الى شدة الهمّ وذلك أن الطير تجتمع في مواضع بعيدة من الأناسي فتطرح ريشها هناك وفيها الحبارى، ثم ترتعي الى أن ينبت ريشها، فإذا نبت ريش تلك الطير كلها تخلّف الحبارى عنها لأن ريشها بطيء الطلوع فينهض جميع الطير وتبقى الحبارى فيموت أكثرها كمدًا.

وأنشد ابن الأعرابي:

مَشِينَا فسوينا القبورَ بعاقِلٍ ... فقد حسنت بعد القبح قبورها

أي قتلنا بقتلانا فاستوى عدد قتلانا وقتلاهم. وهذه إشارة عجيبة لطيفة الى أخذ الثأر. وفي هذا الباب سعة وجهدنا أن نختصر.

وقريب من معنى الإشارة وإن تغايرت العبارة:

### باب الكناية

وربما سماها قوم التبع لأن الشاعر يقول معنى وبأني بلفظ تابع له، فإذا دلّ التابع أبان عن المتبوع. فمِنْ ذلك قوله تعالى: (وَبَلَّغْتَ القلوبُ الحناجرَ)، كناية عن شدة الأمر والحرب، ومعنى ذلك أن القلوب ارتفعت عن مواضعها فنشرت كأنها تريد الخروج عن الأجسام مفارقة لها. وقوله تعالى: (وما جعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام). في ضمن هذا الكلام كناية عن الشرب ولم يُذكر دلالة الأكل عليه، وكناية عن التجو والبول لأن من أكل احتاج أن يشرب، ومن أكل وشرب احتاج أن يتجو ويبول. وأنشد المبرد:

تقول وقد أبدى البكاء بعينه ... ندوباً: ألا داويت عينك بالكحل

فقد رأيت الكحل يشعل قدره ... من العين قدرًا لم يكن عنك في شغل

كناية عن أنه لا يجب أن يشعل عينه عن النظر إليها، لأن الزمان الذي يذهب في الاشتغال بالكحل لم يكن قبل الكحل مشغولاً بغير النظر إليها فهو يكره أن لا يكون على ما كان عليه من تلك الحال.

وقال بلعاء بن قيس الكِناني:

معي كل مسترخي الإزار كأنه ... إذا ما مشى في أخص الرجل ظالع

كناية عن الترف والنعمة. وقال المنهال:

إذا كان حرّ قدموني حرّه ... وإن كان برّد أخروني عن البرد

كنى عن الشر بالحرّ، وعن الخير بالبرد. وأنشدوا:

بالمّح يدرك ما يخشى تغييره ... فما دوا الملح إن حلت به الغير

كناية عن الأمر الذي يرجى لكشفه السلطان فيبتلى ذلك السلطان بأمر يشغله عن القيام بما يرجى له. وقال

النابعة الذبياني:

سِتَّةُ آبَاءِ هُمُ مَا هُمُ ... هُمُ خَيْرٌ مِنْ يَشْرَبُ مَاءَ الْعَمَامِ  
كناية عن أنهم خيرُ الناسِ كلِّهم لأنَّ الناسَ كلَّهم يشربون ماءَ العمام .  
وقال معقَرُ البارقِيّ:

وكلَّ طَرُوحٍ فِي الجِرَاءِ كَأَنَّهَا ... إِذَا اغْتَسَلْتَ بِالمَاءِ فَتَحَاءُ كَاسِرُ  
يصف فرساً شَبَّهَهَا، إِذَا عَرِقَتْ مِنَ الرِّكْضِ وَالتَّعَبِ، بِالعَقَابِ الكَاسِرِ وَهِيَ الفَتْحَاءُ، وَالتَّخُّ لِينٌ فِي الجَنَاحِ  
محمود .

وهذه كناية بالماء عن العرق وأراد أنها في هذه الحال التي يضعفُ فيها أمثالها هذه حالها، فكيف تكون في ابتداء  
جريها! والسابق إلى هذا المعنى امرؤ القيس حيث يقول:  
كأنها حينَ فاضَ الماءُ واحتفلتُ ... صقعاءُ لاحَ لها بالمرقبِ الذيبُ  
في هذا البيت زياداتٌ لم يصلِ بيتُ معقَرٍ إليها وهو قوله فاضَ الماءُ، والفائضُ أعظمُ مما يُغتَسَلُ به لأنَّ الاغتسالَ  
حصل من الفائض وزيادة وقوله احتفلتُ مبالغة في الجهدِ والتعب، وقولُه صقعاءُ لاحَ لها بالمرقبِ الذيبُ  
الصقعاءُ العُقَابُ في وجهها بياض، وإذا لاحَ لها الذئبُ كان أشدَّ لانقضاضها. وإذا كان انقضاضها من مرقب  
كان أشدَّ لانحدارها. وقال عمر بن أبي ربيعة:

بعيدةٌ مَهْوَى القُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ ... أَبُوهَا، وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ  
كنى بذلك عن طول الأعناق. ومثله قولُ حُمَيْدِ الأَرْقَطِ:

طوَالُ مَهْوَى تَوَمِ الأَقْرَاطِ

وقال عمرو بن قعاسٍ العُطَيْفِيُّ:

وسوداءُ المَاجِرِ إِلفِ صَخْرٍ ... تَلاحِظُنِي التَّرْقُبَ، قَد رَمَيْتُ  
كنى بذلك عن ظبية .

وحلمٍ لم يذُقْهُ النَّاسُ قَبْلِي ... أَكَلْتُ عَلَيَّ خِلاءٍ وَانْتَقَيْتُ  
قال الأَصمعي، وأبو عمرو الشيباني، وابن الأعرابي كنى بذلك عن لحم ولده، فإنه جاع فذبحه وأكله . وقال  
غيرهم كنى بذلك عن ملكٍ هجَاه ولم يهْجُ أَحَدٌ قَبْلَهُ، فَكَأَنَّهُ أَكَلَ لَحْمَهُ مَيْتاً .  
وماءٍ ليس من عِدِّ رَوَاءٍ ... وَلا مَاءِ السَّمَاءِ قَدِ اسْتَقَيْتُ  
كناية عن دموعه .

وجاريةٌ تَنَازَعُنِي رِدَائِي ... وَراءِ الحَيِّ لَيْسَ عَلَيَّ بَيْتُ  
كناية عن الريح .

ونارٍ أوقَدتُ من غيرِ زَنْدٍ ... أَثَرْتُ جَحِيمَهَا ثَمِ اصْطَلَيْتُ  
كناية عن الحرب .

وبيتٍ ليس من وَبْرٍ وشَعْرٍ ... عَلَيَّ ظَهَرَ المِطْيَةِ قَدِ بَنَيْتُ  
كنى عن بيت شعرٍ نَظَّمَهُ عَلَيَّ ظَهَرَ راحِلَتِهِ .

وقال ذو الرُّمَّة:

وحاملةٌ تَسعِينُ لَمْ تَلَقْ مِنْهُمُ ... عَلَيَّ مَوْطِنٍ إِلا أَخا ثِقَّةً صِفْراً



فَعُولُ فَعُولُ فَعُولُ فَعُولُ ... فَعُولُ فَعُولُ فَعُولُ فَعُولُ  
فخرج عن الشرط لانتقال فَعُولُ الى فَعُولُنْ، وكذلك لو تساوت الأجزاء وزاد في الكلمات أو نقص لبطل  
اشرط. كما قال الشاعر:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه الى ما تستطيع  
النصف الأول أكثر من الأخير بكلمة وأجزاؤه متساوية. تقطيعه: إذا لم تس تطعشيان فدعهو مفاعيلن مفاعيلن  
فَعُولُنْ وجاوزه الى ما تس تطيعو مفاعيلن مفاعيلن فَعُولُنْ وهذا مثال في هذا الباب مُقنِعٌ. ومنها:

### باب التجنيس

وهو أن يأتي الشاعرُ بكلمتين مُقترنتين متقاربتين في الوزن، غير متباعدتين في النظم، غير نافرتين عن الفهم،  
يتقبلهما السَّمْعُ، ولا ينبو عنهما الطبعُ. فإن زاد في التجنيس فنلتَ ذلكَ فساداً في الصنعة لأن الكلمتين  
تتقابلان وتنفردُ الأخرى بغير قرينة، وربما استحسن قومٌ من ذلك شيئاً لكثرة استعماله وأنس السَّمْعُ به، كقول  
الطائي:

سَلِّمْ عَلَى الرَّبِّعِ مِنْ سَلَمِي بذي سَلَمٍ  
فقوله: سَلِّمْ وَسَلِّمْ كلمتان متقابلتان، وانفردتُ لفظةً سَلَمِي بغير قرينة وإنما لأنس السَّمْعُ باسم سَلَمِي والسَّلَامِ  
والسَلِّمْ صار كأنه شيءٌ واحدٌ، ولو ربَّع لصحَّتْ المُقابلة، وإن ثقلت الألفاظ على السَّمْعِ والقلب، وعاد  
التكلفُ ظاهراً عليها. مثال التربيع أنه كان يقول:

سَلِّمْ سَلِّمْ عَلَى سَلَمِي بذي سَلَمٍ  
كما قال مسلم بن الوليد في صفة الخمر:  
سَلَّتْ وَسَلَّتْ ثُمَّ سَلَّ سَلِيلُهَا ... فَأَتَى سَلِيلُ سَلِيلِهَا مَسْلُولا  
يريد أنها سَلَّتْ من كرمها عنباً، ثم سَلَّتْ من عنبها خمرًا، ثم سَلَّتْ الخمرُ من دَنِّها. وقيل بل أراد رَقَّتْها وأنها قد  
صارت مسلوِّلةً من السَّلِّ الذي هو العلة. وليس على قُبْحِ هذا البيت زيادة. وقد كان الأصمعيّ يستبشعُ قولَ  
الشاعر:

فما للثوى، جدَّ الثوى، قطعَ الثوى ... كذاك الثوى قطعاً لوصالٍ  
ويقول: لو سلط الله على هذا البيت شاةً لأكلت نواه، وأراحت الناس منه. وأنشد إسحاق الموصلي الأصمعيّ  
قوله:

يا سرحة الماء قد سدت موارده ... أما إليك طريق غير مسدود  
لحائم حام حتى لا حيام به ... مُحالاً عن طريق الماء مطرود  
فقال الأصمعي: أحسنت في الشعر غير أن هذه الحاءات لو اجتمعت في آية الكرسي لعابتها. وروينا عن بعض  
المشايع أنه كان يقول: مثل التجنيس في البيت الخال الواحد في الخد، فإذا كثر انتقل من الاستحسان الى  
الاستقباح، وربما طمس محاسن الوجه. وفي بيت الطائي صنعة جيدة وهي ردُّ عروضه على صدره.  
والتجنس ينقسم الى أقسام، فمنه: أ - التجنيس المحض. ومعنى المحض الخالص وكأنه من أصل واحد في  
مسموع حروفه، وسُمِّي اللبن الحليب محضاً لأنه لم يخالطه الماء.

قال أبو حية البجلي:

يُعَدُّهَا لِلْعَدَى فِتْيَانٌ عَادِيَةٌ ... وَكُلُّ كَهْلٍ رَحِيبٍ الْبَاعِ صِهْمِيمٍ  
قَوْلُهُ: الْعَدَى وَعَادِيَةٌ تَجْنِيسٌ مُحْضٌ، وَقَوْلُهُ: يُعَدُّهَا لِلْعَدَى تَجْنِيسٌ مُشَابِهٌ. وَالصَّهْمِيمُ الَّذِي لَا يُثْنَى عَنْ مُرَادِهِ.

وقال مسكين بن نصر البجلي:

وَشَبَّهُ مَوْضِعَ الْأَخْلَاسِ مِنْهَا ... صَفَاةٌ مُعَبَّدٌ جَدَدُ الصَّفَاءِ  
الصفاء الصخرة الملساء، والصفاء الطريق الواضح. وقال أيضاً:  
فَقُلْتُ لَهُ طَالَ الْوُقُوفُ وَسَامَحَتْ ... قَرُونَةٌ مِنْ قَارَتَتْ وَالظَّلُّ آلِفُ  
وإن لقي التعماء لاقت بساكن ... كريم وزول إن ألم الجوارف

وقال الفرزدق:

وإن تميماً لم تكن أمه ابتغت ... له صححة في مهده بالتمائم

وقال عنتره:

كأنها يوم صدت ما تكلمنا ... ظبي بعسفان ساجي الطرف مطروف

وقال سديف:

بالصور المقدمات قديماً ... والرؤوس القماقم الرؤاس

دعموا الدين بالطعان فأضحى ... واضح التهج بعد ميل الأواسي

وقال يزيد بن جدعاء:

وهم صبحوا أخرى ضراراً ورهطه ... وهم تركوا المأموم وهو أميم

المأموم الذي يهدي من أم رأسه، والأميم حجر يشدخ به الرأس. وقال يزيد بن عبد المدان الحارثي:

أحالفتم جرماً علينا ضغينة ... عداوتكم في غير جرم ولا دم

كفانا إليكم حدنا وحديدنا ... وكف متى ما تطلب الوثر تنقم

جرم قبيلة، وقوله في غير جرم أي في غير ذنب وحدثنا يعني بأسنا مأخوذاً من حد السيف، وحديدنا أي قوتنا،

وكفانا وكفاً من باب التجنيس المغاير، وسيأتي ذكره.

وقال آخر:

بانت رميم وأمسى حبيلها رمماً ... وطاوعت بك من أغرى ومن صرماً

رميم اسم امرأة.

ومنه: ب - تجنيس اللفظ وربما سموه المطلق.

قال جرير:

حالات ذا سقم يرى لشيفائه ... ورداً ويمنع إن أراد وروداً

فيه جناس وطباق. وقال ذو الرمة:

تري القلوة الحقباء منها كفارك ... تصدى لعينيها فصدت حليلها

حليلها فاعل، تصدى وصدت تجنيس باللفظ مطابق بالمعنى لأن التصدي خلاف الصدود.

وقال الأفوه الأودي:

وأقطعُ الهَوَجَلَ مُستأنساً ... بِهَوَجَلٍ عَيْرَانَةٍ عَنترِيسِ  
الهَوَجَلِ البرِّيَّةِ الواسعةِ، والهَوَجَلِ الناقَةُ السريعةِ.

وقال النابغة:

وأقطعُ الحَرَقَ بالحَرَقاءِ قد جعلتُ ... بعدَ الكلالِ تشكى الأينَ والسأما

وقال مسكين الدارمي:

وأقطعُ الحَرَقَ بالحَرَقاءِ لاهيةً ... إذا الكواكبُ كانت في الدَّجى سُرجاً  
الحَرَقُ البرِّيَّةُ العظيمةُ والحَرَقاءُ الناقَةُ التي تتخرقُ في الجري.

وقال القطامي:

صريعُ غوانٍ راقهنَّ ورُقنهُ ... لدُنْ شَبَّ حتى شابَ سوُدُ الذَّوائبِ

فشبَّ، شابَ، تجنيسُ لفظ، وهو طباقٌ لأهمما صِدانٍ من الشَّبابِ والشَّيبِ. وقال عليُّ بنُ جبلة:

ورَدَّ البيضَ والبيضَ ... الى الأعمادِ والحُجُبِ

يقول: كفا الحربِ بمبيتهِ وصانَ النسوانَ بسطوتهِ. وهذا بيتٌ حسنٌ المقابلةِ لأنَّ البيضَ الأولى هي السيوفُ، فبدأ  
في المصراع الثاني بذكرِ الأعمادِ، والبيضُ الثانية هي النساءُ فأختر ما يتعلق بهنَّ وهي الحُجُبِ.

وقال ابن أحمر:

لبسنا حِبرَهُ حتى أفتضينا ... بأعمالِ وآجالِ قُضينا

قيل فيه الاقتضاء طلباً، والقضاء أداء. فاللفظُ تجنيس، والمعنى تطبيقٌ. ويجوز أن يكون قضين قُدْرانَ وعُلمنَ،  
فيكون تجنيساً لفظياً فقط، وهو عندي أمثل من الأوَّل.

وقال الفحيف:

وكيف ولا يجري غرابٌ بغرْبَةٍ ... ولا تُذكرُ الألافُ إلا تَبَدُّدا

وقال أسماءُ بنُ خارجة:

إني لسائلُ كلِّ ذي طِبِّ ... ما ذا دواءُ صبايةِ الصبِّ

وقال أيضاً:

إذ ليسَ غيرُ مناصِلٍ نعصا بها ... ورحالنا وركائبِ الركبِ

وقال الفحيف:

حياً وحياةً ما تُصُرُّ جنودُهُ ... بريناً وتختصُّ الأثيمَ المعتلا

وقال سعدُ بنُ العُرَيْرِ الأنصاري:

أحرُّ هجاناً أم هجينٌ مُعلَهجٌ ... تُعادي الشروبَ أمه وُتراوحُ

وقال أبو جلدة:

وتجنيتُمُ الذُّنوبَ ضلالاً ... وبكيتُمُ للظالمِ المظلومِ

الظالمِ ضد المظلومِ وهما مُشتقانِ من الظلمِ تجنيسٌ وطباقٌ.

وقال القطامي:

وعليكِ أسماءُ بنَ خارجةَ الذي ... عِلْمَ الفَعَالِ وعِلْمَ الفِتْيَانِ

عَلِمَ وَعَلِمَ تَجْنِيسٌ بِاللَّفْظِ مُطَابِقٌ مِنْ أَجْلِ أَنَّ عَلِمَ قَبُولُ شَيْءٍ وَعَلِمَ بِذُلِّهِ، وَالْبَدَلُ ضِدُّ الْقَبُولِ لِأَنَّ هَذَا أَخَذَ وَهَذَا أُعْطِيَ. وَقَالَ عُقَالُ بْنُ هَاشِمِ الْقَيْبِيِّ:

فَجَهْدُ النَّاسِ غَيْرُ بِنِي عَلِيٍّ ... عَلِيٌّ إِذَا رَمَى الصَّرْمَ الشَّرَارَا

ومنه: ج - التجنيسُ المغايرُ: وهو أن يأتي الشاعرُ بكلمتين: إحداهما اسمٌ والأخرى فعلٌ، كقوله تعالى: " وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ " ، وكقوله تعالى: " إني وجهتُ وجهي " وقوله تعالى: " أَزِفَتِ الآزِفَةُ " ، وقوله تعالى: " أنا آتيك به قبلَ أن تقومَ من مقامِكَ " ، وقوله تعالى: " فلا تُقيمُ لهم يومَ القيامةِ وزناً " ، وقوله تعالى: " وإذا أنعمنا على الإنسانِ أعرضَ ونأى بجانبه وإذا مسه الشرُّ فذو دعاءٍ عريضٍ " . فأعرضَ وعريضٌ تجنيسٌ مُغايرٌ. وهذا التجنيسُ يستحسنه أهلُ البديعِ في الشعرِ وهو كثيرٌ جداً، وإنما نذكرُ منه طرفاً يسيراً للتأنسِ به والاستراحةِ إليه. وقال امرؤ القيس:

لقد طمَحَ الطَّمَاحُ مِنْ بَعْدِ أَرْضِهِ ... لِيُلبِسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلَبَّسَا  
وقال الشَّنْفَرِيُّ:

فَبِتْنَا كَأَنَّ البَيْتَ حُجْرًا فَوْقَنَا ... بَرِيحَانَةٌ رِيحَتْ عِشَاءً وَطَلَّتْ  
وقال الأقرعُ بنُ مُعَاذٍ:

وَأَنْتَ رَهِيئُهُنَّ وَكُلُّ حَيٍّ ... إِلَى أَجْلِ سَتَشَعْبُهُ شَعُوبُ  
شَعُوبٌ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ المِئِيَّةِ. وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ:

كَأَنَّ البَرَى وَالعَاجَ عَيِجَتِ مُتَوْنُهُ ... عَلَى عَشْرِ نَهْيٍ بِهِ السَّيْلُ أَبْطَحُ  
وقال عمرو بن خالد التَّغْلِبِيُّ:

لِحَقُوا عَلَيَّ لِحَقِي الأَيَّاطِلِ كَالقَنَا ... قُودٍ تُعَدُّ لِكُلِّ يَوْمٍ غَوَارِ  
وقال عقابُ بنُ هَاشِمِ القَيْبِيِّ:

الشَّيْبُ يَنْهَى مَنْ يَكُونُ لَهُ نَهْيٌ ... وَالجِلْمُ يَزْجُرُ جَهْلَهُ فَيُوقِرُ  
وقال أيضاً:

حَوْرَاءُ مِثْلُ مَهَابَةٍ وَحَشٍ صَارَهَا ... بِمَكَانِ الصَّيرَانِ طِفْلٌ أَحْوَرُ  
صَارَهَا أَمَالَهَا، صُرْتُ الشَّيْءَ أَصُورُهُ، وَأَصْرَتُهُ أَمْلَتُهُ، وَالاسْمُ الصَّوْرُ. وَالصَّيرَانُ بَقَرُ الوَحْشِ. وَقَالَ العَرَجِيُّ:  
وَأَسْرِي إِذَا مَا ذُو الهَوَى هَالَهُ السُّرَى ... وَأَعْمِلُ لَيْلَ النَاجِيَاتِ العَوَامِلِ  
وقال دُرَيْدُ بنُ الصَّمَّةِ:

أُقَدِّمُ العُودَ قُدَّامِي فَاتَّبِعُهُ ... وَقَدْ أَرَانِي وَلَا يَمْشِي بِي العُودُ  
وقال الآخَرُ:

جَرَى الخِيُولِ ابْنُ لَيْلَى وَهِيَ سَاهِمَةٌ ... حَتَّى أَعْرَنَ مَعَ الظُّلْمَاءِ إِذْ ظَلِمَا  
وقال الآخَرُ وهو من بني عبس:

أَبْلَغُ لَدَيْكَ أبا سَعْدٍ مُعْلَعَةً ... أَنَّ الَّذِي بَيْنَنَا قَدْ مَاتَ أَوْ دَنَفَا  
وَذَلِكُمْ أَنَّ ذُلَّ الجَارِ حَالِكُكُمْ ... وَأَنَّ أَفْئَكُمْ لَا تَأْنَفُ الأَنْفَا  
وقال آخَرُ:

وقد باكرتنا أم بكر تلوئنا ... وليس علينا اللوم فيه كبير  
وأنشده ثعلب عن عما بن أبي تمام الأعرابي:  
تَفَقَّعَسَ حَتَّى فَاتَهُ الْمَجْدُ فَفَعَّسَ ... وَأَعْيَا بَنُو عَيْيَا وَضَلَّ الْمُضَلَّلُ  
هذه قبائل. ومنه:

التجنيسُ المقارب

ومعناه أنه يقاربُ التجنيسَ وليس بتجنيس، كما قال محمد بن عبد الملك الأَسدي:

ردَّ الخليطُ أيناغاً وجمالا ... وأرادَ جيرتُك العداةَ زيالا  
ردَّ وأرادَ يُشبههُ التجنيسُ للتقاربِ وليسَ بتجنيس.

وقال القطامي:

كأنَّ الناسَ كلُّهمُ لأمٍّ ... ونحنُ لعلَّةٍ علَّتِ ارتفاعا

وقال الأعرابي:

أخو شقَّةٍ يشتاغهُ المجدُ فُرصةً ... الى أهلهِ أو ذمةً ليس تُخفَرُ  
وقال أبو قيس بن الأسلت:

أعددتُ للأعداءِ فُضفاضةً ... مَوْضوئَةً كالتَّهْيِ بالقاعِ  
ومثله قولُ قيس بن زهير:

يُعدُّونَ للأعداءِ كُلَّ طِمْرَةٍ ... وأجرَدَ محبوكِ الخصائلِ صلِّمِ  
وقال لبيد:

لو كان غيري، سُلَيْمِي، اليومَ غَيْرُهُ ... وقعَ الحوادثِ إلا الصَّارِمُ الذَّكْرُ

سُلَيْمِي، اسم امرأة وهو مُنادَى، ومعناه: لو كان غيري، غير الصارم الذكر، غَيْرُهُ وقعَ الحوادثِ. فرفع الصارمَ  
الذَّكْرَ على الصِّفَةِ. كما قيل:

وكلُّ أخٍ مُفارقُهُ أخوهُ ... لعمْرُ أبيك، إلا الفَرَقْدانِ

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان:

تلافيت عشرته بعد ما ... تماي الموالي على قتله

وقال كعب الأشقري:

ودرنا كما دارت على قُطبها الرِّحَا ... ودرت على هامِ الرجالِ الصفائحُ

وقال زهير بن أبي سلمى:

كأنَّ عيني وقد سالَ السَّلِيلُ بِهمُ ... وجيرة ما همُ لو أنَّهمُ أممُ

هذا البيت أدخله ابن المعتز في الجَنَسِ المَحْضِ. وأنا ما رأيته من ذلك الباب لأن السَّلِيلَ من الانسلاهِ وهو  
الخروج من الشيء، كما تقول انسلَّ الرجلُ من ثوبه إذا خرج منه، وسالَ الماءُ يسيلُ من السيلان وهو الجُرَي،  
ومنه السَّلِيلُ وهو الماءُ المُتدافع. وهذا التجنيسُ متقاربٌ متشابهٌ غير محضٍ. وابن قدامة تبع ابن المعتز في ذلك.

وقال ركاضُ الأَسدي:



رَأَتْكَ تُسِيرُ الْعَيْرَ فِي سَوْرَةِ الضُّحَى ... إِلَيْهَا فَقَالَتْ سَمِعُ أُذُنِي قَائِلُهُ  
تَسِيرُ وَسَوْرَةَ مُقَارِبٍ لِلتَّجْنِيسِ وَمِنْهُ:

### تجنيس المعنى

وهو أن يأتي الشياعر بألفاظٍ يدلّ معناها على الجناس وإن لم يذكره. قال الشاعر يمدح المهلب:  
حَدَا بِأَبِي أُمَّ الرِّيَالِ فَأَجْفَلْتُ ... نَعَامْتُهُ مِنْ عَارِضٍ يَنْهَلِبُ  
يَذْكُرُ فِعْلَ الْمَهْلَبِ بِقَطْرِي بْنِ الْفُجَاءَةِ، وَكَانَ قَطْرِي يَلْقَبُ أَبَا نَعَامَةَ فَأَرَادَ أَنْ يَقُولَ: حَدَا بِأَبِي نَعَامَةَ فَأَجْفَلْتُ  
نَعَامْتُهُ أَي رَوْحُهُ فَلَمْ يَسْتَقِمْ لَهُ فَقَالَ بِأَبِي أُمَّ الرِّيَالِ النِّعَامَةَ، وَهُوَ جَمْعُ رَأَلٍ. وَقَالَ حُرَيْثُ بْنُ مُحَقِّصِ الْمَازِنِيِّ:  
فَإِنْ يَأْتِنَا يَرْجِعُ سُوَيْدٌ وَوَجْهَهُ ... عَلَيْهِ حَبَابَا غُبْرَةٍ وَقَتْنَامِ  
أَرَادَ أَنْ يَقُولَ: سَوَادٌ فَلَمْ يَمِكُنْهُ فَقَالَ غُبْرَةً وَقَتْنَامِ، وَهُمَا أَسْوَدَانِ. وَقَالَ الشَّمَاخُ:  
وَمَا أَرَوَى وَإِنْ كَرُمْتَ عَلَيْنَا ... بِأَدْنَى مِنْ مَوْقِفَةِ حَرُونَ  
وَيُرْوَى حَزُونَ أَي هِيَ بِالْحَزَنِ مِنَ الْأَرْضِ وَهُوَ مَا غَلِظَ وَارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ، وَأَرَوَى امْرَأَةً، وَالْمَوْقِفَةُ الْحَرُونَ  
أَرَوَى مِنَ الْوَحْشِ وَبِهَا سُمِّيَتِ الْمَرْأَةُ، فَلَمْ يَمِكُنْهُ أَنْ يَأْتِيَ بِاسْمِهَا فَآتَى بِصِفَتِهَا كَأَنَّهُ قَالَ: وَمَا أَرَوَى هَذِهِ بِأَدْنَى مِنْ  
أَرَوِيَّةِ الْوَحْشِ. وَقَالَ الْكَنْدِيُّ:

قَوْلًا لِدُودَانَ عَبِيدِ الْعَصَا ... مَا غَرَّكُمُ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ  
دُودَانَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، يُقَالُ لَهُمْ عَبِيدُ الْعَصَا فَكَأَنَّهُ أَرَادَ قَوْلًا لِبَنِي أَسَدٍ، مَا غَرَّكُمُ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ. وَقَالَ الْمَطْرُودُ  
الْحُرَّاعِي:

الضَّارِبِينَ الْكَبْشَ يَبْرُقُ يَبْرُقُ يَبْرُقُ ... وَالْمَانِعِينَ الْبَيْضَ بِالْأَسْيَافِ  
هَذَا الْبَيْتُ فِيهِ عِدَّةٌ وَجُوهٌ: مِنْهَا التَّلْمِيْعُ وَهُوَ الضَّارِبِينَ وَالْمَانِعِينَ، وَمِنْهَا تَجْنِيسُ اللَّفْظِ وَهُوَ الْبَيْضُ وَالْبَيْضُ،  
وَتَجْنِيسُ الْمَعْنَى وَهُوَ الْبَيْضُ يَعْنِي النِّسَاءَ، وَالْأَسْيَافُ جَمْعُ سَيْفٍ فِي الْقَلْبَةِ، وَالْأَسْيَافُ الْبَيْضُ. فَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ:  
وَالْمَانِعِينَ الْبَيْضَ بِالْبَيْضِ فَلَمْ يَسْتَوِ لَهُ فَقَالَ: وَالْمَانِعِينَ الْبَيْضَ بِالْأَسْيَافِ. وَمِنْهُ:  
الْمُجْتَنِسُ الْمُطْمَعِ

وهو أن يأتي الشاعر بكلمة ثم يبدأ في أحتتها على وفق حروفها فيطمع في أنه يجيء بمثلها فيبدل في آخرها حرفاً  
بحرف، وهو حسنٌ في التجنيس. قال الخطيب:  
مطاعين في الهيجا مطاعيم في الدجى ... بنى لهم آباؤهم وبنى الجدُّ  
وقال مُزَرَّدُ:

تُراوِحُ سَلْمَى دَارَهَا كُلَّ رَعْلَةٍ ... غَرَّابِيبُ كَالْهِنْدِ الْحَوَافِي الْحَوَافِدِ  
وقال أبو كَدْرَاءَ الْعَجْلِي:

نَهَضْتُ إِلَى حَدِيدٍ مَشْرَفِي ... حَدِيثِ الصَّقْلِ مَأْتُورِ حُسْلِمِ  
وقال الْحَطِيمُ الْحَرْزِيُّ:

لِيَالِي شَهْرٍ مَا أَعْرَسُ سَاعَةً ... وَأَيَّامَ شَهْرٍ مَا أَعْرَجُ دَائِبِ  
أَطْمَعُ أَنَّهُ يُجْنَسُ أَعْرَسُ فَقَالَ أَعْرَجُ فَأَبْدَلَ الْجِيمَ مِنَ السَّيْنِ. فَاللفظ تجنيسٌ مُطْمَعٌ، وَالْمَعْنَى تَطْبِيقٌ، لِأَنَّ التَّعْرِيسَ

في آخر الليل والتعريح في آخر النهار. وقال أبو بكر بن حنظلة العنزّي:  
مُفِيدٌ مُفِيدٌ ما تَجِيءُ دَرَاهِمِي ... إِذَا جِئْتَ إِلَّا عَابِرَاتِ سَبِيلِ  
هَذَا مُجَنِّسٌ مَطْمَعٌ مَطَابِقُ الْمَعْنَى وَاللَّفْظِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَفِيدَ الْجَامِعَ وَالْمَفِيدَ الْمَفْرُقَ، وَمِنْهُ:  
التجنيس المبذل

وهو قريب من المطمع. قال الزُّبَيْرَانُ بن بدر:  
فُرْسَانُ صِدْقٍ فِي الصَّبَاحِ إِذَا ... كَثُرَ الصِّيَاحُ وَوُلِحَّ فِي النَّفْرِ  
أَبْدَلَ الْبَاءَ مِنَ الْبَاءِ. وَقَالَ عَلْقَمَةُ بن عَبْدَةَ:  
أَطَعْتَ الْمَشَاةَ وَالْوَشَاةَ بَصْرَمَهَا ... فَقَدْ وَهَنْتَ أَسْبَابُهَا لِلتَّقْضُبِ  
أَبْدَلَ الْوَاوَ مِنَ الْمِيمِ. وَقَالَ الْعُدَيْلُ:

أَحَا شُقَّةٍ قَدْ شَفَّهَ ذَلِكَ السُّرَى ... يَبِيْتُ يَرُومُ أَلْهَمَ كُلَّ مَرَامِ  
أَبْدَلَ الْفَاءَ مِنَ الْقَافِ. وَقَالَ خُفَافُ بن نَدْبَةَ:

بِالضَّابِطِ الضَّابِعِ تَقْرِيْبُهُ ... إِذْ وَتَّ الْخَيْلُ وَذُو الشَّاهِدِ  
أَبْدَلَ الْعَيْنَ مِنَ الطَّاءِ. وَقَالَ جَوَّاسُ بنُ الْقَعَطْلِ:

شَهَدْتُ لَهَا وَغَابَ أَبُو بُرَيْدٍ ... مَجَالَسَ لَوْ رَأَاهَا الشَّيْخُ غَارَا  
غَابَ وَغَارَ أَبْدَلَ الرَّاءَ مِنَ الْبَاءِ. وَقَالَ عَمْرُو بن شَأْسَ:

نَحْنُ الَّذِينَ لَحَلِمْنَا فَضْلُ ... قَدِمًا وَعِنْدَ خَطِينَا فَضْلُ  
أَبْدَلَ الصَّادَ مِنَ الضَّادِ. وَقَالَ عَمْرَانُ بن حِطَّانَ:

إِنْ تَقْدَهُ تَقْدُ شَدِيدًا سَدِيدًا ... فَهُوَ يَمْشِي كَمِشِيَةِ الْمُخْتَالِ  
أَبْدَلَ السَّيْنِ مِنَ الشَّيْنِ. وَقَالَ كَعْبُ بن جُعَيْلَ:

فَتَسْمَحُ لِي بِالذَّمِّ حُزْنًا لَذِكْرِهِ ... وَتَسْفَحُ مِنْهُ لَا بِكَيْفًا وَلَا نَزْرًا  
أَبْدَلَ الْفَاءَ مِنَ الْمِيمِ. وَقَالَ أَبُو حَيَّةَ التَّمِيرِيِّ:

وَكَأَنَّمَا جُعِلَتْ هُنَّ رَوَادِفًا ... كُثِبَ رَوَاجِفُ مِنْ سَمَاءِ جُرَادِ  
جُرَادُ اسْمُ رَمْلَةٍ. أَبْدَلَ الْجِيمَ فِي رَوَاجِفٍ مِنَ الدَّالِ فِي رَوَادِفِ.

وقال المليح الهذلي:

أَفِي أَرْبَعٍ فِيهِنَّ لِلرَّيْحِ مَدْرَجٌ ... وَمَعْدَى عَلَى مَعْرُوفِهِنَّ وَمَدْلَجُ  
أَبْدَلَ اللَّامَ فِي مَدْلَجٍ مِنَ الرَّاءِ فِي مَدْرَجِ. وَقَالَ مَعْنُ بن أَوْسٍ:

وَقَدْ قُلْتُ إِذْ قَامَتْ وَقَالَتْ فَأَعْرَضَتْ ... تَجْرُ قَشِيًّا مِنْ حَبِيرٍ وَمَجْسَدًا  
أَبْدَلَ اللَّامَ فِي قَالَتْ مِنَ الْمِيمِ فِي قَامَتْ.

والشعر في هذا الباب كثير وفيما نذكره من الأمثلة وفي غيره مَنَعٌ لمن أراد، إن شاء الله تعالى. ومنه:

الجنس المختلف

أنشدني اليزيدي:

بكروم وبدورٍ وقنا ... تشتى فوق كُثبانِ التِّقا

قنا ونقا مجنَّسٍ مختلف .

وقال الحارثُ بن خالد المخزومي:

وكلفتُ منهنَّ العدةَ بغادةٍ ... ثمكورةٍ جدلتُ كجدلِ عنانٍ

وقال أبو دهبيل:

قد كان في آل موسى قبله جسدٌ ... عجلٌ إذا خارَ فيهم خورةٌ سجدوا

وقال حميد بن ثور:

نضعُ الزيارةَ حيثُ لا يُزري بنا ... شرفُ الملوكِ ولا يخيبُ الزورُ

قيل للأصمعي: إن أبا تمام الأعرابي قال: إنما هو سرفُ الملوكِ بسين غير معجمة، قال الأصمعي: أخطأ الرجلُ،

أما تعلم أنه يكونُ شرفٌ دون شرفٍ دون أزرى بنا، قلت هذا شرحٌ كما تراه. والذي ذهب إليه أبو تمام

الأعرابي وجهٌ مقبول. ومن أجود ما يروى في هذا الباب قول الطائي وهو:

بيضُ الصفائحِ لا سودُ الصحائفِ في ... مُتونهنَّ جلاءُ الشكِّ والرَّيبِ

ومنه:

تجنيسُ الخطِّ

ويُسمى التصحيف وهو أن تردَّ الكلمتان فلا يفرِّق بينهما إلا بالنقط. قال الله تعالى: (وهمُ يحسبون أنهم

يُحسنون صنْعاً) وقال عُروة بن جندل الفقعسي:

ليالي أسبابُ المودةِ بيننا ... على البُخلِ أحلى عندنا من جنى النحلِ

البُخلِ والنحلِ تجنيسُ الخطِّ. وقال الفرزدق:

عزفتُ بأعشاشٍ وما كِدتُ تعزِفُ ... وأنكرتُ من حدراءٍ ما كنتُ تعرفُ

تعزِفُ وتعزِفُ

تجنيسُ الخطِّ

. وقال أبو دؤاد الإيادي:

وردتُ بعِيْهامِ جِسْرةٍ ... فعبتُ سِمالاً وهبتُ سِمالاً

وقال الأَفْوهُ الأَوْدِي:

حتى حنى مني قناةَ المطا ... وقنعَ الرأسَ بلونِ خليس

وقال ابنُ قيسِ الرُّقِيَّات:

رجعوا منك لا تمينَ فكلُّ ... راحَ من عندكم حزيناَ حربيا

وقال بلعاءُ بنُ قيس:

إلى رَوْضٍ به نفلٌ وبقلٌ ... يُعني في أسرتهِ الدُّبابُ

نفلٌ وبقلٌ تجنيسُ الخطِّ. وقال عبيدُ بنُ ماويةَ الطَّائي:

وَنُعْمُ بِمَا أَرْسَلَتْ بِأَلْهَا ... وَنَالَ التَّحِيَّةَ مَنْ نَالَهَا  
وَإِنِّي لَذُو مِرَّةٍ مِرَّةٍ ... إِذَا رَكِبْتَ حَالَةً حَالَهَا  
وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ:

وَمَا وَجَدَ الشَّافُونَ مِثْلَ دِمَائِنَا ... شِفَاءً وَلَا السَّاقُونَ مِنْ عَسَلِ التَّحْلِ  
وَمِنْهُ تَجْنِيسُ الْبَعْضِ: قَالَ الْقُطَامِيُّ:

بِأَحْسَنَ مِنْ جُمَانَةٍ يَوْمَ رَدَّوْا ... جِمَالَ الْبَيْنِ وَاحْتَمَلُوا نَهَارَا  
جُمَانَةً وَجِمَالَ تَجْنِيسُ الْبَعْضِ. وَقَالَ أَيْضًا:

وَكَانَتْ ضَرْبَةً مِنْ شِدْقَمِيٍّ ... إِذَا مَا اسْتَنْتَ الْإِبِلُ اسْتِنَاعَا  
اسْتَنْتَ وَاسْتِنَاعَا مُجَنِّسُ الْبَعْضِ. وَقَالَ الطَّمَّاحُ الْعُقَيْلِيُّ:

مَحَبُّ مَخَاضِ ابْنِي فُشَيْرٍ كَأَنَّهَا ... نَعَامٌ بِجَزَانِ الْحَزَائِيِّ تَوْسَقُ  
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى:

وَكَمُ مِنْ حَدِيدٍ قَدْ تَخَوَّنَهُ الْبِلَى ... وَمَنْ مَعْقِلٍ خَانَتْ قِرْوَاهُ الْقَوَاعِدُ  
وَقَالَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّصْرِيُّ:

مِخْرَادٌ ذَلَّ فَلَاعِيٌّ وَلَا سَنَّةٌ ... وَالْخَلْقُ مِثْلُ عَسِيبِ الْغَابَةِ الْغَادِي  
وَقَالَ الْعُجَيْرِيُّ السَّلُولِيُّ:

تَرَوَى مِنَ الْبَحْرَيْنِ ثُمَّ تَرَوَّحَتْ ... بِهِ الْعَيْنُ يُهْدِيهِ لظَمِيَاءَ نَاقِلُهُ  
تَرَوَى وَتَرَوَّحَتْ مُجَنِّسُ الْبَعْضِ، وَتَرَوَى وَظَمِيَاءَ تَطْبِيقٌ. وَقَالَ أَبُو الْجُوَيْرِيَّةِ:

وَمُسْتَأْسِرٌ لِلْبَرْدِ قَوِّمَتْ رَأْسَهُ ... مُكَارَهَةً وَاللَّيْلُ مُسْتَأْنَفٌ طِفْلُ  
مُسْتَأْسِرٌ وَمُسْتَأْنَفٌ مُجَنِّسُ الْبَعْضِ. وَقَالَ أَبُو الطَّمَّاحِ الْقَيْنِيُّ:

أَلَا لَيْتَنِي أَوْدَيْتُ إِذْ أَنَا صَالِحٌ ... وَإِذْ أَنَا جَانٍ لِلْعَدُوِّ وَجَارِحُ  
جَانٍ وَجَارِحُ مُجَنِّسُ الْبَعْضِ. وَقَالَ أَسَدُ بْنُ كُرْزٍ الْبَجَلِيُّ:

صَنَادِيدُ أَيْسَارٍ مَدَاعِيسُ بِالْقَنَا ... مَسَاعِيرُ فِي الْمُهَيْجَا مَسَافِيكُ لِلدَّمِّ  
مَسَاعِيرُ وَمَسَافِيكُ مُجَنِّسُ الْبَعْضِ. وَقَالَ الْقُطَامِيُّ:

حَتَّى تَرَى الْحُرَّةَ الْوَجْنَءَ لَاغِبَةً ... وَالْأَرْحَبِيَّ الَّذِي فِي خَطْوِهِ خَطْلُ  
خَطْوِهِ وَخَطْلُ مُجَنِّسُ الْبَعْضِ.

وَمِنْهُ

الْمَجْنَسُ الْمُتَمِّمُ

وَهُوَ أَنْ يَأْتِيَ الشَّاعِرُ بِكَلِمَةٍ ثُمَّ يَأْتِي بِأُخْتِهَا إِلَّا أَنَّهُ يَتَمِّمُهَا بِحَرْفٍ أَوْ حَرْفَيْنِ مِنْ غَيْرِ حُرُوفِهِمَا. قَالَ حَمَلُ بْنُ بَدْرٍ:

لَقَيْنَا وَلَا قَوْنَا بِجُرْدٍ مَعْدَةً ... تَكَنَّفٌ فِيهِنَّ الْقَنَا وَالْقَنَابِلُ  
الْقَنَا وَالْقَنَابِلُ مُجَنِّسٌ مُتَمِّمٌ. وَقَالَ حَسَّانُ فِي مِثْلِهِ:

وَكَنَّا مَتَى يَغْزُرُ النَّبِيُّ قَبِيلَةً ... نَصِلُ حَافَتَيْهِ بِالْقَنَا الْقَنَابِلُ  
وَقَالَ عَمْرُو بْنُ شَاسٍ:

تذكرت ليلي والركاب كأتها ... قطا منهل أم القطار فلعلها  
وقال عقيب بن كعب بن زهير:

وكرت بالحاظ المها وتبسمت ... بعجفاء عن غر لهن غروب  
غر وغروب تجنيس متمم. وقال النابغة الجعدي:

لها نار جن بعد انس تحولوا ... وزال بهم صرف التوى والنواب  
وقالت الخنساء:

إن البكاء هو الشفا ... ء من الجوى بين الجوانح  
وقالت أيضاً:

فقدت فقدتلك رعلة واستراحت ... فليت الخيل فارسها يراها  
وقال الأحنس بن شهاب:

وحامي لواء قد قتلنا، وحامل ... لواء منعا، والرماح شوارع  
فقوله حامي وحامل جناس متمم، وفي البيت ترصيع. وقال كعب بن زهير:

ولقد علمت وأنت غير حليلة ... ألا يقربني الهوى لهوان

ومن مליح هذا القسم من التجنيس قول الطائي؛ أخبرني عبد الرحمن الواسطي بقراءتي عليه قال: أنبأني ابن  
خيرون عن الجوهري وابن المسلمة قالا: أخبرنا المرزباني عن شيوخه قال: استشهد عمار بن عقييل بن بلال بن  
جرير أصحاب أبي تمام شيئاً من شعره فأنشدوه:

إذا ألجمت يوم لجم وحوالها ... بنو الحصن نجل المحصنات التجانب

فإن المنايا والصوارم والقنا ... أقاربهم في الروع دون الأقارب

إذا الخيل جابت قسطل النقع صدعوا ... صدور العوالي في صدور الكتاب

يمدون من أيد عواص عواصم ... تصول بأسياف قواص قواصب

فقال عمار: لله دره! كأن رذاته رذات جرير، فسمى التجنيس رذات. قوله: عواص وعواصم، وقواص  
قواصب من مستحسن التجنيس المتمم. ومنه:

تجنيس القوافي

قال النابغة الذبياني:

ترى الراغبين العاكفين ببابه ... على كل شيزى أترعت بالعراعر

له بفناء البيت دهماً جونة ... تلقم أوصال الجزور العراعر

العراعر الأسنمة، والعراعر الصخمة الكبيرة. وقال قيس بن زهير:

أظن الحلم دل علي قومي ... وقد يستجهل الرجل الحلم

وكم مارست في دهري رجلاً ... أباة لا تعبهم الحلوم

الحليم: الرجل ذو الحلم، والحلوم: جمع حلم، ولما اختلف المعنى حسنت المقاربة بين الكلمتين. وقال العرجي:

سميتي خلقاً حللة خلقت ... ولا جديد إذا لم يلبس الخلق

ارجع الى الحق إما كنت قائله ... إن التخلق يأتي دونه الخلق

وقال أعشى بني أبي ربيعة:

أبو العيصِ والعاصي وحرَبٌ ولم يكنْ ... أخٌ كأبي عمرو يُشدُّ به الأزرُ  
صَفَتْ منهم الأعراضُ من كلِّ ريبةٍ ... تُخافُ وطابت في معاقدها الأزرُ  
وقال عمرو بن امرئ القيس الأنصاري:

خالفتُ في الرأي كلَّ ذي فجْرٍ ... يا مالٍ والحقُّ غيرُ ما نَصِفُ  
نمشي إلى الموتِ من حفاظنا ... مَشياً ذريعاً وحُكْمنا نَصِفُ  
نصِفُ من الوصفِ، ونَصِفُ من النَّصِفَةِ. وقال أشيمُ بن شراحيل:  
إذا سألتَ تميماً عن شرارِهِم ... فاطلبُ أسيِّدٍ حتى تُدرِكَ السَّلْفَا  
مثل الإماءِ إذا ما جُلِبَةُ أزمَتُ ... لا ييسرون ولا تلقى لهم سلفَا  
السَّلْفُ الماضي والسَّلْفُ الطعامُ اليسيرُ يُقدِّمُ قبلَ الغداءِ، واحِدَتُهُ سَلْفَةٌ بالضم، ومن ذلك قولهم سَلَفْتُ الرَّجُلَ  
تسليفاً، وإذا أطعمته شيئاً معجلاً قبلَ غدايته. وقال ابنُ عبدلِ الأسدي:  
وإني لأستغني فما أبطُرُ الغنى ... وأعرضُ معروفي على مُبتغي عَرَضِي  
وأعسرُ أحياناً فتشتتُ عُسْرَتِي ... وأدرِكُ ميسورَ الغنى ومعِي عَرَضِي  
وقالت جمانةُ العبسيَّة:

أبي لا يرى أن يُسَلِّبَ اليومَ درْعَهُ ... وجدِّي يرى أن يأخذَ الدرْعَ من أبي  
فرأيَ أبي رأيَ البخيلِ بماله ... وشيمةُ جدِّي شيمةُ الخالفِ الأبِي  
وأنشد ابنُ الأعرابي:

شِرايهُ كالحزِّ بالمواصي ... ليسَ بريانَ ولا مؤاسِ  
أراد بشرايه مشاربته. وقال أبو دهب:

أليسَ عزيزاً أن تكوني ببلدَةٍ ... كإلانا بما ثاو ولا نتكلمُ  
مُنعمةً لو دبَّ ذرٌّ مجلدها ... لكادَ ذبيبُ الذرِّ بالجلدِ يُكلمُ  
وقال عمرو بن قميئة:

أولئك قومي آلُ سعدِ بنِ مالكٍ ... تمالؤا على ضيغِ عليٍّ وإلغافِ  
فكلَّ أناسٍ أقربُ اليَوْمِ منهم ... إليّ ولو كانوا عُمانَ أولي الغافِ  
الإلغافُ الجورُ والظلم، وقوله: أولي الغاف أي أصحاب الشجر وأنشد المدائني للخليل بن أحمد:  
يا وَيْحَ قلبي من دواعي الهوى ... إذ رحلَ الجيرانُ عندَ الغروبِ  
أتبعْتهم طرْفِي وقد أمعنوا ... وفَيْضُ عَيْني كفيضِ الغروبِ  
بانوا وفيهم حُرَّةٌ طَفَلَةٌ ... تفتُرُّ عن مكنونِ حَبِّ الغروبِ  
الغروبُ الأولُ غروبُ الشمسِ، والثاني جَمْعُ غَرْبٍ وهو الدلو الكبيرة، والثالث الكُفْرِيُّ وهو الطَّلَعُ.  
وأنشد أبو العباسِ ثعلب:

أتعرفُ أطلالاً شجَوْنَكَ بالخالِ ... وعيشَ زمانٍ كان في العُصْرِ الخالي  
ليالي ريعانِ الشبابِ مسلطاً ... عليّ بعصيانِ الأمانةِ والخالِ

وإذ أنا خِذْنُ لِلْعَوِيِّ أَخِي الصَّبَا ... ولِلْعَزْلِ المَرِيحِ ذِي اللُّهُوِ وَالْحَالِ  
 لِيَالِي تُكْنَى تَسْتَبِينِي بَدَلَهَا ... وَبِالتَّنْظَرِ الفَتَانِ وَالخَدَّ وَالْحَالِ  
 إِذَا سَكَنْتَ رَبْعاً رَمَيْتَ رَبَاعَهَا ... كَمَا رَمَيْتَ المَيْثَاءَ ذُو الرِّبِيْثَةِ الخَالِي  
 وَيَقْتَادِي مِنْهَا رَحِيمٌ دَلَالُهُ ... كَمَا اقْتَادَ مُهْرًا حِينَ يَأْلَفُهُ الخَالِي  
 الخَالُ الأولُ موضع، والثاني الماضي، والثالث العُجْبُ، والرابع الذي لا زوجة له، والخامس التَّقْطَةُ السُّودَاءُ،  
 والسادسُ الذي ليس له مُعِين، والسابع الذي يسوسُ الدَّوَابَّ. ومنه:  
 التَّجْنِيسُ المِثَالُ

وهو أن تكون الكلمتان اسميين أو فعلين كما قال الله تعالى: " فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ " ، اسمان، وكقوله تعالى: " وجنا  
 الجَنَّتَيْنِ دَانٍ " ، وقوله تعالى: " يَا أَسْفَى عَلِي يوسُفَ " وكقول النبي صلى الله عليه وسلم: " الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ  
 القِيَامَةِ " ، وقوله صلى الله عليه وسلم: " لا يكونُ ذُو الوجْهَيْنِ وجِيهًا يَوْمَ القِيَامَةِ " وقال جرير:  
 فما زالَ معقولًا عِقَالٌ عن التَّدَى ... وما زالَ محبوسًا عن الخَيْرِ حَابِسُ  
 وقال النابغة الذبياني:

قالت أراك أخوا رَحْلٍ وراحِلَةٍ ... تَغْشَى مَتَالِفَ لَنْ يَنْظُرَنَّكَ المَهْرَمَا  
 وقال سُحَيْمُ بْنُ وَثِيلِ الرِّياحِيِّ:  
 وإني لا يعودُ إليّ قُرْبِي ... عَدَّةَ العِجْبِ إلا في قَرِينِ  
 أي ومعهُ آخِر. وقال آخر:

ليالي لَيْلِي لم يُشَبَّ عَذْبُ ما نِهَا ... بِمَلْحٍ وَحَبْلَاهَا مَتِينٌ قُوهُما  
 يعني حَبْلٌ مودَّتْها له وَحَبْلٌ مودَّتْه لها. وقال العجاج:  
 وابنة عَبَّاسٍ قَرِيعِ عَيْسٍ ... فِي قِنْسِ مَجْدٍ فَوْقَ كَلِّ قِنْسِ  
 القِنْسُ مَنبَتُ كل شيء وأصلُهُ. وقال العُدَيْلُ بْنُ الفَرَّخِ العِجْلِيُّ:  
 بِخَالَةٍ زارْتُنَا فَهاجَ خيالُها ... وَزارَتْ مَجْوارِيْنَ وَهُوَ شامٌ  
 وقال يزيدُ بْنُ حُدَيْفَةَ الأَسَدِيِّ:

دَفَعْنَا طَرِيفًا بِأَطْرَافِنَا ... وَبالرَّاحِ عَنَّا وَلَمْ يَدْفَعُونَا  
 قد أوردنا من أقسامِ الجِناسِ ما فيه كفايةً واستدلالٌ به على غيرِه، ففِيسُهُ واقْتِيسُهُ إن شاء اللهُ تعالى.  
 ومن الألقاب التي قدَّمنا ذِكْرَها في الشَّعر:

#### باب المطابقة

قد اختلف العلماءُ في الطَّباقِ. قال الأَخْفَشُ وقد سئلَ عنه: أَجْدُ قَوْمًا يَخْتَلِفُونَ فِي الطَّباقِ، فَطائِفَةٌ، وَهِيَ الأَكْثَرُ،  
 تَرَعُمُ أَنَّهُ ذِكْرُ الشَّيْءِ وَضدَّهُ يَجْمَعُهُما اللَّفْظُ بِما لا المَعْنَى. وَطائِفَةٌ تَخالفُ ذلِكَ فَيَقولُ: هُوَ اشْتِراكُ المَعْنِيِّينَ فِي  
 لَفْظٍ واحِدٍ كقول زياد الأَعْجَمِ:

وَبُنَّتْهُمُ يَسْتَنْصِرُونَ بِكاهِلٍ ... وَلِلْوَمِ فِيهِمُ كاهِلٌ وَسَنامٌ

فَقولُهُ بِكاهِلٍ: يَعْنِي القَبِيلَةَ، وَقولُهُ كاهِلٌ لِلعَضْوِ هُوَ المِطابِقَةُ عِنْدَهُم. وَقال: هَذَا هُوَ التَّجْنِيسُ. وَقال: مِنْ ادَّعى

أنه طباقٌ فقد خالف الأصمعيّ والخليل. فقليل له: أفكانا يعرفان هذا؟ فقال: سبحان الله وهل مثلهما في علم الشعر وتمييز خبيثه من طيبه! وقد أدخل قومٌ في الطباق نوعاً من التقسيم، كقول كعب بن سعد: لقد كان أما حلمه فمروحٌ ... علينا وأما جهله فعزيب

لما رأوا ذكرَ الحلم والجهل، ومروح وعزيب، جعلوه في المطابق ولم يكن ببعيد منه، ولكنه إلى باب التقسيم أقرب. وقال الأصمعي: أصلُ الطباق أن يضع الفرسُ رجله في موضع يده وأنشد:

وخيلٌ يطابقن بالدارعي ... نَ طباق الكلابِ يطأن الهراسا

وقال الخليل: طابقتُ بين الشيئين إذا جمعتهما على حدٍ واحدٍ وألصقتهما. وأقول: إنَّ الطباقَ من أحسن محاسن البديع؛ وهو أن يأتي الشاعر في البيت بالشيء وضده. قال عبد الله بن الزبير الأسدي:

رمى الحدثان نسوة آل حربٍ ... بمقدارِ سمذن له سمودا

فرد شعورهنَّ السود بيضاً ... وردّ وجوههنَّ البيض سودا

وقال زهير:

ليثٌ بعثرَ يصطادُ الرجالَ إذا ... ما الليثُ كذبَ عن أقرانه صدقا

وقال الفرزدق:

لعن الإلهُ بني كليبٍ إنهم ... لا يغدرون ولا يفون لِحارِ

يسْتَيْقِظُونَ إلى نُهاقِ حميرهم ... وتنامُ أعينهم عن الأوتارِ

أخذهُ الفرزدق من قول ثمامة الدهلي:

قومٌ تنامُ عن الأوتارِ أعينهم ... ولا تُنومُ نوكاهم عن السرِّقِ

وقال عمرو بن كلثوم:

بأنا نورِدُ الراياتِ بيضاً ... ونُصدِرُهُنَّ حُمراً قد رَوينا

لو قال عمرو:

منَ الأسَلِ الظِّماءِ يرِدُنَّ بيضاً ... ونُصدِرُهُنَّ حُمراً قد رَوينا

لكان مُجيداً مُبدعاً في الطباق بين الإيراد والإصدار، والبياض والحُمْرة، والظِّماء والرِّي. وقد أخذ أبو الشَّيْبِ معنى بيت عمرو فتمم منه ما نقص وقال:

فأورَدَها بيضاً ظِماءاً صُدورُها ... وأصدِرَها بالرِّيِّ ألوانها حُمراً

فصار أخذهُ مُستَحْسَناً بكمالِ معناه وزيادةِ بالجناسِ في: صُدورها وأصدره. وقال الغطَّاشُ الضَّيِّ:

إذا نحنُ سِرنا بينَ شَرِّقٍ ومَغْرِبٍ ... تحركَ يقظانُ الترابِ ونايمُهُ

وقال الكُمَيْتُ بن زيد:

وأرى الشَّيْبَ والشَّبابَ رِدائِي ... نِ مصوناً وبِذَلَّةٍ مَنشورا

الشَّيْبُ والشَّبابُ، والمصونُ والمبتذلُ تطبيقٌ، وفيه استعارةٌ واحدة. وقال أبو صخر الهذلي:

أما والذي أبكى وأضحك والذي ... أماتَ وأحْيى والذي أمرُهُ الأمرُ

وقال أوسُ بن مَعْرَأ:

فأخلِقَ حبلُ الوُدِّ بيني وبينها ... وكلُّ جديدٍ سوف يُصبحُ باليا



وقال أبو دَهَبِيل:   
 وصارت قناة الدين في كف ظالمٍ ... إذا اغوجَّ منها جانبٌ لا يُقيمُها   
 فيه طباقٌ واستعارةٌ حسنة. وقال أبو جِلْدَةَ اليَشْكُري:   
 إذا عدلتُ بالصَّرمِ والوصلِ عاقبها ... عن الصَّرمِ ميزانٌ من الحُبِّ راجحُ   
 فيه طباقٌ واستعارة. ولما جعلَ للحُبِّ ميزاناً جعلَ القرينةَ لفظيةً، وهي قوله راجح. وهذا القِسمُ واسعٌ كثيرٌ يدلُّ   
 عليه القليلُ اليسير. ومنها:

### باب التصدير

ويُلَقَّبُه قومٌ: ردَّ إعجازِ الكلامِ على صُدوره، وهو أن يبتدئ الشاعرُ بكلمة في البيت ثم يُعيدُها في عَجْرِه، أو   
 نصفه ثم يردُّها في النصفِ الأخير. وإذا نُظِمَ الشعرُ على هذه الصِّفة، تيسَّرَ استخراجُ قوافيه قبل أن تطرُقَ   
 أسمعُ مُستمعيه. قال الأصمعي: من حسن التصدير قولُ عامر بن الطُّفَيْل، وكذا قال جماعةٌ من نقّاد الشعر:   
 فكنتَ سناماً في فزارةٍ تامكاً ... وفي كلِّ حيٍّ ذرورةٌ وسنامُ   
 وقال قومٌ: بل من جيّد التصدير قول جرير:   
 سقى الرَّمْلَ جَوْنٌ مُستَهْلٌ ربابُهُ ... وما ذاكُ إلا حُبٌّ من حلِّ الرَّمْلِ   
 وقال آخرون: بل قولُ الأول من حسنِ التصدير:   
 سريِّعٌ الى ابنِ العمِّ يشتمُّ عرضه ... وليسَ الى داعي التدى بسريع   
 وقال أناسٌ: قول ابنِ أحمَر من جيّد ما قيلَ في التصدير وهو:   
 تغمّرتُ منها بعد ما نفذَ الصَّبى ... ولم يروَ من ذي حاجةٍ من تغمّرا   
 التغمّر الشُّرب القليل. وقال الفرزدق:   
 أصدرُ هُمومك لا يقتلكَ واردها ... فكلُّ واردةٍ يوماً لها صدرُ   
 ومنها:

### باب الالتفات

وهو انصرافٌ عن مخاطبةٍ الى إخبارٍ وعن إخبارٍ الى مخاطبة، وهو من بديع البديع. وقال جرير:   
 متى كان الخيامُ بذِي طُلوحٍ ... سُقيتِ العَيْتُ أَيْتُها الخيامُ   
 أتذكرُ يومَ تصقّلُ عارضِها ... بعودِ بشامةٍ، سُقيَ البشامُ   
 ويُروى:   
 أتُنسى إذ تُودِّعنا سُلَيْمى ... بعودِ بشامةٍ، سُقيَ البشامُ   
 ومن الالتفاتِ البارِع قولُ النابغة:   
 ألا زعمتَ بنو عَبَسٍ بأبي ... ألا كذبوا، كبيرُ السنِّ فان   
 وقال آخر:

فإني إن أفنك يفتك مني ... فلا تُسبِقْ به، علق نفيسُ  
وقال كثير:

لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ، وَأَنْتِ مِنْهُمْ، ... رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمَطَالَا  
ومن هذا القسم اعتراضُ كلامٍ في كلامٍ لم يتم معناه، ثم يعود الشاعرُ إليه فيتمُّه مرّةً واحدةً، وهو من جيد  
الالتفات. قال طرفة:

فَسَقَى دِيَارَكَ، غَيْرَ مُفْسِدِهَا، ... صَوَّبُ الرِّبِيعِ وَدِيمَةَ تَهْمِي  
فَقَدْ تَمَّ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: غَيْرَ مُفْسِدِهَا. وقال نافع بن خليفة العنوي:  
رِجَالٌ، إِذَا لَمْ يُقْبَلِ الْحَقُّ مِنْهُمْ ... وَيُعْطَوْهُ، عَادُوا بِالسُّيُوفِ الْقَوَاصِبِ  
فَتَمَّ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: وَيُعْطَوْهُ. ومنها:

### باب الاستطراد

ومعنى الاستطراد خروج الشاعر من ذمٍّ إلى مدحٍ أو من مدحٍ إلى ذمٍّ. وللمُحدثين في هذا الباب أشعارٌ كثيرة  
عجيبة. قال زهير:

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَل ... كَنَّ الْجَوَادَ عَلَيَّ عِلَاتِهِ هَرِمُ  
استطرد الكلام إلى مدحِ هريم. وقال الفرزدق:  
كَأَنَّ فِقَاحَ الْأَزْدِ حَوْلَ ابْنِ مِسْمَعٍ ... إِذَا عَرِقَتْ، أَفْوَاهُ بَكْرِ بْنِ وائِلِ  
استطرد الكلام إلى ذمِّ بكر بن وائل. وقد حثَّ جريرُ الترابِ في وجه السابقِ إلى هذا المعنى فضلاً عمَّن تلاه، فإنه  
استطرد باثنين في بيتٍ واحدٍ وهو:

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفِرْزَدِقِ مِيسَمِي ... وَضَعَا الْبَعِيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ  
الضَّعْوُ وَالضُّعَاءُ صَوْتُ الذَّلِيلِ الْمَقْهُورِ وَقَالَ آخِرُ:

أَنْتَ ابْنُ بَيْضٍ لَعْمَرِي لَسْتُ أَنْكِرُهُ ... حَقًّا يَقِينًا، وَلَكِنْ مَنْ أَبُو بَيْضٍ؟  
وقال بكر بن النطاح في مالك بن طوق وهو استطردٌ من مدحٍ إلى مدح:  
عَرَضْتُ عَلَيْهَا مَا أَرَادَتْ مِنَ الْمُنَى ... لَتَرْضَى فَقَالَتْ قُمْ فَجِنِّي بِكَوَكَبِ  
فَقُلْتُ لَهَا: هَذَا التَّعْنُتُ كُلُّهُ ... كَمَنْ يَتَشَهَّى لِحْمَ عَنَقَاءِ مُعْرَبِ  
سَلِي كُلِّ أَمْرٍ يَسْتَقِيمُ طِلَابُهُ ... وَلَا تَذْهَبِي يَا دُرُّ، فِي كُلِّ مَذْهَبِ  
فَأُقْسِمُ لَوْ أَصْبَحْتُ فِي عِزِّ مَالِكٍ ... وَقُدْرَتِهِ أَغْيَا بِمَا رُمْتُ مَطْلَبِي  
فَتَى شَقِيَّتْ أَمْوَالُهُ بِنَوَالِهِ ... كَمَا شَقِيَّتْ قَيْسٌ بِأَرْمَاحِ تَغْلِبِ

وشبيهة بهذه الأبيات ما ذكره الأصفهاني في كتابه قال: قال أحمد بن عبيد الله بن عمار: كنا عند المبرد يوماً  
وعنده فتى من ولد أبي البخترى وهب بن وهب القاضي، أمرد حسن الوجه، وفتى من ولد أبي دلف القاسم بن  
عيسى العجلي شبيه به في الجمال، فقال المبرد لابن أبي البخترى: أعرفُ جدك قصةً طريفةً من الكرم حسنةً لم  
يُسبِقْ إليها، فقال الفتى: وما هي؟ قال: دفعي رجلٌ من أهل الأدب إلى بعض المآدب فسقوه نبيذاً غير الذي  
كان يشربون، فقال:

نبيذانٍ في مجلسٍ واحدٍ ... لا يثَارُ مُثْرٍ على مُقْتَرٍ  
فلو كانَ فِعْلُكَ ذَا في الطَّعَامِ ... كَرَمْتُ قِيَاسَكَ في المُسْكِرِ  
ولو كنتَ تَفْعَلُ فِعْلَ الكِرَامِ ... صَنَعْتَ صَنِيعَ أَبِي البَخْتَرِيِّ  
تَتَبَعَ إِخْوَانُهُ في البِلَادِ ... فَأَغْنَى المُقَلَّ عَنِ المُكْثِرِ

فبلغت الأياتُ جدَّك فبعث إلى الرَّجُلِ خمسمائة دينار. قال ابن عمّار: فقلت: وقد فعلَ جدُّ هذا الفتى في هذا  
المعنى ما هو أحسنُ من هذا، قال المُبرِّد: وما هو؟ قلت: بلغني أن ابنَ أبي فَنَنِ افْتَقَرَ بعد ثروةٍ، فقالت له امرأته:  
افْتَرَضْ في الجُنْدِ، فأنشأ يقول:

إليك عني فقد كَلَّفْتَنِي شَطَطًا ... حَمَلَ السَّلَاحِ وَقَوْلَ الدَّارِ عَيْنَ قِفِ  
تمشي المنايا إلى قومٍ فأكرهها ... فكيف أمشي إليها عاري الكنيفِ  
حَسِبْتُ أن نفاذ المَالِ غَيْرِي ... أو أن قَلْبِي في جَنَبِي أبي دُلْفِ

فأحضره أبو دُلْفِ وقال له: كم أَمَلْتَ امرأتك أن يكون رزقك؟ قال: مائة دينار، قال: وكم أَمَلْتَ أن تعيش؟  
قال: عشرين سنة، قال: فلك عليّ الذي أَمَلْتَ وأَمَلْتَ امرأتك في مالي دون مالِ السلطان. وأمرَ بدفع ذلك  
إليه. قال: فرأيتُ وجهَ ابنِ أبي دُلْفِ يتهلل، وانكسر ابنُ أبي البختري. وقال الآخر:  
أَسْرَنَا كما قد عَوَّدْتَنَا رِمَاحُنَا ... لَدَى مَعْرَكِ الخِيلِينَ، وَالتَّقَعُّ نَائِرُ  
أخبر أنه أسرَ عدوًّا واستطرد الكلامَ إلى أنه معوَّدٌ لذلك. ومنها:

## باب التقسيم

قال نُصَيْبُ:

ولم أرض ما قالت، ولم أبدأ سَخِطَةً ... وضاقَ بما جَمَعْتُمُ من حُبِّها صَدْرِي  
فقال فريقُ الحيِّ لا، وفريقُهُم ... نَعَمْ، وفريقُ قال وَيَحْكُ ما نَدْرِي  
وليس في جوابٍ من سألَ عن شيءٍ غير ما ذَكَرَهُ. وهذا البيتُ رواهُ الأَخْفَشُ على ما أثبتَهُ وأعرَفَهُ من شِعْرِهِ:  
فقال فريقُ القومِ لما نَشَدْتُهُم ... نَعَمْ وفريقُ لِيَمُنُّ اللهُ ما نَدْرِي  
وقال الشَّمَاخُ يصفُ صلابَةَ سَنَابِكِ الحِمَارِ وشِدَّةَ رَهْصِهِ الأَرْضِ:  
متى ما تَقَعُ أرساغُهُ مُطْمَئِنَّةً ... على حَجَرٍ يَرِفُضُ أو يَتَدَحْرَجُ  
وليس في وصفِ الوطءِ الشَّدِيدِ إلا أن يكونَ الذي يوطأ رِخْوًا فَيَرِفُضُ، أو صُلْبًا فَيَتَدَحْرَجُ. وقال زهير:  
يَطْعُنُهُم ما ارْتَمَوْا، حتى إذا اطْعَنُوا ... ضارَبَ، حتى إذا ما ضارَبُوا اعْتَنَقَا  
وقال عنترَةُ:

إِنْ يَلْحَقُوا أَكْرُرُ، وَإِنْ يَسْتَلْحِمُوا ... أَشْدُدُّ، وَإِنْ يُلْفَوْا بَصْنِكَ أَنْزِلِ  
وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

تَهَيِّمُ إلى نَعْمٍ، فلا الشَّمْلُ جَامِعٌ ... ولا الحَيْلُ مَوْصُولٌ، ولا الحَبُّ مُقْصِرٌ  
ولا قُرْبُ نَعْمٍ، إِنْ دَنَتْ، لك نافعٌ ... ولا نأْيُها يُسْلِي، ولا أَنْتَ تَصْبِرُ  
فأخذ الخارِجِيُّ هذا المعنى فقال:

وكذبت طرقي فيك والطرف صادق ... وأسمنت أذني فيك ما ليس تسمع  
ولم أسكن الأرض التي تسكنيها ... لكيلا يقولوا: صابر ليس يجزع  
فلا كمدني يقني، ولا لك رحمة ... ولا عنك إقصار، ولا فيك مطمع  
وقال قيس بن ذريح:

فإن تكن الدنيا بلني تقلبت ... فللدهر والدنيا بطون وأظهر  
لقد كان فيها للأمانة موضع ... وللقلب مرتاد وللعين منظر  
وللحائم الصديان ري بقر بها ... وللمرح الذيال طيب ومسكر  
وقد استحسّن أهل الصناعة في هذا الباب قول بشّار بن برد، وهو:  
بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه ... وتدرك من نجى الفرار مثاليه  
فراحوا، فريق في الإسار، ومثله ... قتيل، ومثل لاذ بالبحر هاربة  
وقالوا: ليس في وصف من وقع به الظفر ودارت رحي الحرب عليه زيادة على ما ذكره، ومنها:

#### باب التسهيم

سئل جماعة ممن يتعاطى علم البديع ونقد الشعر الصنيع عن التسهيم، فما منهم من أجاب بجواب التفهيم، ولم  
يحصل من إشاراتهم إليه، ونصوحيهم عليه، سوى أنّ المسهم هو الذي يسبق السامع الى قوافيه قبل أن ينتهي  
إليها راويه.

قلت: ليس هذا اللقب دالاً على هذا المعنى، فإن كان الملقب قصد الإغراب به فقد أبعده المرمى وزلّ عن النهج  
الأقوم. وإنما التسهيم التخطيط، والبرد المسهم: المخطط. وكان الأجدد أن يقال: إن التسهيم في الشعر هو  
التحسين له، والتنقيح لألفاظه ومعانيه تشبيهاً بالبُرد الحسّن بالتسهيم، حتى يكون هذا النوع من الشعر معناه الى  
قلبك أسرع من ألفاظه الى سمعك. ولو سمي المطمع، أي من سمعه يطمع في قول مثله - وهو من ذاك بعيد -  
لجاز، وقد أوردناه كما سمعناه ورويناه.

قال الأخفش: ومن أبرع ما قيل في التسهيم ما قالت له الجنوب أخت عمرو ذي الكلب:

فأقسمتُ يا عمرو لو نبهاك ... إذن نبها منك داءً عضالاً

إذن نبها ليث عريسة ... مفيتاً مفيداً نفوساً ومالا

وخرق تجاوزت مجهولة ... بحرّقاء حرف تشكى الكلالا

فكنت النهار بما شمسه ... وكنت دجى الليل فيها الهلالا

ثم قال: انظر الى ديباجة هذا الكلام ما أصفها، والى تقسيماته ما أوفها، وانظر الى قولها مفيتاً مفيداً، والى

وصفها إياه في النهار بالشمس وفي الليل بالهلال، تجد البعيد المطمع الممتنع، وفي هذه البلغة اليسيرة من هذا

الباب كفاية إن شاء الله تعالى. ومنها:

#### باب الترصيع

ويسمى التفويف والترصيع في اللغة التركيب، ومنه تاج مرصع بالجواهر، وسيف مرصع أي محلى بالرصاع،  
وهي حلق يحلى بها، الواحدة رصيعة، والبيت المرصع الذي تتنالى فيه القرائن كما يرصع التاج بالجواهر. ومن

الترصيع في القرآن المجيد قوله تعالى: " وما لكم ألا تأكلوا مما ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عليه وقد فصلَ لكم ما حُرِّمَ عليكم إلا ما اضطررتم إليه " ، وقوله تعالى: " أو لم يهْدِ للذين يريثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم

بذنوبهم ونطبعُ على قلوبهم " . ومن حسنِ الترصيع قول الخنساء:

الحمدُ خلَّتُهُ، والجودُ علَّتُهُ، ... والصدقُ حورَّتُهُ، إن قرئتُها

سداذُ أوهبته، شهادُ أندية، ... قطعُ أودية، للوثرِ طلابا

حمالُ ألوية، ضرابُ أبنية، ... ورادُ مُسنية، في الحربِ غصابا

سُمُّ العداة، وفكالكُ العناة، إذا ... لاقى الوغى لم يكنُ للموت هيبا

الخيرُ يفعلُهُ، والقولُ يفضلُهُ، ... والمالُ ينهبُهُ في الحقِّ إهابا

يهدي الرعيالَ إذا جارَ السبيلُ بهم ... نهدُ التليلُ لزرُقِ السمرِ ركابا

وقالت أيضاً:

آبي الهزيمة، حمالُ العزيمة، ... متلافُ الكريمة، لا سقطُ ولا وان

حامي الحقيقة، نسالُ الوديقة، ... معتاقُ الوسيقة، جلدُ غيرِ ثنيان

هباطُ أودية، حمالُ ألوية ... شهادُ أندية، سرحانُ فتيان

وقالت أيضاً:

حديدُ السنان، ذليقُ اللسان ... يُجازي المقارضَ أمثالها

وقالت أيضاً:

حمالُ مُثقلة، ركابُ معضلة ... وهابُ مفضلة، للعظمِ جبارُ

وقالت أيضاً:

حامي الحقيقة، محمودُ الطريقة ... شلالُ الوسيقة، نفاعُ وصرارُ

وقال امرؤ القيس:

الماءُ مُنهمرٌ، والشدُّ مُنحدرٌ ... والقصبُ مُضنطمرٌ، والمتنُّ ملحوبٌ

وقال زياد:

سودُ ذوائبها بيضُ ترائبها ... درمٌ مراقفها في خلقها غممٌ

فيه مع الترصيع طباق، وقال ذو الرمة:

بيضاء في دَعَجِ صفراءُ في نَعَجِ ... كأنها فصّةٌ قد مسّها ذهبُ

هذا بيت قد جمع المطابقة والترصيع والتشبيه.

وقال بشامة التهشلي وتروى لغيره:

بيضٌ مفارقنا تغلي مراننا ... نأسو بأموالنا آثارَ أيدينا

رأيت بخط الشيخ أبي زكريا التبريزي كتاباً قد خرّج فيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب ما يُوفي على منّي

وجهِ في قوله بيضٌ مفارقنا حسبٌ، وقد شيد بناء تلك المعاني بأشعار عربية وألغاز مقبولة. وقال آخر:

طويلُ التجاد، رفيعُ العمد ... كثيرُ الرماد، والليلُ قر

وقال الحارثي:

أَلَّتْ فَحِيَّتْ تَمَّ قَامَتْ فَوَدَّعَتْ ... فلما تَوَلَّتْ كَادَتْ النَفْسُ تَرْهَقُ  
والترصيعُ في الشَّعْرِ أَكْثَرُ من عَدَدِ القَطْرِ. ومنه:

### باب الترديد

وهو أن يُعْلَقَ الشاعِرُ لفظَةً في البيت بمعنى ثم يردُّها فيه بعينها ويعلِّقُها بمعنى آخر. وأجمع أهل النقد أن أبا حية  
الثَّمِيرِي سبِقَ الى هذا الإحسان جميع مَنْ تقدَّمه وتأخَّر عنه بقوله:  
أَلَا حَيٍّ من أَجْلِ الحَبِيبِ المِغَانِيَا ... لَيْسَنَ البَلِيَّ مِمَّا لَيْسَنَ اللَّيَالِيَا  
إِذَا مَا تَقَاضَى المِرَّةَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ... تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَقَاضِيَا  
ابتداءً في المِصْرَاعِ الأَوَّلِ فَأَحْسَنَ الإبتداءَ وَرَدَّدَ في المِصْرَاعِ الثَّانِي فَأَحْسَنَ الترديد. وقال أبو تمام الطائي: لا  
أَعْرِفُ أَحَدًا أَحْسَنَ صِنْعَةً في الترديد من قَوْلِ زُهَيْرٍ وَهُوَ:  
مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمًا ... يَلْقَى السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا  
ويُروى: إن تَلَقَّ ... وَتَلَقَّ السَّمَاحَةَ. قال الأصمعي: هذا أمدحُ بيتِ قائلته العَرَبُ. وقال أبو علي الحاتمي: لقد  
أَحْسَنَ أَبُو نُوَاسٍ في الترديد بقوله:  
صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ الأَحْرَانَ سَاحَتِهَا ... لو مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتُهُ سَرَاءُ  
وقال أيضاً:

ظَنَّ بِي مَنْ قَدْ كَلَفْتُ بِهِ ... فَهُوَ يَجْفُونِي عَلَى الظَّنِّ  
قال الحاتمي: ولقد أجاد عليُّ بنُ جبلةٍ مع تأخُّرِ زمانه في صفةِ فرسٍ حيث يقول:  
مُضْطَرَبٌ يَرْتَجِّحُ من أَقْطَارِهِ ... كالماءِ جَالَتْ فِيهِ رِيحٌ فَاضْطَرَبَ  
إِذَا تَطَّيْنَا بِهِ صَدَقْنَا ... وَإِنْ تَطَّيَّ فَوْتَهُ العَيْرُ كَذَبَ  
والترديد في أشعار المتأخرين كثيرٌ ولكن لم نصرف إليه هممةً، ففيما أتينا به من المثال كفاية. ومنها:  
بابُ المَقَابِلَةِ

قال عليُّ بنُ الحُسَيْنِ القُرَشِيُّ: سألتُ جعفرَ بنَ قُدَّامَةَ الكاتبِ، وكان من جِهَابِذَةِ الشَّعْرِ، عن المَقَابِلَةِ فقال:  
سألتُ أَبِي عنها فقال: هو أن يضع الشاعر معاني يعتمدُ التوفيقَ بين بعضها وبعض، أو المخالفةَ، فيأتي بالموافق مع  
ما يوافقُه، وفي المخالفِ بما يخالفُه على الصَّحَّةِ، أو يشترطُ شروطاً، ويعددُ أحوالاً في أحدِ المعنيتين فيجب أن يأتي  
فيما يوافقُه بمثل الذي شرطَ فيما يخالفُه بأضدادِ ذلك. قال: فقُلْتُ له: فأنشدين أحسنَ ما قيلَ فيه فقال: لا  
أَعْرِفُ أَحْسَنَ من قولِ الأَوَّلِ:  
أَيَا عَجَبًا كَيْفَ اتَّفَقْنَا فَناصِحٌ ... وَفِيٍّ وَمَطْوِيٌّ عَلَى العِجْلِ غَادِرُ  
فجعلَ يَازاءَ ناصِحٍ مطوياً على العِجْلِ، ويَازاءَ وَفِيٍّ غَادِرًا. قال: وقولُ الطَّرِمَاحِ بنِ حَكِيمِ الطائِي فِي ذَلِكَ حَسَنٌ  
أيضاً، وهو:

أَسْرَنَاهُمْ وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ ... وَأَسْقَيْنَا دِمَاءَهُمُ الثُّرَابَا  
فَمَا صَبَرُوا لِبَاسٍ عِنْدَ حَرْبٍ ... وَلَا أَدَّوا بِحَسَنِ يَدِ ثَوَابَا  
يقول: لَمَّا سَقَيْنَا الترابَ دِمَاءَهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ صَبْرٌ عَلَى ما نَزَلَ بِهِم مِمَّا لَفَّسَلَهُمْ وَضَعَفَ نُفُوسَهُمْ، وَلَمَّا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ

وأحسنا إليهم لم يجازوا بالثناء علينا، فجعل يازاء أن سَقُوا دماءهم الترابَ وقاتلوهم، أن يصبروا، ويازاء أن أنعموا عليهم، أن يُننوا، وقال هذه المقابلة. وقال علي بن هارون: كان يحيى بن علي يزعم أن أحسن ما قيل في المقابلة قولُ النابغة:

فتىّ تمّ فيه ما يسرُّ صديقه ... على أن فيه ما يسوءُ المعاديا

فجعل يازاء السرورِ الإساءةَ ويازاء الصديق المعادي. وهذه نُعْبَةٌ في هذا الباب كافية. ومنها:

### باب الاستثناء

وقد عبّر عنه جماعة فكان أقرب أقوالهم الى القلب ما ذكره عبد الله بن المعتز، فإنه قال: الاستثناء في الشعر تأكيد مدح بما يُشبهه الذم. فمن ذلك قولُ النابغة:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أن سيوفهم ... بمن فلولٍ من قراعِ الكتابِ

وأما التحوّيون فالاستثناء في الكلام عندهم استخراجُ بعضٍ من كلِّ في حكم شاملٍ بمعنى إلا. وقال أيضاً:

فتىّ كملتْ أخلاقه غيرَ أنه ... جوادٌ فما يُبقي من المالِ باقيا

وقال أيضاً:

فتىّ تمّ فيه ما يسرُّ صديقه ... على أن فيه ما يسوءُ الأعدايا

فقوله في البيت الأول غير أنه وفي البيت الثاني على أن فيه من أبرع الاستثناء وأحسنه. وقالوا: أحسن ما ورد في هذا النوع قول الربيع بن ضبّة:

فبيتٌ ولا يفنى حديثي ومنطقي ... وكلّ امرئٍ إلا أحاديثه فان

وقال قوم: بل قول الآخر:

فلا تبعدن إلا من السوءِ إني ... إليك وإن شطتْ بي الدارُ نازعٌ

وقال آخرون: بل قول بعض الأعراب: خرّقاء إلا أنما صنّاع. وقد أحسن وأجاد في هذا الباب أبو هفان

المهزّميّ العبدي حيث يقول:

فإن تسألني عنّا فإنّا حلّى العلى ... بني عامرٍ، والأرضِ ذاتِ المناكبِ

ولا عيبَ فينا غيرَ أن سماحنا ... أضرّ بنا، والبأسُ من كلِّ جانبِ

فأفنى الردى أعمارنا غيرَ ظالمٍ ... وأفنى التدى أموالنا غيرَ عائبِ

أبونا أبٌ لو كان للناسِ كلّهم ... أبٌ مثله، أغناهم بالمناقبِ

ومنها:

### باب الإيغال

ويسمى التبليغ، وهو أن يأتي الشاعرُ بالمعنى في البيت تاماً قبل انتهائه الى قافيته، ثم يأتي بها لحاجة الشعر إليها، لأن بها يصيرُ الشعرُ شعراً، فيزيدُ البيت رونقاً، والمعنى بلوغاً الى الغاية القصوى. وقال التّوزي: قلتُ للأصمعي:

من أشعرُ الناس؟ قال: من يأتي الى المعنى الحسيس فيجعله بلفظه كبيراً، أو يقصد المعنى الكبير فيجعله بلفظه

خسيساً، أو ينقضي كلامه قبل القافية، فإذا احتاج إليها أتى بها وأفاد معنى لم يكن قبلها، كما قال الأعشى:  
 كناطحٍ صخرَةً يوماً لِيَفْلِقَها ... فلم يضرّها وأوهى قرنة...  
 فقد تمّ المثل ثم احتاج الى القافية، فقال الوعل فزاد معنى. قال: قلت له: فكيف صار الوعل مفضلاً على كل  
 ناطح، قال: لأنه ينحط من قلة الجبل على قرنه فلا يضره. وقال ذو الرمة:  
 فقب العيس في أطلال مية نسأل ... رؤوماً كأخلاق الرداء...  
 فتمّ كلامه، ثم احتاج الى القافية فقال: المُسلسل، فزاد معنى. ثم قال:  
 أظنّ الذي يُجدي عليك سواها ... دُموعاً كتنفصيل الجمان...  
 فتمّ كلامه، ثم احتاج الى القافية فقال المُفصل فزاد شيئاً لم يكن في البيت. وأبرغ ما قيل في هذا الباب قول  
 امرئ القيس:

كأنه عيون الوحش حول قباينا ... وأرخلنا الجزع الذي لم يتقب  
 فأتى بالتشبيه قبل القافية، ثم لما جاء بالقافية بلغها الأمد البعيد في التأكيد للمعنى، لأن عيون الوحش تشبه  
 الجزع، خصوصاً إذا ماتت وتغيرت هيناتها، ثم لما أتى بالقافية قال: الجزع الذي لم يتقب، فزاد المعنى إيضاحاً؛  
 لأنها بالجزع الذي لم يتقب أوقع بالتشبيه. وقال أيضاً:  
 إذا ما جرى شاورين وابتل عطفه ... تقول هزير الرياح...  
 فقد تمّ العرض والتشبيه قبل القافية، فلما أتى بما زادت القافية المعنى براعةً ونساعةً وهي قوله: مرّت بأثاب،  
 وذلك أن الأثاب شجرٌ يكون للريح في أضعاف أغصانه حفيفٌ شديد. ومنها:  
 باب الاستعارة

الاستعارة من أشرف صنعة الكلام وأجلها، وكان القدماء يسمونها الأمثال فيقولون: فلان كثير الأمثال. ولقبها  
 بالاستعارة ألزم لأنه أعم، ولأن الأمثال كلها ليس تجري مجرى الاستعارة، ألا ترى قول السليك بن السلوك  
 وقد وقع عليه رجل وهو نائم فضغطه السليك، فحبق الرجل، فقال السليك: أضرطاً وأنت الأعلى! فأرسلها  
 مثلاً، وقد أورد الشيء على حقيقته. ومن أبرع ما قيل في الاستعارة قول ذي الرمة:  
 أقامت به حتى ذوى العود في الثرى ... وساق الثريا في ملاءته الفجر  
 قال أبو عمرو بن العلاء: كانت يدي في يد الفرزدق فأنشدته بيت ذي الرمة، فقال: أنشدك أم أدعك؟ قال:  
 قلت: بل أنشدني، فقال: أقامت به حتى ذوى العود والثرى، ثم قال: العود لا يدوي مهما أقام في الثرى، ثم  
 قال: ولا أعلم كلاماً أحسن من قوله: وساق الثريا في ملاءته الفجر، ولا ملاءة له وإنما هي استعارة. وقال ابن  
 المعتز: العود لا يدوي ما دام في الثرى. قال الصولي: اجتمعت وجماعة من فرسان الشعر عند عبد الله بن المعتز،  
 وكان بعلم البديع محققاً ينصّر دعواه لسان مذاكرته، فلم يبق مسلك من مسالك الشر إلا وسلكناه، وأوردنا  
 أحسن ما قيل في معناه، الى أن قال ابن المعتز: ما أحسن استعارة للعرب اشتمل عليها بيت من الشر؟ فقال  
 الأسدي: قول لبيد:

وغداة ريح قد كشفت وقرّة ... إذ أصبحت بيد الشمال زمامها  
 فجعل للشمال يداً وللغداة زماماً، فقال ابن المعتز: هذا حسن وغيره أحسن منه، وقد أخذه من قول نعلبة بن  
 صعير المازني يصف نعاماً وظليماً:



فذكرنا ثقلاً رثيداً بعدما ... أَلَقْتُ ذُكَاءً يَمِينَهَا فِي كَافِرِ  
التَّغْل: بيضُ النعام، والرثيد: المنضود بعضه على بعض، وذُكَاء: الشمس، وكافر: الليل، جعل للشمس يمينا  
ملقاةً في الليل. قال: وقول ذي الرمة أعجب إليّ منه وإن تأخر زمانه، حيث يقول:  
أَلَا طَرَقَتْ مَيِّ هَيَومًا بِذِكْرِهَا ... وَأَيْدِي الثُّرَيَّا جَنَّحٌ فِي الْمَغَارِبِ  
وقال بعضنا: قولٌ لبيد أحسن:  
ولقد حَمَيْتُ الحَيَّ تَحْمِلُ شَكَّتِي ... فُرْطُ، وشاحي إذ غدوتُ لجأها  
يقال: فرسٌ فُرْطٌ إذا تقدّم الخيلَ وسبقها. قال ابن المعتز: هذا حسن، وانظروا الى قول الهذلي:  
ولو أني استودعته الشمسَ لارتقت ... إليه المنايا عينها ورسولها  
ثم قال: هذا بديع، وأبدع منه في استعارة لفظ الاستيداع قولُ الحُصَيْن بن الحُمَام المُرِّي حيث يقول:  
نُطَارِدُهُمْ نَسْتُوذِعُ البِيضَ هَامَهُمْ ... وَيَسْتُوذِعُونَا السَّمْهَرِيَّ المَقُومًا  
في هذا البيت معنىً لطيف يدلّ على إقدامهم وتأخر خصومهم، فاعرفه من لفظه، وقال بعضنا: قول ذي الرمة  
أحسن:  
أقامت به حتى ذوى العودُ في الثرى ... وساق الثريا في مُلأَته الفجرُ  
فقال ابن المعتز: هذا هو الغاية، وذو الرمة أبدعُ الناس استعارة. قال الصولي: فكأنه والله تبهني على ذي الرمة،  
فقلت: بل قوله أحسن:  
ولما رأيتُ الليلَ والشمسُ حَيَّةً ... حياةً الذي يقضي حُشاشةً نازع  
فقال ابن المعتز: اقتدحتُ زُنْدَكَ فَأَوْرَى يا أبا بكر، هذا بارعٌ جداً، ولكن قد سبقه الى هذه الاستعارة جرير  
وأجاد بقوله:  
تُحْيِي الرّوَامِسُ رُبْعَهَا فَتُجِدُّهُ ... بعد البلى، وتُثْمِيته الأُمطار  
قال: وهذا بيت حسن قد جمع الاستعارة والمطابقة، لأنه جاء فيه بالإحياء والإماتة والبلى والجدة، ولكن ذو  
الرمة قد استولى ذكر الإحياء والإماتة في موضع آخر فأحسن بقوله:  
وَنَشْوَانٍ مِنْ طُولِ النُّعَاسِ كَأَنَّهُ ... بِجَبَلَيْنِ فِي أَنْشُوطَةٍ يَتَرَجَّحُ  
إذا ماتَ فوق الرِّحْلِ أَحْيَيْتُ رُوحَهُ ... بِذِكْرِكِ والعيسُ المراسيلُ جَنَّحُ  
قال الصولي: وانصرفنا وما من الجماعة إلا من قد غمره بحرُ ابن المعتز في علم الشعر، وحسن تصرفه في الكلام.  
وأقول: إن أولَ مَنْ استعارَ في الشَّعر امرؤ القيس، فمن استعاراته قوله:  
وليلٍ كَمَوْجِ اليمِّ مُرَّخٍ سُدُولُهُ ... عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهمومِ لِيَبْتَلِي  
فقلت له لما تَمَطَّى بِجَوْزِهِ ... وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكَلِكَلِ  
وقال زهير:  
صَحَا القَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ ... وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصَّبِيِّ وَرَوَّاحِلُهُ  
قال الأصمعي: أول من عرّى أفراس الصبي طفيل بقوله:  
فأصبحتُ قد عَنَفْتُ بِالْجَهْلِ أَهْلَهُ ... وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصَّبِيِّ وَرَوَّاحِلُهُ  
وقال العديّل بن الفرخ:

تكون لنا بيضُ السيفِ معَاذَةً ... إذا طِرُنْ بالأيدي كَلْمَحِ العِقَاتِقِ  
وقال أيضاً:

مَنْ الطاعِنُ الجِبَّارِ، والخيلُ بينها ... عجاجُ تهادى نَقْعُهُ بالسَّنابِكِ  
الاستعارة تهادى، والقريئة بالسنابك. وقال مزاحم العُقَيْلي:

سَجَنْتُ الهوى في الصَدْرِ حتى تَطَلَّعتْ ... بناتُ الهوى يُعَوِّلُنَ من كلِّ مُعَوِّلٍ  
جعل صدره سَجناً للهوى، وجعل للهوى بناتٍ، وإنما يعني همومه، وجعلها متَطَلِّعةً، وجعلها مُعَوِّلةً، وهذه من  
الاستعارات الحسنة. وقالت الخنساء:

لدى مَأزِقٍ بينها ضَيْقٌ ... تُجْرُ المنيةُ أذْيالَهَا

جعلتُ للمنية أذْيالاً وجعلتها مجرورةً والقريئة لفظية. وقال مزاحم العُقَيْلي يصفُ فِلاةً:

تموتُ الرياحُ الهُوجُ في حَجراتِها ... وهيهاتَ من أقطارِها كلُّ مَنْهَلٍ  
وقال جرير:

ورأيت راحلةَ الصِّبَا قد قصَّرتْ ... بعدَ الذَّميلِ ومَلَّتِ التَّرَحالا  
وقال أيضاً:

غداةً ابتقرنا بالسيفِ أجنَّةً ... من الحربِ في مَنَوجَةٍ لم تُطَرِّقِ

ابتقرنا، افتعلنا من البقر وهو شقُّ البطن للخبلي وغيرها، فاستعار للحرب بطناً وأوجب عليها بقرًا، واستخراج  
جينيتها. والتطريق أن يعسر خروج الولد، وهذه استعارة للحرب حسنة. وقال العائذي:

ونحنُ بنو حربٍ غَدَتْنَا بنَدْيِها ... وقد شَمِطَتْ أصداعُها وقرونها  
وقال حاجب بن زُرارة:

ومثلي إذا لم يُجَزْ أكرمَ سعيه ... تكلمُ نِعَماه بفيها فتنطقُ

ومن هذا البيت أخذ نُصَيْبُ قوله:

فعاَجُوا فأتوا بالذي أنتَ أهلهُ ... ولو سَكَنُوا أثنتَ عليكِ الحَقائبُ  
وقال الفرزدق:

والشيبُ ينهضُ في الشبابِ كأثُه ... ليلٌ يصيحُ بجانبِهِ نهارُ  
أخذه ابنُ هرمة فقال:

وقد صاحَ في الليلِ التَّهَارُ كأثُه ... خِلافَ الدُّجى أقرابُ أبلقَ أقرحاً  
وقال ابنُ مُقْبِل:

لَدُنْ غُدُوَّةٍ حتى نَزَعْنَ عَشِيَّةً ... وقد ماتَ شَطْرُ الشَّمْسِ والشَطْرُ مُدْنِفُ  
وقال سليمان بن عمَّار السُّلَمي:

وموئلي كداءِ البطنِ ليسَ بزائلٍ ... تدبُّ أفاعيه لنا والعقاربُ

أقام قوارصَ كلامه مقامَ الأفاعي والعقارب، وهذه استعارة قريبتها لفظية وهي قوله: تدبُّ. وقال جَحْشُ  
بن زيدِ الحَنفي:

فَطَمْنَا بني كعبٍ عن الحربِ بعدها ... ولاقوا من الأبطالِ وقعاً غَشْمُشَمًا

القريئة في هذا البيت معنوية، وذلك أنه قد استقرّ عندهم تشبيه الحرب بالناقة على صفاتٍ مختلفة، وأنهم يذكرون أخلافها وأنها تدبر وتُحلب، فلما استقرّ عندهم وكثُرَ بينهم كان أطراحه وإيراده عندهم واحداً، وهذا معنى لطيف فاعرفه. وقال عجلان بن لَأي التعلبي:

عجبتُ لداعي الحرب والحربُ شامدٌ ... لِقاحُ بأيدينا تُحَلُّ وتُرْحَلُ  
الشامدُ: الناقةُ شَمَدتْ تشمِذُ بالكسر شِماداً إذا لُقِحَتْ فشالتْ بذئبها. وقال صابرُ بنُ صفوان الهذلي الحنفي:  
وقد أشعلتْ نيرانها الشمسُ واصطَلَى ... بها غَضُورُ البيداءِ حتى تلهبها  
وقال المُحرز بن المُكعبِ الضبّي:

سالتُ عليه شِعابُ العزِّ حينَ دعا ... أصحابُه بوجوهِ كاللدنانيرِ  
هذه استعارة حسنة قريئتها لفظية، وهي قوله: سالتُ عليه شِعابُ العزِّ فذكر السَّيْلَ مع الشِعابِ، ولو قال:  
سالتُ عليه العزُّ لم يكُ حسناً. وقال رجلٌ من بلعبر:  
قومٌ إذا الشرُّ أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زرافاتٍ ووحدانا  
وأنشد الأصمعي:

وما زلتُ أرشو الدهرَ صبراً على التي ... تسوءُ إلى أن سرَّني فيكمُ الدهرُ  
جعل الصبرَ رشوةً للدهرِ ليُعينه وهي استعارة حسنة. وقال قُرطُ بن حارثة العامري الكلبّي:  
إنما شيبَ الدُّؤابةُ مني ... وشجاني تناصرُ الأحرانِ  
الاستعارة في تناصر. وقال أبو ذُهبل الجُمحي:

أقولُ والركبُ قد مالتْ عمائمُهم ... وقد سقى القومَ كأسَ التَشْوَةِ السَّمَرُ  
وقال ذو الرمة:

سقاءُ الكرى كأسُ النعاسِ فرأسُه ... لدينِ الكرى من آخرِ الليلِ ساجدُ  
وقال حمزة بن بِيض الحنفي:

وأقام في رأسي المشيبُ فراعني ... ضيفُ لَعَمْرُ أيبكَ ليسَ برائمِ  
وحني قناتي ثم وتَر قوسه ... ورَمى بأسهْمِهِ فشكَّ قوائمي  
وقال الأَفوه الأودي:

إنما نعمةُ قومٍ مُتعةٌ ... وحياةُ المرءِ ثوبٌ مُستعار  
جعل الحياةَ ثوباً وجعله مُستعاراً. وقال ابنُ ميادة يصف الأُلحاظ:  
وبرين، لما أن أردنَ نضالنا ... نبالاً بلا ريشٍ ولا بقداحِ  
لما استقرَّ النبلُ للحظِ استعار النضالَ والريشَ، والقريئة هنا لفظية. وقال الآخر:

أخذنا بأطرافِ الأحاديثِ بيتنا ... وسالتُ بأعناقِ المطيِّ الأباطحُ  
وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

وهي مكنونةٌ تحيرُ منها ... في أديمِ الخدينِ ماءُ الشَّبَابِ  
وأنشد نعلب:

إذا ما أتاهُ السائلونَ توقَّدتْ ... عليه مصابيحُ الطَّلَاقِ والبِشْرِ

وقال مَحَجَن بن عَطَارِد العنبري:

تُحَدِّثُنِي أَنَّ الْبَلِيَّةَ قَدْ أَتَتْ ... وَأَنَّ سِنِينَ الْخَلِّ قَدْ صَاحَ هَامُهَا

وهذه استعارة حسنة. والاستعارات في المنظوم والمنثور تتجاوز حدَّ كل حدِّ محصور، فيما أتينا به مَقْنَع.

ومن الألقاب المقدم ذكرها:

### باب التشبيه

قال أبو عمرو بن العلاء: وقال الأصمعي: أحسن التشبيه ما كان فيه تشبيهان في تشبيهين، كقول امرئ القيس:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا ... لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي

وإنما خصَّ قلوب الطير لأنَّها أطيُّها، وقيل: إن الجارح إذا صاد الطائر أتى بقلبه إلى فراخه طعمًا دون باقي

لحمه، فلا يزال في وكره من قلوب الطير طريُّ وقديمٌ لكثرة صيده، كما قال أبو زيد الطائي:

يَظَلُّ مُعْبَأً عِنْدَهُ مِنْ فَرَائِسٍ ... رُفَاتٌ حُطَامٌ أَنْ أَوْ غَرِيضٌ مُشْرَشَرٌ

رفاتٌ قديمة، وغريضٌ طري.

وقال الأصمعي: إن الجارح يأتي بالصَّيد إلى وكره فيأكل لحمه ويترك قلبه فما يبرح في وكره من قلوب الطير

رطبٌ ويابس، هذه العلة خصَّ قلوب الطير دون غيرها. وقال بشار بن برد: ما زلت منذ سمعت بيت امرئ

القيس أحاول أن أقارب تشبيهين بتشبيهين فلا أستطيع حتى قلت:

كَأَنَّ مَنَارَ التَّنْعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ ... وَأَسِيفَنَا، لَيْلٌ تَهَاوَتْ كَوَاكِبُهُ

أخذه بشار من قول كلثوم العتاي:

تَبْنِي سَنَابِكُهَا مِنْ فَوْقِ هَامِهِمْ ... سَقْفًا كَوَاكِبُهُ الْبَيْضُ الْمَبَاتِيرُ

وحكى الأصمعي قال: استدعاني الرشيدُ بعضَ الأيامِ فراعني رُسله، ولم أفتأ أن مثلتُ بحضرتِه، وإذا في المجلس

يحيى بن خالد وجعفر والفضل. فاستدناي فدنوتُ، وتبين ما عراني من الوجَل فقال: لِيُفْرِخَ رَوْعُكَ، فَمَا أَرْدْنَاكَ

إِلَّا لَمَّا يُرَادُ لَهُ أَمْتَالُكَ. فمكثتُ إلى أن ثابتٌ إليَّ نفسي، ثم بسطني وقال: إني نازعتُ هؤلاء، وأشار إلى يحيى

وجعفر والفضل، في أشعر بيت قالته العربُ في التشبيه، ولم يقع إجماعنا على بيت يكون الإيماءُ إليه دون غيره،

فأردناك لفصل هذه القضية واجتناء ثمره الخطار فقلت: يا أمير المؤمنين، إن التعيين على بيت واحد في نوع

واحد قد توسعت فيه الشعراء ونصبتُه معلماً لأفكارها ومسرحاً لخواطرها، كبعيدٍ أن يقع النصُّ عليه، ولكن

أحسن الشعراء تشبيهاً امرؤ القيس. قال: في ماذا؟ قلت: في قوله:

كَأَنَّ عُيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ قِبَابِنَا ... وَأَرْحُلُنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبِ

وقوله:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا ... لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي

وقوله:

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا ... سُمُوَّ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ

قال: فالتفت الرشيدُ إلى يحيى وقال: هذه واحدة، فقد نصَّ على امرئ القيس أنه أبرعُ الناس تشبيهاً، قال: فقال

يحيى: هي لك يا أمير المؤمنين، ثم قال الرشيد: فما أبرعُ تشبيهاً عندك؟ قلت: قوله في صفة فرس:

كَأَنَّ تَشَوُّفَهُ فِي الصُّحَى ... تَشَوُّفٌ أَزْرَقَ ذِي مِخْلَبٍ

إِذَا بُرِّعَ عَنْهُ جِلَالٌ لَهُ ... تَقُولُ سَلِيبٌ وَلَمْ يُسَلِّبْ

قال الرشيد: هذا حسن، وأحسن منه قوله:

فُرْحَانًا بِكَابِنِ الْمَاءِ يُجَنَّبُ وَسَطَنَا ... تَصَوَّبُ فِيهِ الْعَيْنُ طَوْرًا وَتَرْتَقِي

فقال جعفر: هو التحكيم يا أمير المؤمنين، قال: كيف؟ قال: ليدكر أمير المؤمنين ما كان وقع اختياره عليه ونحن

نذكر ما اخترناه ويكون الحكم واقعاً من بعد، فقال الرشيد: أعرضت، قال الأصمعي: فاستحسنتها منه، يقال:

أَعْرَضَ الرَّجُلُ إِذَا قَارَبَ الصَّوَابَ. ثم قال الرشيد: ليدأ يحيى، فقال يحيى: أحسن الناس تشبيهاً النابغة في قوله:

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا ... نَظَرَ الْمَرِيضُ إِلَى وَجْهِ الْعُودِ

وقوله:

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي ... وَإِنْ خَلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ

وقوله:

مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ ... طَاوِي الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّبَقِ الْفَرْدِ

قال الأصمعي: فقلت: أما تشبيهه مرض العين فحسن، إلا أنه هجته بذكر العلة وتشبيه المرأة بالليل، وأحسن

منه قول عدي بن الرقاع:

وَسَنَانُ أَقْصَدُهُ النَّعَاسُ فَرْتَقَتْ ... فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمٍ

وأما تشبيه الإدراك بالليل والنهار فيما يُدركانه فقد كان من سبيله أن يأتي بما ليس له قسيم حتى يأتي بمعنى

ينفرد به، ولو شاء فإني أن يقول: إن قول التمرى في هذا المعنى أحسن، لوجد مساعاً، وهو:

وَلَوْ كُنْتُ بِالْعَنْقَاءِ أَوْ بِأَسُومِهَا ... لَخَلْتُكَ إِلَّا أَنْ تَصُدَّ تَرَانِي

وأما قوله: كسيف الصيقل الفرد، فالطرمح أحق بهذا المعنى منه، لأنه أخذه فجوده وزاد عليه، وإن كان النابغة

افتراعه، قال الطرمح:

يِيدُو وَتُضْمِرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ ... سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُعْمَدُ

فقد جمع في هذا البيت استعارة لطيفة بقوله: تُضْمِرُهُ، وشبه شيئين بشيين، بقوله: ييدو ويخفي، ويسل ويعمد،

وهو طباق حسن، وفيه حسن التفسير وصحة المقابلة. قال الأصمعي: فاستبشر الرشيد حتى برقت أساري

وجبه، فخلت برقاً ومض منها، وقال ليحيى: فضلتك ورب الكعبة، وامتقع لون يحيى فكأن المَلَّ ذرَّ عليه فقال

الفضل: لا تعجل يا أمير المؤمنين حتى يمر ما قلته بسَمْعِهِ. فقال: قل، قال الفضل: أحسن الناس عندي تشبيهاً

طرفة بقوله:

يَشِقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْرُومَهَا بِمَا ... كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ الْمَفَايِلَ بِالْيَدِ

المفايل الذي يجمع التراب ويقسمه نصفين أو ثلاثاً ويجعل فيه خبيثاً، والمفايل الاسم بغير همز. فشبه شق السفينة

الماء بصدرها بشققهم التراب، وقوله:

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ، مَا أَخْطَأَ الْفَتَى، ... لِكَاطُولِ الْمُرْخَى وَثِنْيَاهُ بِالْيَدِ

وقوله:

وَوَجْهٌ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِءَاءَهَا ... عَلَيْهِ، نَقِيَ اللَّوْنُ لَمْ يَتَّخِذْ

قال الأصمعي: هذا حسنٌ كلّه وغيره أحسن منه، وقد شرّكهُ في هذه المعاني جماعة من الشعراء. وبعد فطرقة صاحبٍ واحدة، لا يُقطع بقوله على البحور، وإنما يُعدّ مع أصحاب الواحدة. قال: ومن أصحاب الواحدة؟ قال: الحارث بن حلّزة، والأسعر الجعفي، والأفوه الأودي، وعلقمة الفحل، وسويد بن أبي كاهل، وعمرو بن كلثوم، وعمرو بن معديكرب. قال الأصمعي: فاستخفت الرشيد الأريحية فقال: اذن، فإتلك جحيش وحدك، قال: فزاد في عيني نُبالاً. فقال جعفر متمثلاً: لبث قليلاً يلحق الهيجا حمل. يعرض بأنه يجوز أن يلحق هو ما يحاوله. فقال الرشيد:

فأنتك والله السوابق في المدى ... وجئت سكيناً ذا زوائد أربعا  
قال: ورأيت الحمية في وجهه. فقال جعفر: على شريطة حلمك يا أمير المؤمنين، فقال: أترأه يسع غيرك ويضيقُ عنك؟! فقال جعفر: لست أنص على شاعر واحد أنه أحسن الناس تشبيهاً في بيت واحد، ولكن قول امرئ القيس من أحسن التشبيه حيث يقول:

كأن غلامي إذ علا حال متنه ... على ظهر بازٍ في السماء محلق  
وقال عدي بن الرقاع:

يتعاوران من الغبار ملاءة ... غرباء مُحَكَمَةٌ هما نَسَجاها  
تطوى إذا علوا مكاناً ناشراً ... وإذا السنابك أسهلت نَشراها  
وقول النابغة:

فإتلك شمسٌ والملوك كواكبٌ ... إذا طلعت لم يبدَ منهنّ كوكبٌ  
من هذا المعنى أخذ نصيب قوله:

هو البدر والناس الكواكب حوله ... وهل تُشبه البدر المضيء الكواكب  
قال الأصمعي: هذا كلّه ناصعٌ بارع وغيره أبرع منه، وإنما يحتاج أن يقع التعيين على ما اخترعه قائله فلم يعرض له، أو تعرض له شاعرٌ فوقه دونه.

فأما قول امرئ القيس: على ظهر بازٍ في السماء محلق، فمن قول أبي داود:

إذا شاء راكبه ضمه ... كما ضمّ بازٌ إليه الجناحا

وأما قول عدي: يتعاوران من الغبار ملاءة، فمن قول الخنساء:

جارى أباه فأقبلا وهما ... يتعاوران ملاءة الحُضُر

وأول من نطق بهذا المعنى شاعرٌ جاهلي من بني عُقيل، قال من أبيات:

قفارٌ مَرُورَاتٍ يحارُ بها القَطَا ... ويضحى بها الجأبانِ يعتركانِ

يثيران من نسج العجاج عليهما ... فَمِصِينِ أسْمالاً ويرتديانِ

وأما قول النابغة: فإتلك شمس البيت، فقد تقدّمه فيه شاعر قديم من شعراء كِنْدَةَ بمدح عمرو بن هند وهو أحق به من النابغة إذ كان أباً عُذْرَتَه:

تكادُ تَمِيدُ الأَرْضُ بالناس أن رأوا ... لعمرو بن هِنْدٍ غضبَةً وهو عاتبٌ

هو الشمس فآقت يوم سعدٍ فأفضلت ... على ضوءِ والملوك كواكبُ

قال: فكأنني والله ألقمت جعفرًا حجراً، واهتز الرشيد من فوق سريره أشراً فكاد يطيرُ عجباً وطرباً وقال: يا

أصمعيّ اسمع ما وقع اختياري عليه الآن. فقلت: ليقُل أمير المؤمنين، أحسنَ الله توفيقه. قال: قد عيّنتُ علي ثلاثة أشعارٍ أقسم بالله إني أملكُ قصبَ السِّيقِ بأحدها؛ فهل تعرفُ يا أصمعيّ تشبيهاً أفخم وأعظم في أحقر مشبهٍ وأصغرهِ في أحسن مَعْرِضٍ من قول عنترة:

وخلَا الذُّبَابُ بِهَا فليس بيارِحٍ ... غَرْدًا كَفَعَلَ الشَّارِبِ المِترَئِمِ  
غَرْدًا يَسِنُ ذِرَاعَهُ بذِرَاعِهِ ... قَدَحَ المِكبَّ على الزَّنَادِ الأَجْدَمِ

ثم قال: يا أصمعيّ، هذا من التشبيهات العُقم، فقلت: هو كذلك يا أمير المؤمنين، وبمجدك آليتُ ما سمعتُ أحداً وصف في شعرٍ شيئاً أحسن من هذه الصفة، ولا استطاع بلوغ هذه الغاية. قال: مهلاً لا تعجل، أتعرفُ أحسن من قول الحُطَيْئة في وصف لُغَامِ ناقته أو تعلم أحداً قبله أو بعده شبه تشبيهُه حيث يقول:

ترى بين لَحْيَيْهَا إذا ما تَبَعَمَتْ ... لُغَاماً كَيَبِتِ العنكبوتِ المَدَدِ

قال: فقلت: ما عَلِمْتُ أحداً تقدّمه أو أشار إلى هذا المعنى بعده، قال: أتعرفُ أبرعَ وأوقَع من تشبيه الشَّمَاخ لنعامةٍ سقط ريشها وبقي أثره في قوله:

كأنما مُثَنِّي أقماعٍ ما مَرَطَتْ ... من العَفَاءِ بِلَيْتَيْهَا الثَّالِيلِ

فقلت: لا والله، فالنفت إلى يحيى وقال: أوجب؟ قال: وجب. قال: أفأزيدك؟ قال: وأي خيرٍ لم يزدني منه أمير المؤمنين؟ قال: قول النابغة الجعدي:

رمى ضِرْعَ نابٍ فاستهَلَّ بَطَعْنَةٍ ... كحاشيةِ البُرْدِ اليماني المَسَهَمِ

ثم النفت إلى الفضل فقال: أوجب؟ قال: وجب، فقال: أزيدك؟ قال: ذاك إلى أمير المؤمنين، قال: قول الأعرابي:

بها ضَرْبُ أُنْدَابِ العَفَايا كَأَنَّهُ ... مَلَاعِبُ وِلْدَانٍ تُحْطُ وتَصْمَعُ

ثم النفت إلى جعفر فقال: أوجب؟ قال: وجب. قال: أفأزيدك؟ فقال: لأمر المؤمنين غلّو الرأي، قال: قول عدي بن الرقاع:

تُرْجِي أَعْنَ كَأَنَّ إبْرَةَ رَوْقِهِ ... قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

قال: ثم أطرق الرشيد، ورفع طرفه وقال: يا أصمعي، أترك، تغبني عقلي بانحطاطك في هواي؟ فقلت: كلا والله يا أمير المؤمنين إنك لتجِلُّ عن الحَرَشِ قال: انظرُ حسناً، قلت: قد نظرتُ، قال: فالسبق لمن؟ قلت: لأمر المؤمنين. قال: قد أسهمتُك منه العُشْرُ، والعُشْرُ كثير، ثم رمى بطرفه إلى يحيى فقال: المال، همدداً ووعيداً، فما كان إلا كلاً ولا، حتى نُصِدَّتِ البِدْرُ بين يديه فكادتُ تحولُ بيني وبينه، ورأيتُ ضوءَ الصبحِ قد غلبَ ضوءَ الشمعِ، فأشار إلى خادمٍ على رأسه فدفعَ إليّ من المال، وهو ثلاثة ألفِ درهمٍ، ثلاثين بَدْرَةً، فانصرفتُ بها إلى المنزل، ونهض عن مجلسه. فكانت أسعدَ ليلةٍ ابتسمَ بها صباحٌ عن ناجزِ الغنى.

قال بشار: ولما نظمتُ قولي كأنّ مثار التّقع البيت وقد تقدم ذكره، عُدتُ أوردتُ المعنى في أقرب لفظٍ فقلت:

من كلِّ مُشْتَهَرٍ في كَفِّ مُشْتَهَرٍ ... كأنَّ عُرْتَهُ والسيفَ نُجْمَانِ

فشبهتُ عُرَّةَ الرجل والسيفَ بنجمين. وتبعه مسلم بن الوليد فقال:

في جَحَلٍ تُشرقُ الأرضُ الفضاءُ به ... كالليلِ أجمُهُ القُضبانُ والأسلُ  
وأخذَه منصور التّمريّ فقال:

ليلٌ من التَّفَعِّ لا شمسٌ ولا قمرٌ ... إلا جبينك والمدروبةُ الشُّرْعُ  
ولرجلٍ من بني أسدٍ يقول:

حَلَقَ الحِوَادِثُ لَمَتِي فَتَرَكَنِي ... رَأْسًا يَصِلُ كَأَنَّهُ جُمَاحُ  
وَزَكَ بِأَصْدَاغِي وَقَرْنَ ذُؤَابَتِي ... قَبَسُ الْمَسِيبِ كَمَا زَكَ الْمِصْبَاحُ  
جُمَاح: وجمعه جَمَامِيح، وهو سهمٌ صفرٌ لا رُجَّ له، يُجعلُ في رأسه طينٌ كالكتلةِ يلعبُ بها الصبيان. وقريب من  
هذا التشبيه قول الآخر وله حكاية:

وَرُحْتُ بِرَأْسِ كَالصُّخَيْرَةِ أَشْرَفْتُ ... عَلَيْهَا عِقَابٌ ثُمَّ طَارَ عِقَابُهَا  
وَرَاحَ بِهَا نُورٌ تَرَفُّ كَأَنَّهَا ... سَلَسِيلُ بَرَقٍ وَبُلْهَا وَانْسَكَابُهَا  
وَأَنشَدَ أَبُو زَيْدٍ:

كَأَنَّ مَلْقَى زِمَامٍ عِنْدَ رَكْبَتِهَا ... عَلَى الْجِدَالَةِ أَيْنُ غَيْرِ مُنْسَابٍ  
وقال أبو دؤاد الإيادي:

تَنَازَعُ مَعْنَى حَضْرَمِيٍّ كَأَنَّهُ ... حُبَابٌ نَقَاً يَتَلَوُّهُ مَرْتَجِلٌ يَرْمِي  
وقال النابغة الذبياني:

مَقْدُوفَةٌ بِدَحِيسِ التَّحْضِ بِأَزْلِهَا ... لَهُ صَرِيفٌ، صَرِيفَ الْقَعْوِ بِالْمَسَدِ  
هذا يسمونه أهلُ البديع التشبيه المعرى، فإذا شَبَّهُوا ما لَهُ حَرَكَةٌ وَجَرَسٌ نَصَبُوا كَمَا قَالُوا: صَرِيفٌ صَرِيفٌ،  
نَصَبًا، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ رَفَعُوا كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ: لَهُ رَأْسٌ رَأْسُ الْأَسَدِ، رَفَعًا.  
ومنه تشبيهٌ بِالْفِعْلِ وهو قولهم: هو يَفْعَلُ فِعْلَ الْكِرَامِ، وَيَحْلُمُ حِلْمَ الْأَحْنَفِ. والمعنى: يَفْعَلُ فِعْلًا كَفِعْلِ الْكِرَامِ،  
وَيَحْلُمُ حِلْمًا كَحِلْمِ الْأَحْنَفِ. ومنه قوله تعالى: (وترى الجبالَ تحسبها جامدَةً وهي تمرُّ مرَّ السَّحابِ). وقال عنترة  
في تشبيه الألوية:

كَتَاتِبُ تَرْجِي، فَوْقَ كُلِّ كَتِيَةٍ ... لَوَاءٌ كَطِلِّ الطَّائِرِ الْمُتَصَرِّفِ  
وله في تشبيه القتلى:

كَأَنَّهُمْ بَجْنِبِ الشَّعْبِ صَرَغِي ... تَسَاقَوْا بَيْنَهُمْ كَأَسِ الْمُدَامِ  
وله في تشبيه الدَّمَعِ:

أَقْمِنَ بُكَاءِ حَمَامَةٍ فِي أَيْكَةٍ ... فَاصَتْ دُمُوعُكَ فَوْقَ ظَهْرِ الْحَمَلِ  
كَالدَّرِّ أَوْ نَظْمِ الْجُمَانِ تَقَطَّعَتْ ... مِنْهُ مَعَاقِدُ سَلِكِهِ لَمْ يُوَصَّلِ  
وقال أبو نَضْلَةَ يموتُ بن المُرَّع:

وَالْبَدْرُ يَجْنَحُ لِلْغُرُوبِ كَأَنَّمَا ... قَدْ سَلَ فَوْقَ الْمَاءِ سَيْفًا مُذْهَبًا  
وله:

لَمْ أُنْسَ دِجْلَةَ وَالِدُجِي مُتَصَرِّمٌ ... وَالْبَدْرُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ مَغْرَبٌ  
فَكَأَنَّهَا فِيهِ رِداءٌ أَرْزَقٌ ... وَكَأَنَّهُ فِيهِ طِرَارٌ مُذْهَبٌ

قال أبو محَلِّمٍ يصفُ الشمسَ:

مُخْبِئَةٌ أَمَّا إِذَا اللَّيْلُ جَنَّهَا ... فَتَخْفَى وَأَمَّا بِالنَّهَارِ فَتُظْهِرُ



وقال الكندي يصف الثريا:

إذا ما الثريا في السماء تعرضت ... تعرض أثناء الوشاح المفصل

وقال ذو الرمة:

وردت اعتسافاً والثريا كأنها ... على قمة الرأس ابن ماء مخلق

وقال قيس بن الأسلت، وأجاد:

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى ... كعتقود ملاحية حين نورا

وقال يزيد ابن الطثرية:

إذا ما الثريا في السماء كأنها ... جمان وهي من سلكه فتبددا

وقال بعضهم:

فاغتنم شربها فقد فضح اللي ... ل هلال كأنه فتر زند

والثريا خفاقة في رواق ال ... غرب تموي كأنها رأس فهد

وقال الحميري في قتلى علي عليه السلام:

ترى الطير مثل النسا حوله ... غدون الى مدنف عودا

وقال أعرابي في تشبيه الدروع:

عليها كالتناء مضاعفات ... من الماضي لم تؤد المتونا

وقال أبو دؤاد الإيادي:

وأعددت للحرب فضفاضة ... تضاءل في الطي، كالمبرد

وقال كعب بن سعد الغنوي:

وقوم يجرون الثياب كأنهم ... نشاوى وقد نبهتهم لرحيل

يصفهم بالنعاس. وقال زهير في تشبيه آثار الديار بالنقوش في الأكف والمعاصم:

ودر لها بالرقمتين كأنها ... مراجع وشم في نواشر معصم

وقال عنتره في تشبيه حنك الغراب:

خرق الجناح كأن لحبي رأسه ... جلمان بالأخبار هش موع

وقال الراعي يصف قانصاً جعد شعر الرأس:

فكان ذروة رأسه من شعره ... زرعت فأنبت جانبها الفلأفلا

وقال ذو الرمة:

وليل كجلباب العروس ادرعته ... بأربعة والشخص في العين واحد

قال مضر بن ربيعي يصف نعامة:

صعراء عارية الأحدع رأسها ... مثل المدق وأنفها كالمسرد

وقال النابغة يصف النسور:

تراهن خلف القوم زوراً عيونها ... جلوس الشيوخ في مسوك الأراب

وقالت أخت عمرو ذي الكلب وأحسنت:

تمشي النورُ إليه وهي لاهيةٌ ... مشي العذارى عليهنّ الجلاببُ  
وقال ذو الرمة في تشبيه الرمل بأوراك العذارى:  
ورمل كأوراك العذارى قطعته ... إذا لبيسته المظلمات الحنادسُ  
ولقد أبدع السيد الحميري وأحسن في وصف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتشبيهه بريح عادٍ  
ولم يُسبق إلى ذلك:

لكن أبو حسن، والله أيده ... قد كان عند اللقا للطنع مُعتادا  
إذا رأى معشراً حرباً أنامهم ... إنامة الريح في أياها عادا  
وقال الكندي:

جمعت رديتياً كأن سنانه ... سناهب لم يتصل بدخان  
وأنشد الحامض:

كأن ما يسقط من لغامها ... بيت عنكبوت على زمامها  
هذا كبيت الخطيئة وقد تقدم ذكره، والمعنى أنه شبه اللغام ببيت العنكبوت لاجتماعهما في النحافة، وبعدهما عن  
الكثافة. يُقال: عنكبوتٌ وعنكبوتٌ كما قالوا: عقابٌ وعنقابة ويقال: عنكباء، وفي هذا تعليلٌ يطول شرحه وليس  
هذا موضعُه. وقال معمرُ البارقي في تشبيهه الجيوش:  
وقد جمعاً جمعاً كأن زهاءه ... جرادٌ سفا في هبوةٍ مُتطايِرُ  
وقال أيضاً:

فبأكرههم عند الشروق كئيبٌ ... كأركان سلمى سيرها مُتواتِرُ  
وقال الحكمي يصف سفينةً:

فكأنها والماء ينطح صدرها ... والخيزرانة في يد الملاح  
جونٌ من العقبان تبتدر الدجى ... تُهوي بصوتواصطفاق جناح  
وهذا بابٌ وسيع الأرجاء، بعيد الانتهاء، كالبحر لا تُحصى أمواجه، ولا يُستقصى منهاجه، وفيما أوردناه فضلاً  
على الكفاية. ومنها:

### باب الحشو السديد في المعنى المفيد

قال أبو الشيص الخزاعي:

إن الثمانين، وبلغتها، ... قد أحوجت سَمعي إلى ثُرْجُمانِ  
قوله: وبلغتها، حشو سديد وقد أفادت من الدعاء معنى جيداً. وأنشد البيهقي:  
فمن لي بالعين التي كنت مرة ... إلي بها، نفسي فداؤك، تنظرُ  
قوله: نفسي فداؤك، كقوله: وبلغتها، في الدعاء. وقال أبو الوليد عبد الملك بن عبد الرحمن الحارثي:  
فلو بك ما بي، لا يكن بك، لاغتدى ... وراح إليك البري والتقربُ  
قوله: لا يكن بك حشو حسن. وأنشد أبو عمرو بن العلاء الجاهلي:  
وعودٌ، قليل الذئب، عاودتُ ضربهُ ... إذا هاج شوقي من معاهدتها ذكُرُ

وقلتُ له ذَلْفَاءُ، ويحك، سببتُ ... لك الضربَ فاصبرُ إنَّ عادتكَ الصَّبرُ  
أخذ ابنُ المعتزِّ هذا المعنى فقال:

وخيل طواها القودُ حتى كأنها ... أنابيبُ سُمٍّ من قنا الخطِّ ذُبُلُ  
صَبَبْنَا عليها، ظالمين، سيَّطْنَا ... فطارتَ بها أيدي سِراعٍ وأرجُلُ

قوله: ظالمين مثل قوله: قليل الذنب فهذا هو الحشو السديد، في اللفظ المفيد. أما إذا كان الحشو كقول أبي  
العيال الهدلي:

ذكرتُ أخي فعاودني ... صداعُ الرأسِ والوصبُ

فالصداعُ لا يكون إلا في الرأس، وذكرُ الرأسِ حشوٌ غيرُ سديد، ومثله قول ديك الجن:

فستفتُ في البيتِ إذ مُرِجتُ ... بالماءِ واستلتُ سنا اللهبِ

كتنفُ الرِّيحانِ خالطُهُ ... من وردِ جورِ ناضِرِ الشَّعبِ

فذكرُهُ المزجِ يعني، وذكرُهُ الماءَ زيادةً لا يحتاج إليها، ولقد قصر عن قول أبي نواس:

سلوا قناعَ الطينِ عن رمقٍ ... حيِّ الحياةِ مُشارِفِ الحنقِ

فستفتُ في البيتِ إذ مُرِجتُ ... كتنفُ الرِّيحانِ في الأنفِ

وهذا مثالٌ في هذا الباب كافٍ. ومنها:

#### باب المتابعة

المتابعة في الكلام المنثور الشعر المنظوم أن يأتي المتكلمُ بالمعاني التي لا يجوز تقديم بعضها على بعض، لأن المعاني  
فيها متتالية، فالأول يتلوه الثاني والثاني يعقبه الثالث، إلى أن ينتهي المتكلمُ إلى غاية مراده. ولا يجوز تقديم الثاني  
على الأول، ولا الثالث على الثاني، مثال ذلك قوله تعالى: (هو الذي خلقكم من ترابٍ ثم من نُطفَةٍ ثم من علقَةٍ،  
ثم يُخرِجُكُمْ طفلاً ثم لتبلِّغوا أشدَّكُمْ ثم لتكونوا شيوخاً). وقال تبارك وتعالى: (فناداها من تحتيها ألا تحزني قد  
جعل ربك تحتك سرياً. وهزني إليك بمجدع التخلية تُساقط عليك رطباً جنياً. فكلي واشربي وقري عينا). فهذا  
من أحسن صناعة الكلام في هذا الباب فسبحان المتكلم به وتعالى علواً كبيراً. وأنشد الأصمعي:

لكنها خُلَّةٌ قد سيطَ من دمها ... فجعَّ وولَّعَ وإخلافٌ وتبديلُ

الفجعُ: الغدرُ، والولعُ: الكذبُ. وقولهم: الدنيا لا تؤمن فجائعها، أي غدراتها، ووجه المتابعة أن الغدر إذا وقع

تبين الكذبُ، وإذا وقع التبديلُ ظهر الخلافُ. وقال زهير:

يؤخرُ، فيوضَعُ في كتابٍ، فيُدَّخِرُ ... ليومِ حسابٍ، أو يعجلُ فيُنقِمَ

وقال الشنفرى:

بعيني ما أمستُ، فباتتُ، فأصبحتُ ... فقضتُ أموراً، فاستقلتُ، فولتُ

وقال أروطاء بن سُهَيْبَةَ:

أكلتُم دماً وشربنا دماً ... فلم نُرو منه ولم تشبعوا

وقال ابنُ سليمان الكلابي:

فما زالَ منهم دامرٌ ومطاعنٌ ... على حالةٍ أو ضاربٌ ومطاعنُ

وقال أعشى عُكَل:

وَقَفْنَا بِهَا حَتَّى مَضَتْ سَوْرَةُ الضُّحَى ... نُقَضِّي لِبَانَاتٍ وَنَبْكِي تَصَابِيَا  
وَنُهْدِي تَحِيَّاتٍ وَنُبْدِي صَبَابَةً ... وَنُخْفِي مِنَ الْوَجْدِ الَّذِي لَيْسَ خَافِيَا  
أَمَا الْبَيْتُ الْأَوَّلُ فَلَا شَاهِدَ فِيهِ وَلَكِنْ أَتَبَّنَاهُ لَوْضُوحِ الْبَيْتِ الثَّانِي، وَيَجُوزُ فِيهِ التَّقْدِيمُ وَالتَّأخِيرُ. وَأَمَا الْبَيْتُ الثَّانِي  
فَوَجْهُ الْمَتَابَعَةِ فِيهِ أَنَّ التَّحِيَّاتِ هِيَ الَّتِي يُبْدَأُ بِهَا، ثُمَّ تَبْدُو الصَّبَابَةُ وَتُخْفِي بَعْضُهُ، وَإِنْ كَانَ لَا يَخْفَى كَمَا ذَكَرَ.

وقال زيادُ الأعجم:

يَالْ لَكَيْزٍ دَعْوَةٌ غَيْرَ نَدِيمٍ ... أَعْتَزِي سَبِيَّ ثَمَّتْ لَمْ  
يُلْطَمَ وَلَمْ يَفْجَدْغْ وَلَمْ يُخْضَبْ بَدَمٌ

وقال عمرو بن الحارث:

فَقَدْ يَعْتَرِي قِدْرِي وَأَعْرِفُ حَمَهَا ... فَأَصْبَحُ نَدْمَانِي فَأَكْسَبُ مُحَمَّدِي  
الاعتراء يكون أولاً ثم العرف، ثم السقي وبعد ذلك يكتسب الحمد. وقال الجون النمري:

مَنْ مَبْلُغٌ شَبِيانَ أَنْ ... نِي لَمْ يَكُنْ أَمْرِي خَفِيًّا  
رَامِيَّتُهُ حَتَّى إِذَا ... مَا كَانَ نَبْلَانًا نَفِيًّا

طَاعَتُهُ حَتَّى إِذَا ... مَا كَانَ رُمْحَانًا شَطِيًّا

ضَارِبَتُهُ حَتَّى إِذَا ... مَا كَانَ سَيْفَانًا حَنِيًّا

أُنْحَنَّتُهُ غَلْبًا وَكَأ ... نَ مُمْنَعًا قِدْمًا أَيْبًا

أَعْطَيْتُهُ رَحْلِي وَرَا ... حَلْتِي وَكُورًا حَمِيرِيًّا

أَرَأَيْتَ لَوْ لَدَغْتَ أَحَا ... كُمْ حَيَّةً فِي الْأَرْضِ قَيًّا

أَوْ نَالَهُ مَرَضُ الْمَنُو ... نِ فَمَا عَلِيٍّ وَمَا لَدَيَّا

ولهذه الأبيات حكاية يطول شرحها، وإنما نذكر اليسير منه: وذلك أنه لما كان يوم أوارة، أسر الجون النمري حارثة بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، فغلب الملك المنذر على الجون، وأخذ منه حارثة فقتله وأدعت بنو شيبان أن الجون قتله، فقال هذا الشعر يصف حاله معه، فابتدأ بذكر الرماء الذي هو أول الحرب، وتنى بذكر الطعان، ثم بذكر الضرب، ثم الغلبة لأحد الفريقين تكون؛ فإما من أو قتل، فلما استوفى ذلك، أتبعه بعتاب كالمعتذر إليهم، وفي هذا المثال كفاية. ومنها:

باب المخلص المليح إلى الهجاء والمديح

قال علي بن المنجم: سألت أبي، وكان من فرسان العلم بالشعر، عن أحسن مخلص تخلص به شاعر إلى مدح أو هجو فقال: يا بني، هذا مذهب تفرد به المحدثون، فقلما يتفق الإحسان فيه لمتقدم. فأما ما وجدت أهلنا ومجمعين عليه منذ ذلك فقول محمد بن وهيب:

مَا زَالِي لِيْمُنِي مَرَاشِفُهُ ... وَيَعْلُنِي الْإِبْرِيْقُ وَالْقَدْحُ

حَتَّى اسْتَرَدَّ اللَّيْلُ خَلْعَتَهُ ... وَبَدَا خِلَالَ سَوَادِهِ وَضَحُ

وَبَدَا الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ ... وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ

وإنما نظر من هذا المعنى إلى قول الأعرابي:

أَقُولُ وَالتَّجْمُ قَدْ مَالَتْ مِيَا سِرُّهُ ... إِلَى الْغُرُوبِ تَأَمَّلْ نَظْرَةَ حَارِ  
الْمَحَّةَ مِنْ سَنَا بَرَقَ رَأَى بَصْرِي ... أَمْ وَجْهٌ نُعْمٍ بَدَا لِي أَمْ سَنَا نَارِ  
بَلْ وَجْهٌ نُعْمٍ بَدَا وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ ... فَلَاحَ مِنْ بَيْنِ حُجَابٍ وَأَسْتَارِ  
وَقَالَ حَسَّانَ فِي الْهَجَاءِ:

إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثْتَنِي ... فَتَجَوَّتْ مِنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ  
تَرَكَ الْأَحْبَةَ أَنْ يِقَاتِلَ دُونَهُمْ ... وَنَجَا بِرَأْسِ طَيْرَةٍ وَلِجَامِ  
وَاللُّمَّحَدَّثِينَ فِي هَذَا الْبَابِ أَشْعَارٌ حَسَنَةٌ كَثِيرَةٌ لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى الْإِطَالَةِ بِذِكْرِهَا فَفِيهَا أوردناه كفاية، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ  
لِلصَّوَابِ. وَمِنْهَا:

### باب التضمين

وَيُسَمَّى التَّسْمِيْطُ وَالتَّوْشِيْحُ، وَهَذَا فِي شِعَارِ الْعَرَبِ قَلِيْلٌ جَدًّا، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْمُحَدَّثُونَ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يَأْتِي عَلَيْهِ  
الْإِحْصَاءُ كَثْرَةً وَعَدًّا، وَالْبَسِيْرُ مِنْهُ دَلِيْلٌ عَلَى الْكَثِيْرِ. قَالَ الْأَخْطَلُ:  
وَلَقَدْ سَمَّا لِلْحُرْمِيِّ فَلَمْ يَقُلْ ... بَعْدَ الْوَيْنِ لَكِنْ تَضَائِقٌ مُقَدَّمِي  
ضَمَّنَ قَوْلَ عَنْتَرَةَ:

إِذْ يَتَّقُونَ بِي الْأَسِنَّةَ لَمْ أَحِمُّ ... عَنْهَا وَلَكِنِّي تَضَائِقٌ مُقَدَّمِي  
وَقَالَ آخَرَ مِنْ أَيْبَاتِ:

مَتَى أَبُكَ إِفْلَاسًا وَبُؤْسًا وَفَاقَةً ... يَقُولُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجْمَلُ  
لَقَدْ طَالَ تَرْدَادِي وَحَبْسِي عَلَيْكُمْ ... فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مَعْوَلِ  
خَلَقْتُ عَلَى بَابِ الْأَمِيرِ كَأَنِّي ... قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيْبٍ وَمَنْزَلِ  
وَقَالَ آخَرَ:

قَالَ لِي عَمْرُهَا وَقَدْ غَارَ لَتْنِي ... لَا تُعْرَجُ بَدَارِسَاتِ الطُّلُولِ  
وَمِنْهَا:

### باب تجاهل التعارف

وَمَعْنَى تَجَاهُلِ التَّعَارَفِ أَنَّ الشَّاعِرَ أَوْ النَّاتِرَ يَسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ يَعْرِفُهُ سَوَّالٌ مِنْ لَا يَعْرِفُهُ لِيَعْلَمَ أَنَّ شِدَّةَ الشَّبَهِ بِالْمُشَبَّهِ  
قَدْ أَحْدَثَتْ عِنْدَهُ ذَلِكَ، وَهُوَ كَثِيْرٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَخَطْبِهِمْ. قَالَ ذُو الرِّمَّةِ:

أَقُولُ لِأُدْمَانِيَّةٍ عَوْهَجٍ جَرَتْ ... لَنَا بَيْنَ أَعْلَى عُرْفَةٍ فَالْصَّرَائِمِ  
أَيَا ظِيْبَةَ الْوَعْسَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلِ ... وَبَيْنَ النَّقَا آ أَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمِ  
وَأَنْشَدَ ابْنَ دَرِيْدٍ لِبَعْضِهِمْ:

أَعْنِ الْبَدْرِ عِشَاءً ... رُفِعَتْ تِلْكَ السُّجُوفُ  
أَمْ عَنِ الشَّمْسِ تَسْرَى ... مَوْهِنًا ذَاكَ التَّصِيْفُ

أم على لِيَتِي غَرَال ... عَلَّقَتْ تَلِك الشَّنُوفُ  
أم أَرَاكَ الحَيْنُ مَا لَمْ ... يَرَهُ القَوْمُ الوُقُوفُ

فأما قوله تعالى: (وما تلك بيمينك يا موسى؟ قال: هي عصاي). فالمراد بهذا السؤال مع العلم به، إظهار المعجز الذي لم يكن موسى يعلمه في العصا، وقد سماه أهل الصنعة سؤال التقرير، وكذلك قوله تعالى: (وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله)، وقد علم الله تعالى أنه لم يقل ذلك، والمراد به توبيخ من ادعى ذلك وتكذيب من قال به، فهو سؤال مُقَرَّر لا سؤال مستخبر فاعرفه. ومنها:

### باب الماتنة والإنفاد والإجازة

أما الماتنة فهي تنازع الشعريين بينهما بيتاً، يقول أحدهما صدره والآخر عجزه.  
وأما الإنفاد والإجازة، فالإنفاد، بالدال غير المعجمة، هو من قولهم: خصمٌ مُنَافِدٌ إذا خصم حتى تنفد حُجَّتَهُ. وتقول: نافدت الرجل، مثل حاكمته. وفي الحديث: إن نافدتهم نافدوك. وهو أن يقول الشاعر بيتاً تاماً ويقول الآخر بيتاً.

وأما الماتنة فقد روي أن غلاماً من بني جنب يُقال له رفاعة، ويقال: إنه المحترش، نبغ في الشعر وماتن شعراء قومه حتى أبر عليهم. فلما وثق من نفسه بذلك قال لأبيه: لأخرجن في قبائل اليمن؛ فإن وجدت من يماثني رجعت إلى بلادي، وإن لم أصادف من يماثني تفرقت قبائل العرب كلها. فنزل بصيرم من بني همد، والحبي خُلوفاً، فأناخ حجرة عن الحواء فإذا عجوز حيزبون قد أقبلت تتوكأ على محجن فقالت: عم ظلاماً، فقال: نعم ظلامك، فقالت: ممن الرجل؟ فقال: من مدحج، قالت: من أيهم؟ قال: من جنب، قالت: أصيف؟ قال: نعم، قالت: فلا رحمك الله، ما عدوت أن بخلتنا وأسأت أحدثتنا، ثم أثار راحته وقالت: قم إلى قبة أضيافنا. فما ملكته راحته حتى أتت بها القبة فأناختها ثم حطت رحله وكفتته في خباثها وأمرت وليدة لها فجاءت بمديّة وعتود يمرح في إهابه سمناً وقالت: اذبح أيها الرجل، واعتجنت وامتلت وطبخت، وقربت طعاماً، فجلس الرجل والعجوز والوليدة يأكلون. فقالت له العجوز: ما رمى بك هذه البلاد؟ فأخبرها بحبره، فضحكت وقالت: بت ناعماً أجنتك غداً بعشر خرائد يماثنتك دون الرجال، فإن غلبت فارجع إلى بلادك. فلما أصبح أقبلت العجوز ومعها ثلاث فتيات كالمهرات، فانتبذت حجرة، ثم أشارت إلى واحدة منهن فأقبلت كالعيذانة يميلها الصبا فقالت: أنت المتحدّي بالماتنة؟ فقال: نعم، فقالت: قل أسمع، فقال:

سَوَامٌ تَدَاعَتْ بِالْحَيْنِ عَشَارُهَا

فقالت:

حوامل أُنْقَالِ تنوءُ فندلحُ

فقالت:

إذا أيهت في حَجَرَتَيْهَا رِعَاوُهَا

فقالت:

سَمَتْ فُرُقٌ مِنْهَا شَوَامِدُ لُقْحُ

فقالت:

إذا وطئت أرضاً سقنتها بدرّها

فقلت:

أفأويق مسلك محضه لا يضح

فقال:

إذا انسفت أخلافها خلت ما جرى

فقلت:

على الأرض منها لجة تنصح

فقال الرجل للعجوز: أطلقة هذه الجارية أم ذات بعل؟ فقلت:

عقال لعمر الله لو شئت بتّه ... شرادي ولكن التكرم أجدر

قال الرجل: فعجت إلى رحلي، فقلت العجوز: رويدا أجلب لك الأخرى، فقال: أروئي الأولى، فقلت: إلحق

الآن بأرضك. قال الرجل: فخرجت أريد الرجوع إلى قومي ثم أبي لي اللجاج إلا قصد ما خرجت له، فدفعت

إلى صرم من جرم، وإذا أصيبة يلعبون على غدير فنزلت أنظر إليهم، وإذا هم يرتجزون، فدعوت غلاماً من

أنشزهم فقلت: يا غلام هل في صرمكم هذا من يمانني فإني قد أبررت على شعراء العرب، فقال: أنا أمانتك،

فقلت: أنت أيها القصيعل! فقال: قل ودع عنك ما لا يجدي عليك.

فقلت:

أوايد كالجزع الظفاري أربع

فقال:

حماهّن جون الطرّين مولع

فقلت:

يروذ بهن الروض والأمن جارّه

فقال:

وأحلى هن المنتضى والمودع

فقلت: أولى لك، وامتطيت راحلي حتى دفعت إلى شيخ يرعى غنيمات له فاستقرئته، فقام مبادراً إلى قعب

فاحتلب عبّر ما في ضروعهنّ، ثم جاءني به فشربت، فلما اطمأنت قال لي: ما رمى بك هذا القطر؟ فأخبرته،

وكتبته ما لاقيت، فكشّر الشيخ ثم صاح بعلمة يرعون قريباً منه، فأقبل غلام منهم فقال: ادع عشرة، فما

لبث أن جاءت جويرة عجيفاء كأنها وبيلة خيسفوج حتى وقفت بين يديه فقال: إن ابن عمك هذا خرج من

بلادته يتحدى بالماننة فهل عندك شيء؟ فقلت: قل أيها المتحدي، وإنما لتقلب عينها كعيني أرقم، فقلت:

ما نطفة زرقاء في ظل صحرة

فقلت:

ذخيرة غراء الذرى جونة التصد

فقلت: نفى سيلان الريح عن متنها القذى فقلت:

وذادت غصون الأيك عن صفوها الوقد

فقلت :

يُشَابُّ مُجَاجٍ أَخْلَصَ الدَّبْرُ أَرِيَهُ

فقلت :

بِصَهْبَاءٍ صِرْفٍ جِيبَ عَنِ مَتْنِهَا الزَّبْدُ

قال: فتركتُ ما قصدته وملت الى جهةٍ أخرى، ووصفت ناقةً فضحكتُ وقالت: أَعَوَّصْتَ؟ فقلت: إذا انشَبَحَ الحِرْبَاءُ في رأسِ عودِهِ فقلت:

وَأَجَأُ أُمَّ الحِجْسَلِ في مَكْوِهَا الصَّخَدُ

قال رفاعه: فرجعت الى أهلي وآليت على نفسي أن لا أمتنَ بعدها أحداً ما عشت .

فهذا مثال في المماثلة كافٍ، ولولا الإطالة لأوردتُ من هذا النوع أشياءً طريفةً عجيبةً.

وأما الإنفاذ والإجازة فرُوي أن كعبَ بن زهير لما تحرك بالشعر كان أبوه زهير ينهاه عنه؛ مخافةً ألا يكون

استحکم شعره، فيروى عنه ما يُعابُ به. وكان يضربه على ذلك، فغلبه وطال ذلك عليه فأخذه وسجنه وقال:

والذي أخلف به لا تتكلمُ بيَّتِ شعر ولا يبلُغني أنك تُريغُ لشعرٍ إلا ضربتك ضرباً يُنكلك عن ذلك. فمكثَ

محبوساً أياماً ثم أخبر أنه تكلم به فضربه ضرباً مبرحاً، ثم أطلقه وسرحه في بهمةٍ وهو غليماً صغيراً، فانطلق فرعاها

ثم راح بها وهو يرتجز:

كأنما أحدو ببهمي عيرا ... من القرى موقرة شعيرا

فخرج زهيرٌ إليه وهو غضبان، فدعا بناقةً فركبها وتناوله فأردفه خلفه، ثم حرَّك ناقته وهو يريد أن يتعنَّتَ كعباً،

ويعلم ما عنده، ويطلع على شعره، فقال حين فصل من الحي:

وإني لتغدو بي على الهمِّ جسرةً ... تحبُّ بوصالٍ صرومٍ وتعنقُ

ثم ضربه وقال: أجز يا لكع، فقال:

كئيبانة القاري موضع رحلها ... وآثار نسعيتها من الدف أبلقُ

فقال زهير:

على لاجب مثل المجرة خلته ... إذا ما علا نشراً من الأرض مهرقُ

ثم قال: أجز يا لكع، فقال:

منيرٌ هداؤه ليله كنهاره ... جميع إذا يعلو الحزونة أفرقُ

فقال زهير:

تطلُّ بوغساء الكئيب كأنها ... خباء على صقبي بوانٍ مروقُ

ثم قال: أجز يا لكع، فقال:

تراخي به حبُّ الضحاء وقد رأى ... سماوة قشراء الوظيفين عوهقُ

فقال زهير:

تحنُّ الى مثل الحبابير جشم ... لدى منهج من قيضها المتفلقُ

ثم قال: أجز يا لكع، فقال:

تحطمَ عنها قيضها عن خراطم ... وعن حدق كالنبخ لم يتفلقُ



فأخذ زهير بيد كعب وقال له: قد أذنتُ لك في الشعر. ومنها:

باب السرقة

والسرقة في الأشعار تنقسم إلى قسمين: محمود ومذموم. وكانت فحول شعراء العرب تستقبح سرقة الشعر كما قال طرفة:

ولا أغبرُ على الأشعارِ أسْرِفُها ... عنها غنيتُ وشرُّ الناسِ من سرِّقا  
ومع هذا فلهم سرقاتٌ مُستقبحةٌ، وإغاراتٌ بزنادٍ الإكثارِ مُستقدحة.

فأما الحمود من السرقة فهو عشرة وجوه: الأول: استيفاء اللفظ الطويل في الموجز القليل. قال طرفة:

أرى قبرَ نحامٍ بحيلٍ بماله ... كقبرِ غويٍّ في البطالةِ مُفسدٍ

اختصره ابنُ الزبعرى فقال:

والعظيَّاتُ خِساسٌ يَبِينا ... وسواءُ قبرٍ مُشرٍ ومُقيلٍ

فشغل صدر البيت بمعنى وجاء بيت طرفة في عجز بيت أقصر منه بمعنى لائح، ولفظ واضح.

الثاني: نقل الرذال إلى الرصين الجزل. قال أعرابي يتمنى موت زوجته:

ألا إن موتَ العاميةِ لو قضى ... به الدهرُ لابنِ الوائليِّ حياةً

المعنى لطيفٌ واللفظ ضعيفٌ، أخذه أخو الحارث بن حلزة فقال:

لا تكنُ مُحْتَقِراً شأنَ امرئٍ ... رُبما كان من الشأنِ شُؤون

ربما قرئتُ عُيونٌ بشجاً ... مُرْمِضٍ قد سخنتُ منه عُيونُ

الثالث: نقل ما قبَّح مبناه دون معناه إلى ما حسن مبناه ومعناه. قال الحكمي:

بُحَّ صوتُ المالِ بما ... منك يشكو ويصيحُ

معناه صحيحٌ ولفظه قبيحٌ، أخذه سلمٌ فقال:

تظلمَ المالُ والأعداءُ من يده ... لا زالَ للمالِ والأعداءِ ظلاماً

فجمع بين تظلمين كريمين، ودعا للممدوح بدوام ظلمه للمال والأعداء، وجوّد الصنعة في لفظه وأخذه.

الرابع: عكس ما يصير بالعكس ثناءً بعد أن كان هجاءً.

ما شئتُ من مالٍ حمي ... يأوي إلى عِرْضِ مُباحٍ

فعكسه القائل فقال:

هو المرءُ أمّا ماله فمُحلَّلٌ ... لعافٍ وأما عِرْضُهُ فمُحرَّمٌ

الخامس: استخراج معنى من معنى احتذى عليه وإن فارق ما قصد به إليه. قال الحكمي في الحمُر:

لا ينزلُ الليلُ حيثُ حلَّتْ ... فدهرُ شرابها نهارُ

احتذى عليه البحري، وفارق مقصد الحكمي فجعله في محبوبة فقال:

غابَ دُجاها وأيُّ ليلٍ ... يدجو علينا وأنتِ بدرُ!

السادس: توليد كلام من كلام لفظهما مفترق ومعناهما متفق، وهو مما يدل على فطنة الشاعر، أنشد الأصمعي

لبعضهم:

غلامٌ وغىً تفحّمها فأودى ... وقد طحنته مرداة طحونُ

فإنّ على الفنى الإقدام فيها ... وليس عليه ما جنت المنون  
أخذه أبو تمام فقال:

لأمر عليهم أن تتم صدوره ... وليس عليهم أن تتم عواقبه  
المعنى متفق واللفظ مفترق، وهذا من أحسن وجوه السرقات.

السابع: توليد معانٍ مستحسناتٍ في ألفاظٍ مختلفاتٍ، وهذا قليلٌ في الأشعار، وكان من أجدر ما كدّ الشاعرُ  
فطنته فيه، إلا أنه صعبٌ. قال الشاعر:

كأن كؤوسَ الشربِ والليلُ مُظلمٌ ... وجوهُ عذارى في ملاحفَ سودٍ  
اشتقّ ابنُ المعتزّ منه قوله:

وأرى الثريا في السماء كأنها ... قدمٌ تبدت من ثيابِ حدادٍ

الثامن: المساواة بين المسروق منه والسارق، بزيادة ألحقت المسوق بالسابق. قال الديك:

مُشعّشةٌ من كفّ ظبيٍّ كأنما ... تناولها من خده فأدارها  
أخذه ابنُ المعتزّ فقال:

كأن سلافَ الحمرِ من ماءِ خده ... وعنقودها من شعره الجعد يُقطفُ

فزاد تشبيهاً هو من تمام المعنى، فمتساويا؛ هذا بقدمته، وهذا بزيادته، ومثله كثير.

التاسع: المماثلة في الكلام حتى لا يفضل نظامٌ على نظام. قال حسان بن ثابت:

يُغشون حتى ما همرُّ كلابهم ... لا يسألون عن السوادِ المقبلِ  
أخذه الحكميُّ فقال:

الى بيتِ حانٍ لا همرُّ كلابه ... عليّ، ولا يُنكرنَ طولَ ثوائي

لا فرق بين المعنيين ولا الكلامين فقد تماثلا.

العاشر: رُجحانُ لفظٍ الآخذ على المأخوذ منه وتفضيلُ معناه على معنى أصدره عنه. قال النابغة:

سقطَ التصيفُ ولم تُردْ إسقاطه ... فتناولته واتقتنا باليدِ

أخذه أبو حية النُميريُّ فقال:

فألقتُ قيناعاً دونَه الشمسُ واتقتُ ... بأحسنِ موصولين: كفٍ ومِعصمٍ

فلم يزدِ النابغة على الإخبارِ باتقائها بيدها لما سقطَ نصيفُها، فزاد عليه أبو حية بقوله: دونَه الشمسُ، وخبر عن

الاتقاء بأحسنِ خبر، من حُسنِ كفٍّ وحُسنِ معصمٍ، فرجحَ كلامه وعلا نظامه.

وأما المذمومُ من السرقةِ فعشرةٌ وجوه أيضاً: الأول: نقلُ اللفظِ القصيرِ الى الطويلِ الكثيرِ. قال الحكميُّ:

لا تُسدينَ إليّ عارفةً ... حتى أقومَ بشكرٍ ما سلفاً

أخذه دُعبلُ فقال:

تركتك، لم أترككُ كُفراً لنعمةٍ ... وهل يُرتجى نيلُ الزيادةِ بالكُفرِ

ولكنني لما رأيتهُ راغباً ... وأفرطتَ في برِّي عجزتُ عن الشكرِ

الشعرُ جيدٌ المعنى واللفظ، ولكنه أتى به في تطويلٍ وتضمينٍ، فنقل القصيرَ الى الطويل، وذلك مذمومٌ في السرقة.

الثاني: نقلُ الرصينِ الجزلِ الى المُستضعفِ الرذلِ. قال الأول:

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تَمُتْ ... إِنَّ الْكِلَابَ طَوِيلَةُ الْأَعْمَارِ  
ما زال يَنْبَحِي لِيَشْرُفَ جَاهِدًا ... كَالْكَلْبِ يَنْبَحُ كَامِلَ الْأَقْمَارِ  
أخذه ابن طاهر فقال:

وقد قتلناك بالهجاء ... ولكتك كلب معقف ذنبه  
فجمع بين فُحِ السَّرْقَةِ، وضعف العبارة، ولا وجه لذكر التعقيف في الذنب، لأنه غير دال على طول العمر،  
وهذا ظاهرٌ ومثله كثير .

الثالث: نقل ما حسن معناه ومبناه الى ما قبح مبناه ومعناه. قال الكندي:  
ألم ترَ أَنِّي كلما جئتُ طارقاً ... وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيب  
أخذه بشار فقال:

وإذا أذُنَيْتَ منها بَصَلاً ... غلبَ المسكُ على رِيحِ البَصَلِ  
وهذا أنزل شعر في الرذالة، كما أن بيت الكندي أرفع بيت في الجودَة والجزالة، وقد أخذ كثير المعنى، فطول  
وضمن وقصر، وزعم أنها إذا تبخرت كانت كالروضة في طيبها. ولا يُعَدَمُ هذا في أسهك البشر جسماً  
وأوضرهم حالاً، وشعره معروف.

الرابع: عكس ما يصيرُ بالعكس هجاءً بعدما كان ثناءً. قال حسّان بن ثابت:  
بيضُ الوجوه كريمَةٌ أحسابهم ... شَمُّ الأنوفِ من الطرازِ الأوّلِ  
أخذه ابن أبي فنن فعكسه فقال:

سودُ الوجوه لئيمَةٌ أحسابهم ... فُطْسُ الأنوفِ من الطرازِ الآخرِ  
الخامس: نقل ما حسنت أوزانه وقوافيه الى ما قبح وتقل على لسان راويه. قال الحكمي:  
دغ عنك لومي فإن اللوم إغراء ... وداوي بالتي كانت هي الداءُ  
أخذه الطائي فقال:

قدك أئيب أربيت في الغلواء ... كم تعذلون وأنتم سُجرائي  
فالحكمي زجر عدوله زجراً لطيفاً، أعلمه أن اللوم إغراء، وشغل عجز بيته بمعنى آخر، بكلام رطب، ومعنى  
عذب والطائي زجر عدوله بلفظ متعسف تصعب روايته، وتستكره قافيته .  
السادس: حذف الشاعر من كلامه ما هو من تمامه. قال الكندي:

نظرت إليك بعين جازنة ... حوراء حانية على طفل  
أخذه المسيب بن علس فقال:  
نظرت إليك بعين جازنة ... في ظل فاردة من السدر  
لم يُفْنَعْهُ قُبْحُ هذا الأخذ لفظاً ومعنى حتى أتى فيه بما لا حاجة له إليه، لأنَّ حُسْنَ أَعْيُنِ الطَّيِّبِ لا تَعْلُقُ له بظِلِّ  
السَّدرِ، وليس في ذلك ما ليس له في غيره. والكندي لما وصف عينها بعين الجازنة، وهي الطيبة التي قد اجتزأت  
بالرطب عن الماء ذكر أنها حوراء ثم وصفها بأنها حانية على طفل، وفي حنوها على ولدها اكتساب طرفها  
بتروّعها عليه وخوفها مما يناله معنى لا يوجد عند سكونها وأمنه، وقد سرق المسيب شيئاً وترك ما هو من تمام  
الكلام، فاعرفه .

السابع: رُجِحَانُ كَلَامِ الْمَأْخُودِ عَنْهُ عَلَى كَلَامِ الْآخِذِ مِنْهُ. قَالَ مُسْلِمٌ:  
أَمَا الْمَهْجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ ... وَالْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلٌ  
فَازْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقٌ عِرْضِكَ إِنَّهُ ... عِرْضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلٌ  
أَخَذَهُ الطَّائِي فَقَالَ:

قَالَ لِی التَّاصِحُونَ وَهُوَ مَقَالٌ ... ذَمُّ مِنْ كَانَ جَاهِلًا إِطْرَاءُ  
صَدَقُوا، فِي الْمَهْجَاءِ رِفْعَةٌ أَقْوَا ... مِ طَعَامٍ فَلَيْسَ عِنْدِي هِجَاءُ  
وَبَيْنَ الْكَلَامِينَ بَوْنٌ بَعِيدٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى إِضَاحِهِ لِارْتِفَاعِ الشُّكِّ فِي بَيَانِهِ.  
الثامن: نَقَلَ الْعَذْبُ مِنَ الْقَوَافِي إِلَى الْمُسْتَكْرَهِ الْجَافِي. قَالَ الْمُتَلَمَّسُ:  
فَأَطْرَقَ إِطْرَاقُ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى ... مَسَاغًا لِنَابِيهِ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا  
أَخَذَهُ عَمْرُو بْنُ شَأْسٍ بِجَمَلْتِهِ وَخَتَمَهُ بِقَافِيَةٍ مُسْتَكْرَهَةٍ، فَقَالَ:  
فَأَطْرَقَ إِطْرَاقُ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى ... مَسَاغًا لِنَابِيهِ الشُّجَاعُ لَقَدْ أَرَمُّ  
أَرَمٌ: اشْتَدَّ وَعَضَّ، وَهِيَ لَفْظَةٌ غَيْرُ عَذْبَةٍ.

التاسع: نَقَلَ مَا يَعُودُ عَلَى الْبَحْثِ وَالْإِنْتِقَادِ إِلَى تَقْصِيرِ ظَاهِرٍ أَوْ فِسَادٍ. قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:  
إِنِّي أَعُودُ مِنَ الَّتِي شَعَفَتْ ... مِنِّي الْفَوَادُ بِآيَةِ الْكُرْسِيِّ  
وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ إِنَّمَا تَهْرُبُ مِنْهَا الشَّيَاطِينُ وَيُحْتَرَسُ بِهَا مِنَ الْغِيلَانِ فَهَلِ الَّتِي شَعَفَتْ فَوَادَهُ كَانَتْ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ؟  
وَقَالَ الْأَعَشَى:

فَرَمَيْتُ غَفْلَةً عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ ... فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهِ وَطِحَالَهَا  
أَمَا ذَكَرُ الْقَلْبِ وَالْفَوَادِ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يَتَرَدَّدُ كَثِيرًا فِي الشَّعْرِ عِنْدَ ذِكْرِ الْهَوَى وَالْحَبَّةِ وَالشُّوقِ، وَمَا يَجِدُهُ الْمَغْرَمُ فِي  
هَذِهِ الْأَعْضَاءِ مِنَ الْأَلْمِ وَالْحَرَارَةِ وَالْكَرْبِ. وَأَمَا الطَّحَالُ فَمَا رَأَيْنَا أَحَدًا اسْتَعْمَلَ ذِكْرَهُ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ، إِذْ لَا  
صُنْعَ لَهُ فِيهَا وَلَا هُوَ تَمَّا يُنْسَبُ إِلَى حَرَكَةِ فِي حَزْنٍ أَوْ عِشْقٍ، وَلَا إِلَى سُكُونٍ عِنْدَ فَرَجٍ أَوْ ظَفَرٍ، فَفَسَادُ ذِكْرِ  
الطَّحَالِ ظَاهِرٌ فِي هَذِهِ الْحَالِ. وَقَالَ الْآخَرُ:  
لَمَّا تَخَايَلْتُ الْحُمُولَ حَسِبْتُهَا ... دَوْمًا بِأَيْلَةَ نَاعِمًا مَكْمُومًا  
ذَكَرَ أَنَّ الدَّوْمَ، وَهُوَ شَجَرُ الْمُقْلِ، مَكْمُومٌ وَإِنَّمَا تُكَمَّمُ النَّخْلُ. وَفِي هَذَا الْبَابِ لِلْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ أَشْعَارٌ لَا يُحِيطُ  
بِجَمَلَتِهَا بِأَحْتٍ وَلَا مُخْتَارٍ.

العاشر: أَخَذَ اللَّفْظَ الْمُدَّعَى هُوَ وَمَعْنَاهُ مَعًا. وَهُوَ أَقْبَحُ وَجْوهِ السَّرِقَاتِ وَأَشْنَعُهَا وَأَدْنَاهَا مَنْزِلَةٌ وَأَوْضَعُهَا فَمِنْ  
ذَلِكَ قَوْلُ الْكُنْدِيِّ:

وَعَنْسٍ كَأَلْوَاكِ الْإِرَانِ نَسَأَتْهَا ... عَلَى لَاحِبٍ كَالْبُرْدِ ذِي الْحَبْرَاتِ  
أَخَذَهُ طَرْفَةً - الَّذِي قَالَ: وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ سَرَقًا - فَقَالَ:  
أَمُونِ كَأَلْوَاكِ الْإِرَانِ نَسَأَتْهَا ... عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهَرَ بُرْجُودٍ  
وَقَالَ الْحَطِيبَةُ:

إِذَا حُدَّتْ أَنْ الَّذِي بِي قَاتَلِي ... مِنَ الْحُبِّ قَالَتْ تَابِتٌ وَيَزِيدُ  
أَخَذَهُ جَمِيلٌ فَقَالَ:

إذا قلت ما بي يا بُثينة قاتلي ... من الحُبِّ، قالت ثابتٌ ويزيدُ  
وقال مُسلم بن الوليد:

يقولُ صحبي وقد جدوا على عجلٍ ... والحيلُ تستنُّ بالركبانِ في اللُجُمِ  
أُطلعَ الشمسِ تبغي أن تؤمَّ بنا ... فقلتُ كلاً ولكنَّ مطلعَ الكرمِ  
أخذهُ أبو تمام فقال:

يقولُ في قومسٍ صحبي وقد أخذتُ ... منا السرى وخطى المهريّة القودِ  
أُطلعَ الشمسِ تبغي أن تؤمَّ بنا ... فقلتُ كلاً ولكنَّ مطلعَ الجودِ  
فهذه وجوه السرقاتِ قد حدرتُ لك لثامها، وألقيتُ إليك زمامها، فقلّ أن تجد من يعرفُ أقسامها، أو يستمطر  
غمامها، ولا تجد إلا من إذا ظفَرَ بيوتٍ مسروقٍ لم يدِرِ أمِنَ المحمودِ هو أم من المذموم، وهل شاعرُهُ بالمعدورِ فيه  
أم بالملوم، فاعرفهُ.

وأما التوارد فهو اتفاقُ الخواطرِ في البيتِ والبيتين، وإنما سمّوه توارداً لأنَّهُ من ذكرِ السرقةِ وتكبراً عن السمة  
بها. قال علقمة بن عبدة:

أم هل كبيرٌ بكى، لم يقضِ عبرتهُ ... إثرَ الأحية، يومَ البينِ مشكومُ  
وقال أوس بن حجر:

أم هل كبيرٌ بكى لم يقضِ عبرتهُ ... إثرَ الأحية يومَ البينِ معدورُ  
وقال طرفة:

فلولا ثلاثُ هُنَّ من حاجةِ الفتى ... وجدك لم أحفلُ متى قامَ عودِي  
وقال نُهيك:

ولولا ثلاثُ هُنَّ من حاجةِ الفتى ... وجدك لم أحفلُ متى قامَ رامسي  
وقال مزاحم العقبلي:

تكادُ مغانبها تقولُ من البلى ... لسائلها عن أهلها لا تعملُ  
وقال ضابئ:

تكادُ مغانبها تقولُ من البلى ... لسائلها عن أهلها ولا تعملُ  
وقال عدي بن زيد:

وعاذلةٌ هبتَ بليلاً تلومني ... فلما غلتُ في اللومِ قلتُ لها اقصدي  
وقال عمرو بن شأس:

وعاذلةٌ هبتَ بليلاً تلومني ... فلما غلتُ في اللومِ قلتُ لها مها  
وقال أوس بن حجر:

حرفُ أخوها أبوها من مُهجنَةٍ ... وعمُّها خالها قوداءُ مشيرُ  
وقال كعب بن زهير:

حرفُ أخوها أبوها من مُهجنَةٍ ... وعمُّها خالها قوداءُ شميلُ  
وقال كعب الأشقري:

لم يركبوا الخيلَ إلا بعدما هَرَمُوا ... فَهُمُ يُقَالُ عَلَى أَكْتافِهَا مَيْلٌ  
وقال جرير:

لم يركبوا الخيلَ إلا بعدما هَرَمُوا ... فَهُمُ يُقَالُ عَلَى أَكْتافِهَا عُرْفٌ

ومثلُ هذه الأبيات في أشعار العرب أكثرُ من أن تُحصى وأعظمُ من أن تُستقصى، وأنا لا أعدُّ ذلك توارداً  
اتفقتُ عليه الخواطرُ، وتشابهتُ فيه الضمائرُ، بل أعدُّه سرقةً مَحْضَةً وإغارةً على الأشعارِ مُرْفِضَةً. وقد أوردَ  
ابنُ السَّكَيْتِ قولَ امرئِ القيس: وقوفاً بما صحبي البيت، وقولَ طرفة في باب السَّرقات، والذي ذهب إليه هو  
الصحيح، وإِثْمًا يتفق للشاعرين معنىً ويلزمان أن يُنظماهُ على قافيةٍ واحدة فرمما توارداً في بعض الكلام. من  
ذلك ما حكاه أبو القاسم الأندلسي وغيره في أشعار المغاربة، قال: كان بين يدي محمد بن عبَّاد صاحب الغُرب  
جاريةٌ في يدها كأسٌ وهي تسقيه، فلمع البرق فارتاعت له فسقط الكأس من يدها فقال مُرتَجِلاً:

روَّعها البرقُ وفي كَفِّها ... برَّقَ من القهورةِ لَمَّعُ

يا لَيْتَ شعري وهي شمسُ الضُّحى ... كيفَ من الأنوارِ ترتاعُ

ثم قال لبعض خدمه: مَنْ على باب القصر من الشعراء؟ فقال: عبد الجليل بن وهون، فأَمَهَ بإحضاره. فلمَّا مثلَ  
بين يديه قصَّ عليه القصةَ وأنشده البيتَ الأول وقال له: أجزه فأنشأ:

ولنْ ترى أعجبَ من أنسٍ ... من مثلها ما يُمسِكُ يرتاعُ

ومثل هذا يمكن أن يقع ولا يُنكَر ولا يُدْفَع.

وحكى الأندلسي قال: حدَّثني محمد بن شرف القيرواني قال: أمرني المعز بن باديس وأمر حسن بن رشيق في  
وقت واحد أن نصِفَ الموزَ في شعرٍ على حرف الغين، فجلس كل واحد منا بنَجْوَةٍ عن صاحبه بحيث لا يقفُ  
أحدنا على ما يصنعه الآخر، فلمَّا فرغنا من الشعر عرَضناه عليه، فكان الذي صنعه أنا:

يا حَبِذا الموزُ وإسعاده ... من قبل أن يَمْضِغَهُ الماضِغُ

لانَ فما تُدركُ جَسًّا لَهُ ... فالفمُ ملآنُ به فارِغُ

سيانَ قُلنا ما كَلَّ طيِّبٌ ... فيه وإلا مشرَبٌ سائِغُ

وكان الذي صنعه ابن رشيق:

موزٌ سريعٌ سوغُهُ ... من قَبْلِ مَضِغِ الماضِغِ

مأكلةٌ لا كَلِ ... ومشرَبٌ لسائِغِ

فالفمُ من لينِ به ... ملآنُ مثلُ فارِغِ

هذا هو المُمكن في التوارد، واتفق الخواطر. وحكى القيرواني قال: ثم أمرنا للوقت أن نعملَ فيه أيضاً على

حرف الذال فعملنا على القاعدة الأولى، فكان ما عملته أنا:

هلْ لكِ في موزٍ إذا ... ذُقناه قُلنا حَبِدا

فيه شرابٌ وغدا ... يُريكِ كالماءِ القَدا

لو ماتَ مَنْ تَلَذَّذا ... به لَقيلَ ذا بَدا

وكان ما عملهُ ابنُ رشيق:

للهِ موزٌ لذيذٌ ... يُعيدُهُ المستَعِيدُ

فواكِهٌ وشِرابٌ ... به يُفَيِّقُ الوَقِيدُ  
يُرى قَدَى العَيْنِ فِيهِ ... كما يُرِيها النَّبِيذُ

الشعرُ ضَعِيفٌ جَدًّا، وما أَرَدْنَا بِإيراده إِلا تَمثِيلَ المَوارِدِ كَيفَ تَكونُ، وفي هَذا التَمثِيلِ كَفايَة.  
٣١ - وأما النَقْدُ فَإِنَّه في الشَعرِ يَدلُّ على فِطْنَة العالَمِ وضياءِ حِسنِهِ وتوقُّدِ ذِكاثِهِ. ولِلعُلَماءِ في ذلك أَقوالٌ حَسَنَة  
وكلامٌ مُفيدٌ، وهو كَثيرٌ غَزيزٌ، وإِما نَذكرُ مِنْه اليَسيرَ ونَجعلُه دَليلًا على الكَثيرِ.  
قيل: تَنازَعَ علقمَةُ بَن عَبدَةَ وامرؤُ القَيسِ في الشَعرِ وأَيُّهُما أَشعَرُ مِنَ الأَخرِ، فقال علقمَةُ: قَد رَضيتُ بِزَوجَتِكَ  
أَم جُنْدَبٍ حَكَمًا بَيني وَبَينَكَ، فقالت أُم جُنْدَبٍ: قولا شَعرًا وَصِفا فِيهِ فَرسِيكُما على قَافيةٍ واحِدَة وَروِي واحِد.  
فقال امرؤُ القَيسِ:

خَليلي مُرايَ على أُم جُنْدَبٍ ... نُقِصَّ لَبانَاتِ الفِؤادِ المُعَدَّبِ  
وقال علقمَةُ:

ذَهِبَتِ مِنَ المَهِجَرانِ في غَيرِ مَذْهَبٍ ... ولم يَكُ حَقًّا طَولُ هَذا التَّجَنُّبِ  
وَأَنشَدَها القَصيدَتَينِ فقالت لامرئِ القَيسِ: علقمَةُ أَشعَرُ مِنْكَ، قال لَها: وَكيفَ ذاك؟ فقالت: لأَنكَ قلتُ:  
فَلنَزَجِرِ أَهْوَباً وَللساقِ دِرَّةً ... وَللسَوطِ مِنْهُ وَقَعِ أَخرَجِ مُهْذَبِ  
الأَخرَجِ: الظَلِيمُ وَهو ذَكَرُ النَعامِ، والأَنثى خَرجاءُ. والأَخرَجِ: الرَمادُ، وَمِنْهُ شَبَّهَ، وَمُهْذَبِ أَي مَسرَعِ في عَدْوِهِ.  
قالت: فَجَهِدَتِ فَرسَكَ بِزَجرِكَ وَمَريَّتَهُ فَاتَعَبَتَهُ بِساقِكَ وَسَوطِكَ، وقال علقمَةُ:  
فأَدركَها ثَانيًا مِنَ عِنايَةِ ... بِمُرِّ كَمَرِ الرَائحِ المُتَحَلِّبِ  
فأَدركَ فَرسَهُ ثَانيًا مِنَ عِنايَةِ ولم يَضربَهُ بِسَوطِ ولم يُتَعَبَهُ. فَغَضِبَ عَلَياها امرؤُ القَيسِ وَطَلَّقَها، فَتَزوجَها علقمَةُ  
فَسَمَّى الفَحلَ لِمِيزَتِهِ في باقِى الشَعرِ كَمِيزَةِ الفَحلِ على باقِى الإِبِلِ.  
وَأَنشَدَ الأَصمعيُّ قولَ امرئِ القَيسِ:

رُبَّ رَامٍ مِنَ بَني تُعَلٍ ... مُخَرِّجِ زَنديهِ مِنَ سَترِهِ  
فقال: أَمّا عَليمٌ أَنَّ الصائِدَ أَشدَّ حَتْلًا مِنَ أَن يُظهِرَ شَيبًا مِنْهُ! ثمَّ قال: فَكفَّيهِ، إِنْ كانَ لَابدًا، أَصَلِحُ. فَتَرَكَ الرُواةَ  
زَنديهِ وَرووا كَفَّيهِ على ما فِيهِ. وَقيل: كانَ النابِغَةُ الذِبيانيُّ تُضربُ لَه قُبَّةً حِراءَ مِنَ أَدَمِ بِسَوقِ عَكاظِ فَتَأْتِيهِ  
الشَعرِاءُ فَتَعرِضُ عَلَياهِ أَشعارَها. فَأَولُ مِنَ أَنشَدَهُ الأَعشى مِيمونُ بَنِ قَيسِ، ثمَّ أَنشَدَهُ حَسانُ بَنِ ثابِتِ الأَنصارِ  
قولَهُ:

لَنا الجَفَناتُ العُرَّى يَلمَعنَ بِالصُّحى ... وَأَسيافُنا يَقطُرُنَ مِنَ نَجْدَةِ دَما  
وَلَدَنا بَني العَنقِاءِ وَابنِي مُحرِّقٍ ... فَأَكرِمُ بَنا خالًا وَاكرِمُ بَنا ابْنِما  
فقال لَه النابِغَةُ: أَنتَ شاعِرٌ وَلكَنا أَقلَّتْ جِفافُكَ وَأَسيافُكَ وَفَخرتُ بِمَن وَلَدَتْ ولم تَفخِرِ بِمَن وَلَدَكَ. هَذا هو  
النَقْدُ الجَليلُ الَّذي يَدلُّ عَلَياهِ نِقاءُ كَلامِ النابِغَةِ. وَالمعنى أَنَّهُ قال لَه: أَقلَّتْ أَسيافُكَ، وَأَسيافُ جَمعٌ لأَدنى العَدَدِ،  
وَالكَثيرِ سَيوفِ، وَالجَفَناتُ لأَدنى العَدَدِ، وَالكَثيرُ جِفافِ. وَقال: فَخَرَتِ بِمَن وَلَدَتْ؛ لأنَّهُ تَرَكَ الفَخرَ بِأَبائِهِ وَفَخَرَ  
بِمَن وَلَدَ نِساؤُهُ. وَقيلَ في رَوايَةِ غَيرِ موثوقِ بِها: إِنَّهُ قال لَه: وَقلتُ: لَنا الجَفَناتُ العُرَّى، وَالعُرَّةُ لُمعةٌ بَياضِ  
الجَفَنَةِ، وَلو قلتُ: لَنا الجَفَناتُ البَيضُ، كانَ أَحسَنَ لكَثَرَةِ اللَسَمِ عَلَياها، وَلو قلتُ: يَلمَعنَ بِالذَّجَمِ، لَكانَ أَبلَغَ،  
وَلو قلتُ: وَأَسيافُنا يَجرينَ لَكانَ أَبلَغَ مِنَ يَقطُرُنَ لأنَّ الجَريَ أَعظَمُ مِنَ القَطْرِ. وَأقولُ إِنَّ هَذهَ الزِيادةَ عَلَياها

اعتراض. والصحيح ما قاله النابغة أولاً.

وذكر ابن عباد أبو القاسم رحمه الله تعالى ورضي عنه أن أبا الفضل بن العميد كان يتجاوزُ نقدَ الأبيات إلى نقد الحروف والكلمات، ولا يرضى بتهديب المعنى واللفظ حتى يُطالبَ بتحبير القافية والوزن، وقال: أنشدت يوماً بحضرة كلمة أبي تمام التي أوتها:

شهدتُ لقد أقوت مغانيكُمُ بعدي ... ومحت كما محت وشائع من بُرد  
حتى انتهيت إلى قوله:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى ... معي ومتى ما لُمته، لُمته وحدي

فقال: هل تعرف في هذا البيت عيباً؟ قلت: نعم، قابل المدح باللوم فلم يوف التطبيق حقه إذ حق المدح أن يقابل بالمجوز والذم، فقال: غير هذا أردت، قلت: ما أعرف، قال: أحد ما يُحتاج إليه في الشعر سلامة حروف اللفظ من الثقل، وهذا التكرير في أمدحه، أمدحه مع الجمع بين الحاء والهـ مرتين، وهما من حروف الحلق، خارج عن حد الاعتدال، نافر كل النفار. قلت: هذا لا يدركه إلا من انقادت وجوه العلم له وأنهضه إلى ذراها طبعه.

قيل: وسمع الأصمعي قول الأعمش:

كأن مشيتها من بيت جارتها ... مر السحابة لا ريث ولا عجل

فقال: لقد جعلها خراجة ولاجة، هلاً قال كما قال الآخر:

ويكرمها جاريتها فيزرنها ... وتعتل عن إتيانها فتعذر

وأقول: إن نقد الشعر صناعة لا يعرفها حق معرفتها إلا من قد دفع إلى مضائق القريض وتجرع غصص اعتيابه عليه، وعرف كيف يتقحم مهاوية ويطرامى إليه. قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: قال لي عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قال لي مروان بن أبي حفصة: إن المأمون لا بصيرة له بالشعر، قلت له: وكيف ذلك، وإنا لنشده صدر البيت فيسبقنا إلى عجزه ولم يكن قد سمعه من قبل؟ قال: إني قلت فيه شعراً جيداً فلم يهتتر له، قال:

فقلت له: وما الذي قلت فيه؟ فأنشدني:

أضحى إمام الهدى المأمون مُشتغلاً ... بالدين والناس بالدنيا مشاغلاً

قال: فقلت له: ما صنعت شيئاً، وما زدت على أن جعلته عجوزاً في محرابها بيدها سُبْحَتها، فمن يقوم بأمر الدنيا إذا كان الخليفة مشغولاً عنها، وهو المطوق أمرها؟ هلاً قلت كما قال عمك جرير في عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك:

فلا هو في الدنيا مُضِيعٌ نصيبه ... ولا عَرَضُ الدنيا عن الدينِ شاغلة

وهذا نقد حسن.

وحكى أبو عثمان الجاحظ قال: طلبتُ علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يعرف إلا غريبه، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة فرأيت أنه لا ينفذ إلا فيما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب، فلم أظفر بما أردت، إلا عند أدباء الكتاب؛ كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات، فلله در أبي عثمان، لقد غاص على سر الشعر، واستخرج أدق من السحر، والشاعر يُحكّم له على الشاعر بيت واحد، والبيت يُفضّل على البيت بكلمة واحدة، ألا ترى إلى قول امرئ القيس:



وقولاً بما صحَّحني عليّ مطيَّهم... يقولون لا تهلك أسيّ وتجمّل  
وقول طرفة البيت بجملة، ثم ختمه بقوله: وتجلّد، وهما شاعران مُفلقان، وقدّرنا أنّهما قد تواردا، ولم نُحكّم عليّ  
طرفة بالسّرقة، ودُعينا إلى الحُكم بينهما، وتفضيل أحد البيتين على الآخر، وليس فيهما من الاختلاف سوى  
التجمّل والتجلّد. فمن النّقْد الحسن تفضيل التجمّل على التجلّد، والحكم بالبيت لصاحبه، لأنّ التجمّل إبداءٌ  
تحسّن عن قوة ومادة متصلة من المكنة. والتجلّد إبداءٌ تحسّن عن ضعف، ومادة متصلة من العجز، وبين اللفظتين  
بوّن بعيد. ولو دُعينا إلى الحُكم بين لقيط بن زُرارة ومن حدّا حدوّه في قوله:  
فتيّ يشتري حُسنَ الثناءِ بماله... ليبتقى وما أبقيت مثل المحامدِ  
وقول الحكمي:

فتيّ يشتري حُسنَ الثناءِ بماله... ويعلم أنّ الدائراتِ تدورُ  
وقول الآخر:

فتيّ يشتري حُسنَ الثناءِ بماله... إذا السنّةُ الشهباءُ قلّ قطارُها  
لأوجب النّقْد أنّ يُحكّم باستحقاق التفضيل لصاحب البيت الأخير، وذلك أنّ لقيط بن زُرارة ختم بيته بمثل  
جيد، وأبا نواس ختم بيته بتأكيد الكرم، ومعناه: أن الممدوح يشتري الثناء بماله على علم أنّه يجوز أن يفتقر، أو  
يحتاج إلى غيره، كما احتاج غيره إليه. وأما الآخر فذكر أنّه يُعطي ماله ويشترى به الثناء في الوقت الشديد  
الذي يجب أن يحفظ الإنسان فيه ماله لشدة الحاجة إليه، وإذا كان يُعطيهِ في مثل هذا الوقت الصّعب ويبدّله أيام  
القحط والجذب، فكيف يكون في زمان الخصب وتوفر الخير والمير. وبمثل هذه الخصلة حُكّم حاتم بن عبد الله  
الطائي بالجوّد. وكان حاتم ظفراً: إذا قاتل غلب، وإذا سُئِلَ وهب، وإذا غنم أنهب، وإذا أسر أطلق، وإذا أثرى  
أنفق. وكان قد أقسم بالله تعالى ألا يقتلَ واحدَ أمّه. وحدث محمد بن حبيب عن موسى الأحوّل عن الهيثم عن  
ملحان ابن أخي ماوية امرأة حاتم عن عمّته ماوية قالت: أصاب الناس سنةً أذهبت الخفّ والظلف، فبتنا ذات  
ليلة بأشدّ جوع ولسنا نملك شيئاً، فأخذ حاتم عدياً وأخذت سفانة، فغللناهما حتى ناما، ثم أخذ حاتم يعللني  
بالحديث لأنام، فرققت لما به من الجهد، فأمسكت عن كلامه وأوهمتني أنّي قد نمت لينا، فنظر من فثقت الخياء،  
فإذا شخصٌ مقبلٌ، فرفع رأسه فإذا امرأة تقول: يا أبا سفانة، أتيتك من عند صبيّة جياح، فوثب مُسرِعاً، وقال:  
هاتيه، فوالله لأشبعنهم، فلما جاءت بهم وأنا مفكرة فيما يريد أن يصنع، قام عجاجاً إلى فرسه ولم يكن يملك  
سواه، فذبحه واشتوى فأشبعهم، ثم قال: والله، إنّ هذا هو اللوم، كيف تاكلون وأهل الصرم حالكم،  
فجعل يأتي الصرم بيتاً بيتاً ويقول: عليكم النار، فاجتمع عليه عددٌ لم يتركوا منه شيئاً وهو متقنّع بكسائه قد  
قعد حجرةً، فوالله ما ذاق منه لماًظا. فهذا والله الكرم المحض، والجوّد الخالص، وإذا كان جوّدُه في مثل تلك  
الحالة هكذا فكيف يكون في سواها.

هذا آخر الفصل الأول، ولعلّ الناظر فيه يستطيل أبوابه ويستعظم إسهابه، خصوصاً وقد اشترطنا في أوّله  
الاختصارَ ووعدنا أن نتجنّب الإكثار، ولو علم الناظر فيه ما قد خلفناه بعدنا ونبذناه وراءنا من المعاني الغريبة،  
والأشعار العجيبة، لعرّف موضع الاختصار، ووفاء ما وعدنا به من الاقتصار. هذا مع الإعراض عن كثير من  
أشعار المُحدّثين والمُتقدّمين من الخيدين. والله الموقِّع للصواب.

## الفصل الثاني

فيما يجوزُ للشاعر استعماله وما لا يجوز

وما يُدرِكُ به صواب القول ويجوز

الذي يجوز للشاعر المولّد استعماله في شعره من الضرورة هو جميع ما استعملته العرب في أشعارها من الضرورات سوى ما استثنيه لك، وأبينّه لديك. والمولّد في ضرورات شعره ارتكاب صعبها أَعْدُرُ من العربيّ الذي يقول في لغته بطبعه.

أما الذي لا يجوز للمولّد استعماله، ولا يُسامح في ارتكابه فهو جميع ما يأتي عن العرب لَحْنًا لا تسيغُه العربية ولا يجوزُه أهلها سواء كان في أثناء البيت أو في قافيته، فإنّ اللحن لا يجوزُ الاقتداء به، ولا النزولُ في شعبه.

فمن ذلك اللحنُ الذي سمّوه جرًّا على المجاورة. قال الشاعر:

فيا معشرَ الأعرابِ إن جازَ شربُكم ... فلا تشربوا ما حَجَّ اللهُ رَاكِبِ

شَرَابًا لغزوانَ الخبيثِ فَإِنَّهُ ... ينهايكمُ منه بأيمانِ كاذِبِ

وهذا لَحْنٌ قبيحٌ، وصوابه ما حَجَّ اللهُ رَاكِبِ. وقال آخر:

أطوفُ بما لا أرى غيرَها ... كما طافَ بالبيعةِ الرَّاهِبِ

جعل الرَّاهِبَ مروراً على الجوار وهو لحنٌ قبيحٌ، وصوابه: كما طافَ بالبيعةِ الرَّاهِبِ. وقال آخر:

كَأَنَّ نَسَجَ العنكبوتِ المُرْمَلِ

وصوابه المُرْمَلًا وأما قول الآخر:

كَأَنَّ ثَبِيرًا في عرابينِ وبِلِه ... كبيرُ أناسٍ في بَجادِ مُرْمَلِ

فله وجهٌ قد ذكره أبو الفتح وهو أنه أراد مُرْمَلٍ فيه، فحذفَ حرفَ الجرِّ فارتفع الضميرُ فاستتر في اسم المفعول، وقد وردَ من هذا شيء كثيرٌ، كقول الآخر:

كَأَنَّمَا ضَرَبَتْ قَدَامَ أَعْيُنِهَا ... قُطْنَا بِمُسْتَحْصِدِ الأوتارِ مخلوجِ

وصوابه مخلوجاً. وكل ذلك إنما أتوا به بناءً على ما ورد عن العرب من قولهم: هذا جُحْرٌ ضَبَّ خَرِبٍ، وليس

الخرِبُ من صفة الضبِّ قال الخليل بن أحمد: قولهم: هذا جُحْرٌ ضَبَّ خَرِبٍ، إنما ورد عنهم من طريق الغلط،

والدليل على ذلك أنهم تنووا لم يقولوا إلا جُحراً ضَبَّ خَرِبَانِ، لأن الغلط ههنا يبين، وإنما وقع في الواحد

لاجتماع الجحر والضبِّ في الأفراد. وكذلك إذا جمعوا فإن الغلط يرتفع نحو قولك: هذه جُحْرَةٌ ضَبَابٍ خَرِبَةٌ.

والمُحَقِّقون من أهل العلم لا يُجيزون العمل على الجوار، وما نحنُ بالمُعَلِّين قولاً على قول، ولا لنا في ذلك

غرضٌ، وإنما المولّد من الشعراء لا يجوز له العمل على المجاورة، ولا ود ذلك لأحد من المولّدين المُجيدين، ولا

أجاز العلماء بالشعر لهم ذلك، سواء كانت العرب أصابت فيه أو أخطأت، المقصود أنه محظورٌ على المولّدين.

ومما لا يجوز للمولّدين استعماله، ما استعملته العرب من التقديم والتأخير، والفصل الذي لا وجهَ لشيء منه، ولا

يجوز للمولّد الخذوُّ عليه، ولا الاقتداء به، فَإِنَّهُ لَحْنٌ مُسْتَقْبِحٌ، كقول الشاعر:

لها مُقلتا حوراءَ طَلَّ حَمِيلَةً ... من الوحشِ ما تنفكُ ترعى عرارها

أراد: لها مُقلتا حوراءَ من الوحشِ ما تنفكُ ترعى حَمِيلَةً طَلَّ عرارها. وقال الآخر:

فقد والشك بين لي عناء ... بوشك فراقهم صرد يصيح  
أراد: فقد بين لي صرد يصيح بوشك فراقهم والشك عناء. وقال الآخر:

فأصبحت بعد خط بهجتها ... كأن قفراً رسومها قلما

أراد: فأصبحت بعد بهجتها قفراً كأن قلماً خط رسومها ومثل ذلك كثير. وقد ترى ما في هذه الأبيات من  
الفصول والتقديم والتأخير، ومثل هذا لا يجوز للأعراب المتقدمين فضلاً عن المولدين المتأخرين. ولا يجوز لأحد  
أن يتخذهُ رسماً يعمل عليه.  
ومما لا يجوز للمولدين الاقتداء به ولا العمل عليه لأنه لحن فاحش الإقواء في القافية، وذاك أن يعمل الشاعر بيتاً  
مرفوعاً وبيتاً مجروراً، كقول النابغة:

أمن آل مية رائح أو مُعتد ... عجلان ذا زادٍ وغير مزود

زعم البوارح أن رحلتنا غداً ... وبذاك خبرنا الغراب الأسود

ويا للعجب كيف ذهب ذلك عن النابغة مع حُسن نقده للشعر وصحة ذوقه وإدراكه لغوامض أسرارهِ، وقد  
عرفت ما أخذه عن حسان بن ثابت مما تحار الأفكار فيه، ولما نبه على موضع الخطأ لم يصل الى فهمه ولم يأنه له  
حتى غنت به قينة وهو حاضر، فلما مددت، خبرنا الغراب الأسود، وبينت الضمة في الأسود بعد الدال فطن  
لذلك وعلم أنه مقو فغيره وقال: وبذاك تنعاب الغراب الأسود. وكقول مُررد بن ضرار من أبيات:

ألم تعلم التعلأ لا درُّ درُّها ... فزارة أن الحق للصيف واجب

ومنه:

تشارزت فاستشرفته فرأيتُهُ ... فقلت له: آ أنت زيد الأرانب؟

وكقول حسان بن ثابت:

لا بأس بالقوم من طولٍ ومن عظمٍ ... جسمُ البغالِ وأحلامُ العصافيرِ

كأنهم قصبٌ جوفٌ أسافلُهُ ... متقبٌ نفخت فيه الأعاصيرُ

ولا يكون النصب مع الجر ولا مع الرفع في الإقواء. ولعمري إن الجميع لحن مردود، ولا ورد عنهم شيء من  
ذلك، وإنما يجتمع الرفع والجر لقرب كل واحد منهما من صاحبه. ولأن الواو تُدغم في الباء، وأنهما يجوزان في  
الردف في قصيدة واحدة، فلما قربت الواو من الباء هذا القرب تخيلوا جوارها معها وهو خطأ وغلط، وليس  
للمقيّد مجرى، أعني حركة حرف الروي، وإنما هو للمطلق، وأظن أن من ارتكب الإقواء من العرب لم يكن  
ينشد الشعر مطلقاً، بل ينشده مقيّداً ويقف على قافيته، كقول دريد بن الصمة:

نظرت إليه والرماح توشهُ ... كوقع الصياصي في النسيح الممدد

فأرهبته عنه القوم حتى تبددوا ... وحتى علاني حالك اللون أسود

وفي الجملة فهو عُذر لا بأس به.

وروى لي بعض مشايخنا، يرفعه الى أبي سعيد السيرافي قال: حضرت في مجلس أبي بكر بن دريد، ولم أكن قبل  
ذلك رأيتُهُ، فجلست في ذيل المجلس، فأنشد أحد الحاضرين بيتين يُعزوان الى آدم عليه السلام لما قتل ابنه قابيل

أخاه هابيل وهما:

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مُعبرٌ قبيح

تغيّر كل ذي حُسنٍ وطيبٍ ... وقَلَّ بشاشةً الوجهِ المليحُ

فقال أبو بكر: هذا شعرٌ قد قيل في صدر الدنيا وجاء فيه الإقواء، فقلت: إنَّ له وجهاً يُخرجه من الإقواء.  
فقال: ما هو؟ فقلت: حذفُ التنوين من بشاشةٍ لالتقاء الساكنين ونصبُها على التفسير، ورفعُ الوجهِ بإسنادِ قَلَّ إليه. ولو حُرِّك التنوين لالتقاء الساكنين لكان: وقَلَّ بشاشةً الوجهُ المليحُ. فقال لما سمع هذا: ارتفع، فرفعني حتى أقعدني الى جنبه.

ومما لا يجوز للمولدين استعماله، ولا وردَ لأحدٍ رخصةً في مثله: الإكفاء، وهو اختلاف حرفِ الروي، ومثال ذلك قول الراجز:

بُني إن البرَّ شيءٌ هينٌ ... المنطقُ الطيبُ والطعيمُ

وقول آخر:

إن يأتي لصٌ فإني لصٌ ... أطلسُ مثل الذئبِ إذ يحسُّ

سوقِي حُدائي وصغيري التُّسُّ

ومما لا يجوز للمولد استعماله الإبطاء: وهو أن يُقَفِّي الشاعرُ بكلمة في بيت ثم يأتي بها في بيت آخر يكون قريباً من الأول، فإن تباعد ما بين البيتين بما قدره عشرة أبيات فصاعداً، كان الذئبُ مغفوراً، والعيبُ مستوراً، وانتقل من الخطور الى الكراهية فإن كان إحدى القافيتين معرفةً والأخرى نكرة فقد زالت الكراهية وكان الى الجواز أقرب من الامتناع وقد أوطأت العربُ كثيراً. قال النابغة الذبياني:

أو أضع البيت في خرساءٍ مظلمةٍ ... تُقَيِّدُ العَيْرَ لا يسري بها الساري  
ثم قال بعد أبياتٍ يسيرة:

لا يفضُّ الرزَّ عن أرضِ ألمٍ بها ... ولا يضلُّ على مصباحه الساري  
وقال ابن مقبل:

أو كاهتزاز رُدَيْنيِّ تداوله ... أيدي التجارِ فزادوا مَنته لينا  
ثم قال بعد أبيات:

نارعتُ ألبابها لبي بمقتصر ... من الأحاديثِ حتى زدني لينا

ومما لا يجوز للمولد استعماله السناد: وهو اختلاف كل حركة قبل حرف الروي، كقول عمرو بن الأهتم التغلبي:

ألم تر أن تغلب أهلَ عِرٍّ ... جبالٍ معاقلٍ ما يُرتَقِينَا

شربنا من دماءِ بني سَلِيمٍ ... بأطرافِ القنا حتى رَوينا

ففتحة القاف وكسرة الواو سناد لا يجوز، لأنَّ أحدَ الحذوين يتابع الرذفَ والآخر يخالفه. وقد أجاز الخليلُ الضمة مع الكسرة ومنع من الضمة مع الفتحة، فإن كان مع الفتحة ضمةً أو كسرةً فهو سناد. فأم الذي جوزَه فكقول طرفة:

أرقَّ العينَ خيالٌ لم يقِرُّ ... عافَ والرَّكبُ بصحراءِ يُسرُّ

فهذه ضمة مع كسرة وهو جيد. وأما الذي منع منه وذكر أنه سنادٌ فكقول رؤبة:

وقاتمِ الأعماقِ خاوي المخترقِ

ثم قال :

ألفَ شتّى ليس بالراعي الحقيقُ

فجمع بين الفتحة والكسرة.

ثم قال :

مَضْبُورَةٌ قرواء هرجاب فُنُقُ

فأتى بالضمة مع الفتحة والكسرة، وهو سِنَادٌ قبيح لا يجوز استعمالُ مثله، ومثله في القبح والجمع بين الكسرة والفتحة والضمة وقول الأعشى:

عَزَاتِكَ بِالخَيْلِ أَرْضَ العَدُوِّ ... وَفَالْيَوْمِ مِنْ عَزْوَةٍ لَمْ تَخِمِ

وَجِيشُهُمْ يَنْظُرُونَ الصَّبَا ... حَ وَجَدَعَانِهَا كَلْفِيظِ العَجَمِ

قَعُودًا بِمَا كَانَ مِنَ لَأُمَةٍ ... وَهِنَّ قِيَامٌ يَلُكْنَ اللُّجَمِ

وحكى أبو عمر الجرمي أن الأخفش لم يكن يرى ذلك سِنَاداً ويقول: قد كثر مجيء ذلك من فصحاء العرب. والمعول على ما قاله الخليل لا غير. وأجاز الخليل مجيء الياء مع الواو في مثل مَشِيْبٍ وخطوب، وأميرٍ ووعورٍ، فإن أردفت بيتاً وتركت آخر فهو سِنَادٌ وعيب لا يُنسَجُ على منواله كقول الشاعر:

إذا كنتَ في حاجةٍ مُرسِلاً ... فأرسلُ حَكِيمًا ولا توصيه

وإنْ بَابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ التَّوَى ... فشاوِرٌ لَبِيبًا ولا تعصيه

فالواو التي في توصيه رِدْفٌ، والصاد حرف الروي، وبيت الثاني لي بُرْدَفٌ، فهذا سِنَادٌ، وهو عيب قبيح قلما جاء. وقال الخليل بن أحمد: رَتَّبْتُ البَيْتَ مِنَ الشَّعْرِ تَرْتِيبَ البَيْتِ مِنَ الشَّعْرِ يَرِيدُ الحِجَابَ، قال: فَسَمَّيْتُ الإِقْوَاءَ مَا جَاءَ مِنَ المَرْفُوعِ فِي الشَّعْرِ وَالمَخْفُوضِ عَلَى قَافِيَةٍ وَاحِدَةٍ. وَإِنَّمَا سَمَّيْتُهُ إِقْوَاءً لِمُخَالَفَتِهِ، لِأَنَّ العَرَبَ تَقُولُ: أَقْوَى الفَاتِلُ إِذَا جَاءَتْ قُوَّةٌ مِنَ الحَبْلِ تَخَالَفُ سَائِرَ القُوَى. قال: وَسَمَّيْتُ تَغْيِيرًا مَا قَبْلَ حَرْفِ الرَّوِيِّ سِنَادًا؛ مِنْ مَسَانِدَةِ بَيْتِ إِلَى بَيْتِ إِذَا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُلْقَى عَلَى صَاحِبِهِ، لَيْسَ هُوَ مُسْتَوِيًّا كَهَذَا، قال: وَسَمَّيْتُ الإِكْفَاءَ مَا اضْطَرَبَ حَرْفٌ رَوِيَهُ فَجَاءَ مَرَّةً نَوْنًا وَمَرَّةً مِيمًا وَمَرَّةً لَامًا، وَتَفَعَّلَ العَرَبُ ذَلِكَ لِقُرْبِ مَخْرَجِ المِيمِ مِنَ النُّونِ، كقوله:

بِنَاتٍ وَطَاءٍ عَلَى خَدِّ اللَّيْلِ ... لَا يَشْتَكِينَ أَلْمًا مَا انْتَقَيْنِ

مأخوذ من قولهم: بيت مكفأ إذا اختلفت شقاقه التي في مؤخره والكفاء: الشقة في مؤخر البيت. والإيطاء ردُّ القافية مرتين، كقوله:

وِيخزِيكَ يَا ابْنَ القَيْنِ أَيامُ دارِمِ ... وَعَمَرُو بَنُ عَمَرٍ إِذْ دَعَا يَالَ دارِمِ

أوطأ قافية على قافية سماه إيطاء.

وأما التضمن فهو أن يُبنى البيت على كلام يكون معناه في بيت يتلوهُ من بعده مُقتضياً له. كقول الشاعر:

وَسَعْدٌ فَسَائِلُهُمُ وَالرَّبَابُ ... وَسَاتِلُ هَوَازِنَ عَنِّ إِذَا مَا

لَقَيْنَاهُمْ كَيْفَ تَعْلُوهُمْ ... بَوَاتِرُ يَفْرِينُ بَيِّضًا وَهَامَا

وكل هذه العيوب لا يجوز للمولدين ارتكابها لأنهم قد عرفوا قبحها، وشاهدوا في غيرهم لذعها ولَفَحَها، والبدوي لم يَأْبَهُ لها.

ومما لا يجوز للمولّد استعماله كسُرّ نونِ الجمعِ في مثل قول جرير:  
عَرِينٌ من عُرِينَةٍ ليس منا ... برئتُ الى عُرِينَةٍ من عَرِينِ  
عَرَفْنَا جَعْفَرًا وبنِي عُبَيْدٍ ... وأنكرْنَا زَعَانِفَ آخَرِينَ  
وهذا لحن، وصوابه آخَرِينَ، مفتوح النون. وقال سُحَيْم بن وَثِيل:  
عَذَرْتُ التُّبْلَ إِن هِيَ خَاطَرْتَنِي ... فما بَالِي وبَالِ ابْنِي لَبُونِ  
وماذا يَدْرِي الشُّعْرَاءُ مِنِّي ... وقد جاوزتُ رَأْسَ الأربَعِينَ  
والصواب فتح نون الأربعين. وقال الفرزدق يخاطبُ الحجاج بن يوسف لما أتاه نعي أخيه محمد في اليوم الذي  
مات فيه ابنه محمد:

إِنِّي لَبَاكٍ عَلَى ابْنِي يَوْسُفٍ جَزَعًا ... ومثلُ فِقْدِهِمَا لِلدِّينِ يُبْكِينِي  
ما سدَّ حِيٍّ ولا مَيِّتٌ مَسَدُهُمَا ... إلا الخِلاَنُفُ من بَعْدِ النَّبِيِّينِ  
فكسر نون النبيين، والصواب فتحها. وللمبرد على ذلك كلام. وكل هذا لا يجوز للمولّد الحدو عليه ولا  
الاحتجاجُ به. ولذلك يقول السيد الحميري:  
وإنَّ لِسَانِي مَقُولٌ لا يَخُونُنِي ... وإِنِّي لما آتِي من الأَمْرِ مُتَّقِنٌ  
أَحْوَكٌ ولا أَقْوِي ولستُ بِلَاحِنٍ ... وكم قائلٍ للشَّعْرِ يُقْوِي وَيَلْحَنُ  
وقال عديُّ بن الرَّقَّاع:

وقصيدة قد بت أجمع بينها ... حتى أقوم مِيلها وسنادها  
نظر المتقف في كعوب فناته ... حتى يُقيم ثقافه مُنادها  
وأُشدُّ أبو بكر الصولي قال: أنشدني عون بن محمد الكندي لبعضهم وملح:  
لقد كان في عينيك يا عمرو شاعِلٌ ... وأنفٌ كَنيلِ العودِ عَمَّا تَتَّبِعُ  
تتبعَ لحنًا في كلامٍ مُرَقَّشٍ ... ووجهك مبنيٌّ على اللحنِ أجمع  
فعيناك إقواءٌ وأنفك مُكفأٌ ... ووجهك إبطاءٌ فأنت المرقعُ  
ويروى:

أذناك إقواءٌ وأنفك مُكفأٌ ... وعيناك إبطاءٌ فأنت المرقعُ  
وقال ابن جريج في سوار بن أبي شراة:  
وذكرُك في الشَّعْرِ مثل السنا ... دِ الحَرَمِ والحَزَمِ أو كالمحالِ  
وإبطاءُ شعْرٍ وإكافؤُهُ ... وإقواؤُهُ دونِ ذِكْرِ الرُّذالِ  
وما عيبٌ شعْرٌ بعيبٍ له ... كأن يُبتلى بِرجالِ السِّفَالِ  
يُتأخِ الهِجاءُ لهاجي الهِجاءِ ... ءِ داءٌ عُضالًا لِداءِ عُضالِ  
وقد أوردنا هذه الأبيات لموضع استقبال عُيوبها وتشبيه أحوالِ المهجور به تأكيداً لقبحها في النفس وتحريضاً على  
اجتنابها لرفع اللبس.

ومما يجوز للشاعر المولّد ارتكابه من الضرورة في شعره أن يصرف ما لا ينصرف لأن أصل الأسماء كلها  
الصرف، وإنما طرأت عليها عللٌ منعتها من الصرف، فإذا صرف الشاعر ما لا ينصرف فقد رده إلى أصله. قال

الشعر:

لم تتلفَع بفضْلِ مِنزَرِها ... دَعْدٌ ولم تُعَدِّ دَعْدٌ بِالْعَلْبِ

العَلْبُ جمع علبة وهي قَدْحٌ من خشبٍ ضخمٍ يُحَلَبُ فيه، فصرفَ دَعْدًا وترك الصَّرْفَ في بيت واحد. وأما أن يأتي الشاعرُ الى ما ينصرفُ فيتركُ صرفه فلا يجوزُ لأنه إخراجُ الشيءِ عن أصله، وإخراجُ الأشياءِ عن أصولها يُفسدُ مقاييسَ الكلامِ فيها. واحتجَّ الأَخْفَشُ على جواز ذلك بقولِ العباس بن مرداس السُّلَمِيِّ وهو:  
فما كان حِصْنٌ ولا حابِسٌ ... يفوقانِ مرداسَ في مَجْمَعِ  
فترك صرفَ مرداسٍ وهو اسمٌ منصرف. وقال أبو علي: هذا لا يقاس عليه، وأقول: إنَّ هذا لا يجوزُ فعله لأنَّه لحنٌ قبيحٌ.

ومما يجوزُ للشاعر المولَّد استعماله ضرورةً قصراً الممدود ولا يجوزُ له مدُّ المقصور لأنَّه خروجٌ عن الأصل، وأما قصرُ الممدود فهو ردُّ الشيءِ الى أصله. قال الشاعر:

بَكَتْ عيني وَحُقَّ لها بُكاها ... وما يُعني البُكاءُ ولا العويلُ  
فقصرَ البكاءَ ومدَّه في بيت واحد.

ومما لا يجوزُ الاحتجاجُ به في مدِّ المقصور؛ لأنَّه على غير أصلِ الوضع الذي اتفقَ العلماءُ عليه قول الفرزدق:

أبا حاضرٍ مَنْ يَزِينُ يَظْهَرُ زِناؤُهُ ... ومن يَشْرَبُ الخِرطومَ يُصْبِحُ مُسْكِرًا

فمدَّ الزَّيْنِ وهو ممدود في لغة أهل نجد، والقَصْرُ فيه لأهل الحجاز وهي لغة القرآن وعليها الاعتمادُ وعلةٌ من مدِّ الزَّيْنِ أنه جعله فعلاً من اثنين، كقولك راميتُه رماء وزانيتُه زناء، ومن قصره ذهب الى أنَّ الفعل من أحدهما؛ وفي الجملة فإنَّه منقولٌ مقول لا يقاسُ غيره عليه، ويكتَبُ الزَّيْنِ في القصر بالياء لأنَّه من: زَيْنِ يَزِينُ. فأما قول الآخر:

سَيُغْنِيني الذي أغناكَ عني ... فلا فقراً يدومُ ولا غناءً

فالرواية الصحيحة أن يكون أولُّه مفتوحاً لأنَّ معنى الغنى والغناء واحد، والشعرُ إذا اضطرَّ الى مدِّ المقصور غير أولِّه ووجهه إلى ما يجوزُ استعماله، كقول الراجز:

والمرءُ يُبليهِ بلاءُ السَّرْبِالِ ... كُرُّ اللَّيالي وانتقالُ الأحوالِ  
فلما فتح الباء من البلى ساغ له المدُّ. ومثلُ هذا كثير.

ويجوزُ للشاعر الاجتزاء بالضمَّة عن الواو ضرورةً كقول الشاعر:

فَبِيناهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قال قائلٌ ... لمن جَمَلٌ رِخْوٌ المِلاطِ ذَلولُ؟

كان الأصل: فبيناه هو، فلما اجتزأ بالضمَّة حذف الواو.

ويجوزُ للشاعر المولَّد أن يرُدَّ المنقوص الى أصله في الإعراب ضرورةً، فيضمُّ الياءَ في الرفع ويكسرُها في الجرِّ، كما تُفْتَحُ في النصب لأنَّ الضمَّة والكسرة منويتان مقدرتان في الياء وإن سقطتا، فيقول في قاضٍ في حال الرفع

قاضٍ وفي حال الجرِّ قاضي، غير مهموز، وكذلك في جوارِي وغواني. قال الشاعر:

تراهُ وقد فاتَ الرُّماةَ كأنَّه ... أمامَ الكلابِ مُصْغِي الحَدِّ أصْلَمُ

فضمُّ ياء مُصغ. وقال عُبيد الله بن قيس الرُّقَيَّات:

لا باركَ اللهُ في الغواني هل ... يُصْبِحْنَ إلا هنَّ مُطْلَبُ

فكسر الياءَ في الغواني. وقال الآخر:

ما إن رأيتُ ولا أرى في مدّتي ... كجوارِيِ يلعنَ في الصحراءِ  
فاستعملَ ضرورتين: إحداهما كسرُ الياء، والأخرى صرفُ ما لا ينصرف. فأما قول الفرزدق:  
فلو كان عبدُ الله مولىً هجوتهُ ... ولكنَّ عبدَ الله مولى موالِيا  
فتقديرُهُ أنه وقفَ على الياء على مذهبٍ من يقفُ عليها من العرب. فلما تمَّ الاسمُ برجوعِ لامِهِ امتنع حينئذٍ من  
الصِّرفِ لأنَّ وزنه صارَ بالياء مفاعل بعد ما كان مفاع، فلما اضطرَّ الى حركته لإقامة الوزن فتحه في موضع  
الجرِّ كما تُفتحُ مساجدُ.

فأما قول الراجز:

يخدو ثمانٍ موعاً بلقاجها

فإنَّ الشاعرَ شبهَ ثمانٍ بجوارٍ لفظاً لا معنىً فلم يصرفه. ويجوز للمولّد أن يسكّنَ الياء في حال النصب فيلحقَ  
المنصوبَ بالرفوعِ والمجرورِ، كما جاز له أن يحركَ الياءَ في حال الرفعِ والجرِّ فيلحقَ المرفوعَ والمجرورَ بالمنصوبِ.  
قال أبو العباس المبرد: هذا من أحسن الضرورات لأهمَّ شبهوا الياء بالألف، يعني أهمَّ إذا أسكنوها في الأحوال  
الثلاث جرى المنقوص مَجْرَى المقصور فصارت الياء كالألف؛ إذ الألفُ ساكنةٌ في جميع أحوالها قال الشاعر:

مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا ... لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

أسكن الياء في موالينا وهي في موضع نصب. وقال الآخر:

كأنَّ أيديهنَّ بالقاع القرقي ... أيدي جوارٍ يتعاطين الورق

أسكن الياءَ في أيديهنَّ وهي في محل النصب وأسكنها في أيدي وهي في محل الرفع. قال الخطيب:

يا دارَ هندٍ عفتُ إلا أثارها

وقال الفرزدق:

يقلّبُ رأساً لم يكن رأسَ سيّدٍ ... وعيناً له حولاءَ بادٍ غيوبها

أراد بادياً غيوبها فأسكن الياء وحذفها لالتقاء الساكنين. ويجوز في قول الآخر وقد تقدّم ذكره:

يخدو ثمانٍ موعاً بلقاجها

أن تُسكّنَ الياءُ ثم تحذفَ لأجل التنوين فيكون محمولاً على هذه الضرورة فتقول:

يخدو ثمانٍ موعاً بلقاجها

ومما يجوز للشاعر المولّد استعماله، إثباتُ الواو والياء في مثل لم يغزُ ولم يرْمِ فيقول عند الضرورة: لم يغزوا ولم

يرمي، كأنه أسكّن الواو والياء بعد وجوب الحركة لهما قال الشاعر:

ألم يأتيك والأبناء تنمي ... بما لاقت لبون بني زياد

كان أصله: يأتيك فحذف الضمة وأسكن الياء كما عرفتُك.

ومما يجوز استعماله، وهو كثيرٌ فاشٍ في الاستعمال، حذفُ التنوين لالتقاء الساكنين. فمن ذلك قول الشاعر:

حُميدُ الذي أمجَّ داره ... أخو الخمرِ ذو الشيبَةِ الأصلعُ

كان ينبغي أن يقول حُميدٌ فأسقط التنوين. والأمجُ الحرُّ والعطش، وأمجٌ موضع. وقال الآخر:

لتجدني بالأمير برّاً ... وبالقناة مدعساً مكرّاً

إذا غطيفُ السلميُّ فرّاً



كان يجب أن يقول: إذا غُطِّفْتُ، فحذف التنوينَ لالتقاء الساكنين. وقال عبيدُ الله بن قيس الرُّقِيَّاتِ:  
كيف نومي على الفراشِ ولما ... تشمل الشَّامُ غارةً شعواءُ  
تُذهِلُ الشيخَ عن بنيه وتُبدي ... عن حِدامِ العقيلةِ العذراءِ  
أراد وتبدي العقيلةُ العذراءُ عن حِدامِ، والحِدامِ الخللُحالُ أي ترفع ثوبها للهرب، وقال الشاعر:  
فألْفَيْتُهُ غيرَ مُسْتَعْتَبٍ ... ولا ذاكَرَ اللهُ إلا قليلاً  
حسُنَ حذفُ التنوينِ من ذاكَرَ ونصَّبَ اسمُ الله تعالى به ليوافقَ المعطوفَ عليه في التنكير. وقال:  
وحاتمُ الطائيُّ وهابُالمِبي

وكان الواجب أن يقول وحاتمٌ فحذفَ التنوينَ لالتقاء الساكنين. وقد رُوِيَ عن أبي عمرو في بعضِ طُرُقِهِ: (قُلْ  
هو الله أحدُ الله الصَّمَدُ)، فحذفَ التنوينَ من أحدٍ لالتقاء الساكنين، وكذلك حُذِفَ التنوينُ لالتقاء الساكنين في  
قراءة من قرأ: (وقالتِ اليهودُ: عَزِيزُ ابنُ الله) على أنه مبتدأ، وابن الله خبرُه، كقراءة مَنْ أثبتَ التنوينَ، ولا  
يكون حذفُ التنوينِ منه لامتناعِ الصَّرْفِ لأنَّ عَزِيزاً ونحوه ينصرفُ عربياً كان أو عجمياً، وإنما حسُنَ حذفُ  
التنوينِ لالتقاء الساكنين كما حسُنَ حذفُ حروفِ اللينِ لذلك. ألا ترى أنه قد جرى مجراها في: لم يكُ زيدٌ  
قائماً، وقوله تعالى: (وإن يكُ كاذباً فعليه كذبه). وقد أثبتَ الشَّاعِرُ نونَ مني دَرهمِ ضرورةً، فقال:  
عندي لها مأتانِ ثوباً مُعلِّماً

ويجوز للمؤكِّد حذفُ نونٍ من إذا وليتها اللام الساكنة، كقول الشاعر:  
أبلغُ أبا دختوشَ مألُكَةً ... غيرَ الذي قد يُقالُ ملُ كذبِ  
أراد أن يقول: من الكذبِ، فحذفَ النونَ لسكونها وسكون اللام بعدها. قال المرقش الأكبر:  
لم يشجُ قلبي ملحواثِ ! ... لا صاحبي المتروكُ في تعلُّمِ  
وقال الآخر:

كأنما مِلانٌ لم يتغيَّرا ... وقد مرَّ للدارينِ من بعدنا عصرُ  
أراد: من الآن، فحذف. وكذلك حذف النجاشي النون من لكن لالتقاء الساكنين فقال:  
ولستُ بآتيه ولا أستطيعُهُ ... ولاكِ استقيني إن كان ماؤكُ ذا فضلِ  
وإنما حذفوا هذه النون تشبيهاً بالياء المحذوفة للتخفيف في لا أدِرِ وقوله تعالى: (ذلك ما كنا نبغ) لمضارعيتها  
حروف المدِّ واللينِ، وقال الراجز:  
لم يكُ شيءٌ يا إلهي قبلكا  
فأما قول المُتنبِّي:

جللاً كما بي فلَيْكُ التبريحُ  
وقد ذكرنا شرحَ هذا البيت في الرسالة العلوية، واستوفينا أقسام ما فيه من العيوب، وإنما نذكر هاهنا وجهَ قُبْحِ  
حذفِ النونِ من فليكن ووجه العُدْرِ له وإن كان ضعيفاً. قال أبو الفتح: وليس حذفُ النونِ من يكن وهي  
ساكنة قد ضارعتُ في المخرج والزيادة والسكونِ والغنة حروف المدِّ فحُذِفَتْ كما يُحذَفْنَ، وهي في فليكن  
التبريح قوياً بالحركة، وكان ينبغي ألا يحذفها انقضى كلامه. ومعنى هذا القول أنها لو لم تُحذفْ وجبتُ حركتها  
لسكونها وسكونِ التاء المبدلة من لام التعريف، وإنما حُذِفَتْ في نحو (وإن يكُ كاذباً فعليه كذبه) وفي قول

الراجز:

لم يكُ شيءٌ يا إلهي قبلكما

لمضارعيتها حُرُوفُ المدِّ واللين والسكون والغنة، فحذفوها تشبيهاً بالياء المحذوفة للتخفيف في لا أدري (وذلك ما كنا نبع) و(يوم يأت لا تكلم نفس) فإذا زال السكون الذي يوجب شبهها بحروف المدِّ وجب ثباتها كقوله تعالى: (لم يكن الله ليغفر لهم) وقبح حذف النون من فليكن من جهة أخرى وهو أنه حذف النون مع الإدغام وهذا لا يعرف، لأن من قال في بني الحارث: بلحارث، لم يقل في بني النجار: بنجار. ووجه العذر عن المتنبى أن يقال: أما صواب الكلام فإثبات النون متحركة، ولكن ضرورة الشعر دعته الى ذلك. وقد حكى أبو زيد في النوادر عن العرب مثل هذه الضرورة فيما أنشده الحسين بن عرفة، قال:

لم يكُ الحقُّ على أن هاجه ... رسم دارٍ قد تعفى بالسرر

غير الجدة من عرفاهما ... خرُق الريح وطوفان المطر

وقد حذف النجاشي نون لكن الخفيفة وهي في موضع حركة في قوله:

فلستُ بأبيه ولا أستطيعه ... ولاك اسقني إن كان ماؤك ذا فضل

وإذا كانت لكن وأصلها لكن قد سوغت الضرورة حذف نونها بعد حذف النون الأخرى، فحذف النون من قوله: فليكن التبريح مسامح فيه للضرورة. وأما حذفها مع الإدغام فإننا نحكم بأنه حذف النون من فليكن لغير التقاء الساكنين بل، كما حذف في قول القطامي:

ولا يكُ موقفٌ منك الوداعا

وأدخل الساكن المدغم بعد حذفها. ومثله في الرجز القديم:

ومن يكُ الدهرُ له بالمرصد

فهذا وجه اجتهاد من يحاول الاعتذار له، وعليه نقض يدحض حجته ويطمس محجته، وليس هذا موضع الكلام فيه. والأصل أن أبا الطيب أخطأ في ذلك وسلك منه ما ليس للمولّد سلوه، والواجب أن يتجنب ما سلكه من هذه الضرورة.

ويجوز حذف الياء من الأيدي والنواحي ومن هي للضرورة. وقال الشاعر:

دارٌ لسعدى إذ من هواكا

فحذف الياء من هي لأنه أراد: إذ هي من هواكا.

وقال الشعر:

وطرت بمنصلي في يعملات ... دوامي الأيدي يخطن السريجا

فحذف الياء من الأيدي، كقول الآخر:

كنواح ريش حمامة نجدية ... ومسحت باللتين عصف الإثمد

فأسقط الياء من نواحي، ومثله:

كفأك كف لا تليق درهما ... جوداً وأخرى تُعط بالسيف الدما

يريد: تعطي، فحذف الياء، وعليه بيت الكتاب:

وأخو الغوان متى يشأ يصرمنه

وقد حذفت الواو مع الضم كقول الشعر:

إنَّ الفقيرَ بيننا قاضٍ حكَمٌ ... أن نردَّ الماءَ إذا غابَ النُجمُ

يريدُ النجومَ فحذفَ الواو واكتفى بالضمة. وقوله:

حتى إذا بُلَّتْ حلاقِيمُ الحُلُقِ

يريد الحُلوق، وقال الأخطل:

كلَّمعَ أيدي مَثاكيلٍ مَسَلَبَةٍ ... يُبدينَ صرْسَ بناتِ الدهرِ والحُطْبِ

يريدُ الخطوبَ فحذفَ الواو واجترأ بالضمة.

ويجوز تسكين الحروف التي يليها الضمات والكسرات نحو: عضدٌ وفخذٌ، فيقال: عضدٌ وفخذٌ، قال الأخطل:

أنتم خيارُ قريشٍ عند نسبتيها ... وأهلُ بطحائها الأثرونَ والفرعُ

أراد الفرعَ فحركَ الراء. وقال الأقيشير الأسيدي:

إنما نشربُ من أموالنا ... فسلوا الشرطيَّ ما هذا الغصبُ

أراد الشرطيَّ بتحريك الراء. ويقال في علم: علمٌ، وفي كرم: كرمٌ، وفي رجل: رجلٌ، وفي ضرب: ضربٌ، وفي

عصيرٍ عصيرٌ. قال الشاعر:

لو عُصِرَ منها البانُ والمِسْكُ انعَصِرَ

ويقال في مثلاً انطلقَ: انطلقَ، تنقلَ حركة اللام الى القاف وسكون القاف الى اللام، كقول الشاعر:

ألا رَبُّ مولودٍ وليس له أبٌ ... وذو ولدٍ لم يلدْهُ أبوانِ

فحركَ الدالَّ بالفتح لما أسكنَ اللام. فأما قول الآخر، وهو من أبيات الكتاب:

قواطناً مكَّةَ من ورُقِ الحمي

ويروى أوالفا فإنه أراد الحممَ فحذفَ الألفَ فبقي الحممُ، فاجتمع حرفان من جنس واحدٍ فأبدلَ الميمَ الثانيةً ياءً

كما قالوا: تظنيتُ بأذلوا الياءَ من النون. وهذا إنما يجوز استعماله ضرورةً في الحِمَامِ خاصةً نقلاً، ولا يجوز

القياسُ عليه في الحمار ولا فيما أشبه ذلك لأنه شاذٌ. ومما حذِفَ الألفُ فيه وهو في المفتوح قليلٌ لِحَفَةِ الألفِ،

قول الشاعر:

مثلُ النقا لبَّدهُ صوبُ الطللِ

يريدُ الطلالَ فحذفَ الألفَ. وقال أبو عثمان في قوله تعالى: (يا أبت) أراد: يا أبتاهُ، فحذفَ الألفَ. وقد

ضاعف الشاعرُ ما لا يجوزُ أن يُضاعفَ في غير الشعرِ للضرورة، قال قنعب:

مَهلاً أعاذلُ قد جرَّبتُ من خلقي ... أنني أجودُ لأقوامٍ وإن صَنفوا

وقال الراجز:

الحمدُ لله العليُّ الأجلُّ

وإنما الوجهُ الصحيحُ صنواً والعلِيُّ الأجلُّ. وكل هذه الضرورات إنما يُرَخَّصُ للشاعر في استعمالها عند مضايق

الكلام واعتياص المرام، لأن الشعرَ محلُّ ارتكابِ الضرورات، واستعمال الحظورات. وقد ألحقَ الشاعرُ نونَ

الجمع مع الاسمِ المُضمر، وهو من الضرورات التي لم تُستحسن، فقال في مثل الضَّارِبِ بوه الضَّارِبِ بوه، والخائفِ بوه:

الخائفِ بوه، والآمِروهُ الآمِروته. قال الشاعر:

هُمُ الْقَاتِلُونَ الْخَيْرَ وَالْأَمْرُونَ... إِذَا مَا خَشُوا مِنْ مُحَدَّثِ الْأَمْرِ مُفْطَعًا  
فَأَمَّا حَذْفُ الْإِعْرَابِ فَلَا يَجُوزُ لِلْعَرَبِيِّ فَضْلًا عَنِ الْمَوْلَدِ قَالَ الرَّاجِزُ:  
إِذَا عَوَّجَجَنْ قَلْتُ صَاحِبَ قَوْمٍ... بِالذَّوِّ أَمْثَالَ السَّفِينِ الْعَوْمِ  
وَأُنْشِدُ سَيُوبِيهَ:

فَالْيَوْمَ أَشْرَبُ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ... إِثْمًا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ  
يُرِيدُ: أَشْرَبُ، فَحَذْفُ الضَّمَّةِ وَهُوَ لَحْنٌ، وَالرَّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ فِيهِ: فَالْيَوْمَ فَاشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ.  
وَأَمَّا قَطْعُ أَلْفِ الْوَصْلِ فَلَا يَجُوزُ لِلشَّاعِرِ الْمَوْلَدِ اسْتِعْمَالُهُ لِأَنَّهُ لَحْنٌ وَإِنْ كَانَ الْعَرَبِيُّ قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ. قَالَ جَمِيلُ:  
أَلَا لَا أَرَى إِثْنِينَ أَحْسَنَ شِيمَةً... عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مِنِّي وَمِنْ جُمْلَةٍ  
فَقَطَعَ أَلْفَ اثْنَيْنِ وَهِيَ أَلْفٌ وَصَلٍ.  
وَيَجُوزُ زِيَادَةُ الْيَاءِ فِيمَا كَانَ عَلَى وَزْنِ مَفَاعِلٍ فَيَصِيرُ فَاعِيلٌ مِثْلَ مَسَاجِدٍ وَدِرَاهِمٍ فَقَالُوا: مَسَاجِدٌ وَدِرَاهِمٌ.  
وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الشَّاعِرَ إِذَا احتَاجَ إِلَى إِقَامَةِ الْوِزْنِ بَطَلَ الْحَرَكَةُ فَأَنْشَأَ عَنْهَا حَرْفًا مِنْ جِنْسِهَا. قَالَ الشَّاعِرُ يَصِفُ  
نَاقَةً:

تَنْفِي يَدَاهَا الْحَصَا فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ... نَفْيَ الدَّرَاهِمِ تَنْقَادُ الصِّيَارِيفِ  
وَكَذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ هَرْمَةَ: يُنْتَزِحُ، يُرِيدُ بُنْتَزِحَ مِنَ التَّرْحِ وَقَوْلُ الْآخَرِ: فَاظْطُرُّ، أَيِ فَاظْطُرُّ.  
وَقَدْ بَيَّنَّ النُّحَوِيُّونَ ذَلِكَ وَشَرَحُوهُ، وَقَدْ جَاءَ فِي مِثْلِ الْمِفْتَاحِ: الْمَفْتَحُ، وَفِي مِثْلِ التَّامِيلِ: التَّامُلُ، وَفِي مِثْلِ  
الْكَلْكَالِ: الْكَلْكَالُ. وَهَذَا يَجُوزُ لِلشَّاعِرِ الْمَوْلَدِ اسْتِعْمَالُهُ إِذَا نَقَلَهُ نَقْلًا لِأَنَّهَا لُغَةٌ الْقَوْمِ وَلَهُمُ التَّصَرُّفُ فِيهَا، وَلَيْسَ  
لَنَا الْقِيَاسُ عَلَيْهَا بَلْ نَسْتَعْمِلُ مَا وَرَدَ عَنْهُمْ نَقْلًا. قَالَ الرَّاجِزُ:  
أَقُولُ إِذْ حَرَّتْ عَلَى الْكَلْكَالِ... يَا نَاقِي مَا جُلْتِ مِنْ مَجَالِ  
وَيَجُوزُ لِلشَّاعِرِ الْمَوْلَدِ التَّصْغِيرُ فِي الشَّعْرِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةِ لِمَعَانٍ فِي التَّصْغِيرِ نَذَكْرُهَا.  
أَمَّا التَّصْغِيرُ فَعَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: قَسَمٌ لِلتَّحْقِيرِ كَقَوْلِكَ: رُجَيْلٌ، وَقَسَمٌ لِلتَّقْلِيلِ فِي الْجُمُوعِ كَقَوْلِكَ: أُجَيْمَالٌ،  
وَقَسَمٌ لِلتَّعْظِيمِ كَقَوْلِ عَمْرِ بْنِ رَضِي اللَّهِ عَنْهُ كُنَيْفٌ مُلَى عَلَمًا. وَقَالَ حُبَابٌ: أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكَ وَعُذَيْقُهَا الْمُرْجَبُ.  
وَقَالَ لَبِيدٌ:

دُؤَيْبِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ  
وَقَسَمٌ لِلتَّقْرِيبِ وَذَلِكَ فِي الظُّرُوفِ نَحْوَ قَوْلِكَ: فُؤَيْقٌ وَقُدَيْدِيَّةٌ وَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:  
صَلِّعٌ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ... بِضَافٍ فُؤَيْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعَزَلِ  
وَقَالَ الْأَعَشَى:

أَبْلَغُ يَزِيدَ بَنِي شَيْبَانَ مَأْلُكَةٌ... أَمَا تُبَيِّتِ أَمَا تَنْفَكُ تَأْتَكِلُ  
وَقَالَ زَهْرِي:

فَأَمَّا مَا فُؤَيْقَ الْعِقْدِ مِنْهَا... فَمِنْ أَدْمَاءِ مَرْتَعِهَا خَلَاءُ  
وَقَالَ أَبُو زُبَيْدٍ الطَّائِي:

يَا ابْنَ أُمِّي وَيَا شَقِيقَ نَفْسِي... أَنْتَ خَلَيْتَنِي لِأَمْرِ شَدِيدٍ  
وَرَبَّمَا حَقَرُوا فَعَلَ التَّعَجُّبُ لِلْحَاقِقِ بِالْأَسْمَاءِ إِذْ عَدِمَ تَصَرُّفَهُ، وَمَعْنَى التَّحْقِيرِ الْمَبَالِغَةِ فِي الْاسْتِحْسَانِ، كَمَا قَالَ:

يا ما أَحْسِنَ غَزْلًا نَا عَرَضْنَا لَنَا  
ويجوز استعمالُ غَدُوٍ في موضعِ غَدٍ، كقول الشاعر:  
وما الناسُ إلا كالديارِ وأهلها بما يومَ حلّوها وغَدُواً بلاقُعُويجوز استعمالُ لَيْتِي في موضعِ لَيْتِي كقول الشاعر:  
كَمُنِيَّةِ جَابِرٍ إِذْ قَالَ لَيْتِي ... أَصَادِفُهُ وَأَفْقَدُ بَعْضَ مَالِي  
ويجوز استعمالُ عِمٍ صباحاً في موضعِ أَنَعِمُ صباحاً كقول الشاعر:  
أَتَوْا نَارِي فَقُلْتُ مَنْوَنَ أَنْتُمْ ... فَقَالُوا: الْجُنُّ، قُلْتُ: عِمُوا ظَلَامًا  
ويجوز الترخيمُ في غير النداءِ للضرورة كما قال الشاعر:  
لِنِعْمِ الْفَتَى تَعَشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ ... طَرِيفُ بِنُ مَالٍ لَيْلَةَ الْجُوعِ وَالْحَصْرِ  
يريد طريفُ بنَ مالكٍ فرخَمَ في غير النداءِ، كما قال الآخر:  
وهذا رِدَائِي عِنْدَهُ يَسْتَعْبِرُهُ ... لَيْسَلْبِي عَزِيَّ أَمَالِ بِنِ حَنْظَلِ  
أراد حنظلة فرخَمَ وهو غيرُ مُنادى. وأما الترخيمُ في النداءِ فقد جاء منه في أشعارهم ما لا يُحيطُ به الإحصاءُ.  
قال الشاعر:

يا مَرُوَ إِن مَطِيَّتِي مَحْبُوسَةٌ ... تَرْجُو الْحَبَاءَ وَرُبُّهَا لَمْ يَبْأَسِ  
يريد يا مروانُ. وقال آخر:  
فَقُلْتُمْ تَعَالَ يَا يَزِي بِنَ مَحْرَمٍ ... فَقُلْتُ لَكُمْ إِنِّي حَلِيفُ صُدَاءِ  
يريدُ يا يزيد. وقال آخر:  
يا حَارِ لَا أُرْمِينُ مِنْكُمْ بِدَاهِيَةٍ  
أراد يا حارثُ، وقد جاءَ عنهم إبدالُ الحرفِ المتحركِ بحرفٍ لا تجري فيه الحركة، وهو من الضرورات التي لا  
تجوز للشاعر المولّد ولا هي بالمستحسنة. قال الشاعر:  
له أَشَارِيرُ مِنْ لَحْمٍ تُتَمَّرُهُ ... مِنَ الثَّعَالِي وَوَحْزٌ مِنْ أَرَانِيهَا  
أراد الثعالبُ فأبدلَ من الباءِ ياءً، وكذلك أراد أَرَانِيهَا فأبدلَ الياءَ من الباءِ. ومثله:  
ومَنْهَلٍ لَيْسَ بِهِ حَوَازِقُ ... وَلِضَفَادِي جَمَّةٌ نَقَاتِقُ  
يريد الضفادع.

ويجوز للشاعر المولّد استعمالُ الماضي في موضعِ المُستقبلِ واستعمالُ المُستقبلِ في موضعِ الماضي. فأما استعمالُ  
الماضي في موضعِ المُستقبلِ فكقوله تعالى: (ونادى أصحابُ النارِ أصحابَ الجنةِ أنْ أفيضوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ) والمعنى  
وإذ ينادي أصحابُ النارِ أصحابَ الجنةِ. وأما استعمالُ المُستقبلِ في موضعِ الماضي فكقوله تعالى: (ففریقاً كَذَبْتُمْ وَفَرِيقاً  
تَقْتُلُونَ)، أراد فریقاً قَتَلْتُمْ. ومثله (ما يعبدونَ إلا كما يعبدُ آبائُهُم من قَبْلُ) أوقعَ يعبدَ موضعَ عبدَ. وقال  
الطَّرْمَاحُ:

وَإِنِّي لَا تَيْكُمُ تَشْكُرُ مَا مَضَى ... مِنَ الْأَمْسِ وَاسْتِيْجَابَ مَا كَانَ فِي عَدِ  
وضعَ كان في موضعِ يكون. وقال زيادُ الأعجمُ:  
وَإِنْ ضَحَّ جِوَانِبَ قَبْرِهِ بِدِمَائِهَا ... فَلَقَدْ يَكُونُ أَحَادِمٌ وَذَبَائِحُ  
وضعَ يكونُ في موضعِ كان.

وقال أبو الفتح: قال أبو علي: سألت أبا بكر عن الأفعال يَقَع بعضها موقع بعض فقال: كان ينبغي للأفعال كلها أن تكون مثلاً واحداً لأنها لمعنى واحد، ولكن خولفَ بين صيغها لاختلاف أحوال أزميتها، فإذا اقترب بالفعل ما يدل عليه من لفظٍ أو حالٍ جازَ وقوع بعضها موقع بعض. قال أبو الفتح: وهذا كلام من أبي بكر عال سديداً فاعرفه. وقال أعشى باهلة:

فإن يُصَبِّكَ عدوٌّ في مُناوأةٍ ... فقد تكونُ لك المغلاةُ والظفرُ

وضع تكون في موضع كانت. وقال آخر:

قالت جُعادة ما لجسومك شاحباً ... ولقد يكونُ على الشبابِ نصيراً  
أي: ولقد كان.

ويجوز للشاعر المولّد تأنيثُ المذكرِ وتذكيرُ المؤنثِ على المعنى وهو أفسى في العُرفِ والاستعمال من أن يُؤتى عليه بشاهدٍ أو مثال، قال الشاعر:

أتهجرُ بيتاً بالحجازِ تلفعتُ ... به الخوفُ والأعداءُ من كلِّ جانبٍ

أث الخوفُ لأنه ذهب به الى المخافة. ومثله بيتُ الحماسة:

يا أيها الراكبُ المُرْجِي مطيئته ... سائلُ بني أسدٍ ما هذه الصوتُ

أث الصوت لأنه ذهب به الى الاستغائة، وإذا جازَ تأنيثُ المذكرِ في كلامهم حملاً على المعنى، وهو منهم حملُ الأصل على الفرع، كان تذكيرُ المؤنثِ أجدرَ بالجوازِ من حيثُ كان الأصلُ هو التذكير. ومناحسن الجميلِ ردُّ الفروع الى الأصول.

ومن تذكيرِ المؤنثِ قوله تعالى: (السماءُ مُنْفَطِرٌ به). لأنه تعالى أراد بالسماءِ السَّقْفَ لقوله تعالى: (وجعلنا السماءَ سَقْفًا محفوظًا). قال الشاعر:

فلا مُزَنَّةٌ ودَقَّتْ ودَقَّها ... ولا أرضٌ أنْقَلِ إبقالها

فذكر لما عنى بالأرضِ المكان، غير أنه ردَّ الهاء على لفظِ الأرض.

وقال زهير:

لها أداةٌ وأعوانٌ غدوُنَ لها ... قَتَبٌ وغرْبٌ إذا ما أُفرغَ انسَحَقا

غدوُن مؤنث، وإن كان للأعوان، لأنه أث على معنى الجماعة كما تقول: هذه رجال، والقَتَبُ قَتَبُ السَّانية،

وانسحق انصب. وأنشد المفضل:

فلو كنتُ بالمغلوبِ سيفِ بنِ ظالمٍ ... فتكتُ لعادتِ قبرِ عوفٍ قرائبه

ولكن وجدتُ السَّهمَ أهونَ فُوقَةً ... عليك فقد أودى دمٌ أنتَ طالبه

جعل الفوق مؤنثاً؛ لأنه أراد ذروته وهي أعلاه، ومثل ذلك كثير.

ومما يجوزُ للشاعر المولّد استعماله حذفِ الهمزة عند الضرورة. أنشد سيويه لعبد الرحمن بن حسن:

فكنتَ أدلَّ من وتدي بقاعٍ ... يُشجِّجُ رأسه بالفهرِ واج

يريد واجي. وقال ابن هرمة:

ليتَ السِّبَاعُ لنا كانت مجاورَةً ... وأننا لا نرى مَن نرى أحدا

إنَّ السِّبَاعَ لنهدا عن فرائسها ... والناسُ ليسَ بهادٍ شرُّهم أبدا

يريد ليس بهادى. وقال آخر:

تفادفه الرواد حتى رموا به ... ورا طرف الشام البلاد الأقسيا

أراد: وراء طرف الشام، فقصر الكلمة وكان ينبغي ألا يقصرها؛ لأن الهمزة أصلية فيها. إلا أن الضرورة ألزمته فقلبيها ياء. وأنشد أبو علي:

إن لم أقاتل فالبسوني برقعاً

ويجوز للشاعر المولد حذف همزة الاستفهام للضرورة مع دلالة الكلام عليها، كما قال الكمي:

طربت وما شوقاً الى البيض أطرب ... ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب

أراد: أو ذو الشيب يلعب. وقال عمران بن حطان:

وأصبحت فيهم آمناً لا كمعشر ... أتوني فقالوا من ربيعة أو مضر

أراد: أمن ربيعة أو مضر. وقال ابن أبي ربيعة:

ثم قالوا تحبها قلت بهراً ... عدد القطر والحصا والثراب

أراد: أثجها. وقيل في قوله تعالى (نعمةً ممنها علي) إن المراد: أوتلك نعمة، وإذا صح ذلك فقد زالت الضرورة من الشعر.

ومما يجوز للشاعر المولد استعماله عند الضرورة في شعره الحرم، بقاء معجمة وراء غير معجمة، وهو حذف أول متحرك من الوند الجموع في أول البيت، والوند الجموع حرفان متحركان بعدهما ساكن مثل: غزا، رمى، ولا يدخل الحرم على بيت أوله سبب أو فاصلة، وأكثر ما يجيء في أول البيت من القصيدة وربما جاء في غيره من الأبيات. قال الشاعر:

كنا حسبنا كل بيضاء شحمة ... ليالي لاقينا جذام وحميرا

أراد أن يقول: وكنا فحذف الواو. وقال الآخر:

كانت قناتي لا تلين لغامز ... فالأنا الإصباح والإمساء

وأكثر ما يحذف للحرم حروف العطف مثل الواو وأخواتها وإن كان الحرم يجيء بغير ذلك. وقد أجاز بعض العروضيين الحرم في أول النصف الثاني من البيت وشبهه بأول البيت وأنشد عليه قول امرئ القيس:

وعين لها حدررة بدررة ... شقت ماقيها من آخر

أراد أن يقول: وشقت. وأنشوا في حرم أول البيت وفي أول النصف الثاني منه، وهو غير مستحسن ولا ينبغي العمل به، قول الشاعر:

أبدلني بتيم اللات ربي ... حنظلة الذي أحيا تميما

أراد أن يقول: وأبدلني بحنظلة فحذف الواو من أول النصف الأول، والباء من أول النصف الثاني.

وحديث أبي تمام مع أبي سعيد المكفوف، لما عرّضت عليه قصيدته البائية التي مدح بها عبد الله بن طاهر، وإنكاره الحرم في أول البيت منها معروف لأن العلماء بالشعر لا يستحسنونه وإن كان مجوزاً مستعملاً وهو قوله:

هن عوادي يوسف وصواحيبه ... فعزماً فقدماً أدرك النار طالبة

وأما الحرم بقاء معجمة وبراء معجمة فما يجوز للشاعر المولد استعماله ولا يسوغ له تعاطيه أبداً، وهو زيادة كلمة يأتون بها في أوائل الأبيات يُعند بها في المعنى ولا يُعند بها في الوزن، وإذا أريد تقطيع البيت حذفت تلك

الكلمة الرائدة وهي تُستعمل في جميع البحور كما قال الشاعر:  
أشدُّ حيازيمك للموت ... فإنَّ الموتَ لاقيكا  
والبيت من الهزج ولا يستقيم إلا بإسقاط أشدُّ. وقال الآخر:  
المسيبُ بنُ شريكِ اليومِ عالمٌ من العلماءِ  
لا يستقيم تقطيعه حتى يُحذفَ من أوله المسيبُ.  
وربما كان الخزمُ في أول البيت حرفاً أو حرفين كما قال الكندي:  
وكانَ ثبيراً في عرّانين وبِله ... كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزملٍ  
ألا ترى أنّ الوزنَ لا يستقيم حتى تسقط الواو، وعلى ذلك يُروى. والأصل في الرواية الصحيحة ثبوت الواو،  
وكذلك أنشدّه العروضيون واحتجوا به. وقد جاء من طريق الشذوذ الخزمُ في نصف البيت كقول الشاعر:  
يا نفسِ أكلاً واضطجعا ... عاً يا نفسِ لستِ بخالدة  
والبيت من مجزوء الكامل متفاعلين أربع مرّات ولا يصحّ إلا بإسقاط يا من نصف البيت ويُجتزأ بحرف النداء في  
أول البيت فاعرف ذلك. وقد جوزوا أن تُحذفَ من القافية الياء في مثل قول الشاعر:  
وقبيلٌ من لُكيزٍ شاهدٌ ... رهطٌ مرجومٍ ورهطُ ابنِ المعلِّ  
وهو يريدُ المعلّى. وقد جوزوا أيضاً تخفيف المُشدّد في مثل قول الشاعر:  
دعوتُ قومي ودعوتُ معشري ... حتى إذا ما لم أجد غيرَ الشرِّ  
كنتُ امرءاً من مالِكِ بنِ جعفرٍ  
فخففَ الرء من الشرِّ. وقال المبرد: لم يرِدِ الشرِّ وإنما أراد السريّ بسين غير معجمة وهو اسمُ رجلٍ شَبّه  
بالسريّ وهو فخرٌ فحذفَ إحدى الياءين فبقي السريّ فخففَ الياءَ.  
فهذه بُدّة في هذا الفصل يُستغنى بها عن غيرها، ولمعةٌ يُكتفى بها عن سواها، فربّ قيسٍ أغنى عن مصباح،  
وغلسٍ اجتزى به عن صباح.

### الفصل الثالث

في فضله ومنافعه وتأثيره في القلوب ومواقفه  
أما الشعرُ فإنه ديوان الأدب، وفخر العرب، وبه تُضرب الأمثال، ويفتخر الرجال على الرجال، وهو قيدُ  
المناقب ونظامُ الحسن، ولولاه لضاعَتْ جواهرُ الحُكم، وانتشرت نجومُ الشرف، وتهدمت مباني الفضل، وأقوت  
مرايعُ الجِد، وانطمست أعلامُ الكرم، ودرست آثارُ النعم. شرفه مخلدٌ، وسؤدده مجددٌ، تَفنى العصورُ وذكره  
باق، وهوي الجبالُ وفخره إلى السماء راق، ليس لما أثبتته ماج، ولا لمن أعذره لاح.  
مات سحيمٌ عبداً بني الحسحاس، وله ذكر أضوع من المسك وأنضر من الآس، ولولا الشعرُ لما عُرف، ولا  
بالإجادة وصف، وكم في بني حام، من مجهول طغام، ولا يُذكر ولا يُشكر. وقد قيل: إن إبراهيم بن المهدي لما  
اعتذر إلى المأمون، وكلامه معروف، قال للمأمون في جواب قوله له: أنت الخليفة الأسود: وأما كوني أسود فقد  
قال عبداً بني الحسحاس:

أشعارُ عبدِ بني الحسحاسِ قُمنَ له ... يومَ الفخارِ مقامَ الأصلِ والورقِ



إِنْ كُنْتُ عَبْدًا فَنَفْسِي حُرَّةٌ كَرَمًا ... أَوْ أَسْوَدَ اللَّوْنِ إِنْ أَبْيَضَ الْخُلُقُ  
فَقَالَ الْمَأْمُونُ: لَوَدِدْتُ أَنَّهُمَا لِي بِجَمِيعِ مُلْكِي، يَعْنِي الْبَيْتَيْنِ.

ولولا زهير لما ذُكِرَ هَرَمٌ، ولا جرى بمدحه قلم. ماتا وبلبياً، وتمزقت أوصالهما وفنياً، وذكرهما غصنٌ جديدٌ،  
وصيتهما باقٍ مديدٌ، هذا الفضله وهذا لإفضاله، ولولا الشعر لما ذُكِرَا ولا عُرفَا.

وحكى الرُّهني في كتابه الذي سماه ذخائر الحكمة، يرفعه إلى سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عبد الله أنه قال:  
كنا ذات يومٍ عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ قال: من أشعرُ الناس؟ فقلنا: فلانٌ وفلان، فبينما نحن  
كذلك إذ طلع عبدُ الله بنُ عباس فسلم وأجلسه إلى جنبه ثم قال: قد جاءكم ابنٌ بجديتها. من أشعرُ الناس يا بنَ  
عباس؟ قال: ذاك زهير بن أبي سلمى، قال: فأنشيدنا شيئاً من شعره نستدلُّ به على ما تقول، قال: امتدح قوماً  
من غطفان يُقال لهم بنو سنان فقال:

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ بَشَرٍ ... قَوْمٌ بِأَوْلِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا  
قَوْمٌ سِنَانٌ أَبُوهُمْ حِينَ تَنْسُبُهُمْ ... طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا  
إِنْسٌ إِذَا آمَنُوا جَنٌّ إِذَا فَرِعُوا ... مُرَزَّوْنَ بِهَالِيلٍ إِذَا جُهِدُوا  
مُحْسَدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَعَمٍ ... لَا يَنْزِعُ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا لَهُ حُسَدُوا

فقال عمر رضي الله عنه: قاتله الله يا بن عباس لقد قال كلاماً حسناً ما كان يصلح إلا لأهل هذا البيت من بني  
هاشم لقرايتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستعظم ما مدح به بني سنان وطلب له مستحجاً فما رأى  
إلا بني هاشم.

وهذا جريئ بن الخطفي مع لؤم أصله، وضعة بيته، وقلة أهليه، وخمول جدّه وأبيه، قد رفعه شعره، وعمّره  
قوله، فهو محلّدٌ باقٍ، وعليه من الفناء بشعره واقٍ، ولقد شيدَ بذكره ذكرُ يربوع، وشهر اسمه بين الخافل  
والجموع، وضاهى الفرزدقَ وناواه، وجاهرةً بالأهاجي وعاداه، مع شرفِ الفرزدقِ وكرمِ أصله. ولولا الشعرُ  
لكان بنجوةً عن مجارةٍ مثله، حتى ذكر الفرزدقُ آباءه، وقال:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعنا يا جريئ النجاعة

ولقد ذهب امرؤ القيس وأبوه، وملكته وأهلوه، وغبر شعره وكلامه، وعمّر قوله ونظامه. وكم من ملكٍ في  
كينة ذهبٍ وذهبت منه العُدّة والعِدّة فما تُحسُّ نبأته، ولا يُعرفُ اسمه ولا سمته. ولقد ذهب ملكُ التبابعة  
والأكاسرة، وزال سلطانُ المَقاولِ والأساورَةِ ولم يبقَ لهم سوى بيتٍ سائرٍ، من مديحِ شاعرٍ، ولولا مدائحُ زياد  
الذبياني لما عُرفَ الملكُ ابنُ الجلاح، ولا ضاعَ له أرجُ ثناءٍ ولا فاح، وكذلك أبوه الجلاح فلولا أبو أمامة، لما كان  
عليه من سمةِ الذكر علامة:

ماتَ الجلاحُ ولم يمتْ ... ما قالَ فيه أبو أمامة

ولقد كانت العربُ تُعدُّ الشعرَ خطيراً، وترى الشاعرَ أميراً، فإذا نبغَ في القبيلة شاعرٌ هُنَّتْ به، وحسدت من  
سببه، لأنه ينافح عن أنسابها، ويكافح ويناضل عن أحسابها.

كم كان في الأوس من أميرٍ ... ماتوا جميعاً سوى عرابه

أحياه بعد الممات بيتٌ ... لشاعرٍ إذ دعا أتابه

لعله كان في الدنيا في ... فردّه الشعرُ في الذؤابة

ألا ترى الى أبي ذُلف العِجْلِيّ كيفَ رفعه، على ضَعَةِ بيته ودناءةِ بني عِجَلٍ، فإنك لا تجدُ فيهم ممدوحاً سواه،  
قول ابن جبلة:

إنما الدنيا أبو ذُلفٍ ... بنَ باديهِ ومُحتَضِرُهُ  
فإذا ولّى أبو ذُلفٍ ... ولّتِ الدنيا على أثرِهِ

وكان أبو الصَّقَرِ بنُ بُلبلٍ لا يُعدّ من ذوي الأصول الثابتة، ولا ذوي الفروعِ النابتة، حتى مدحه ابنُ جُريج  
بقوله:

قالوا أبو الصَّقَرِ من شيبانَ قلتُ لهم ... كلاً لعمري ولكن منه شيبانُ  
وكم أب قد علا بابنِ ذُرَى شرفٍ ... كما علا برسولِ اللهِ عدنانُ  
ولم أقصّرُ بشيبانَ التي بلغتُ ... بها المبالغَ أعراقاً وأغصانُ

فصار في سِروَاتِ الممدوحين، وبمدحه يتمثلُ المتمثلون. وكان بنو قُرَيْعٍ يُدعون أنفَ الناقَةِ فيَعْضون لذلك،  
ويستخطون منه، فلما مدحهم الحُطَيْيئة بقوله:

قومٌ همُ الأنفُ والأذنانُ غيرُهُم ... ومن يُسوي بآنفِ الناقَةِ الذنبا  
رضوا به وصار من أكبرِ مفاخرِهِم، ولولا الشعرُ لعدّوه من أقبحِ ألقابِهِم.

وخبر الحُطَيْيئة مع الزُّبرقان بن بدرٍ وما كان من زوجته أمّ شذرةٍ وتقصيرها في حقّه ومراسلة بني أنفِ الناقَةِ له  
حتى استفسدوه ونقلوه إليهم، مشهورٌ مذكور. ولما خيّرَ الحُطَيْيئة اختار بني أنفِ الناقَةِ على الزُّبرقان فشقّ ذلك  
عليه، وأرسل الزُّبرقان الى رجلٍ من النَّمِرِ بن قاسطٍ يُقال له دِثار بن شيبان وأمره أن يهجوهم فقال النَّمِرِ من  
أبيات:

وقد وردتْ مياهُ بني قُرَيْعٍ ... فما وصلوا القرابَةَ مُدّ أساؤوا

فاحتاج الحُطَيْيئة عند ذلك أن يهجوَ الزُّبرقان بن بدرٍ فهجأه بأبياتٍ منها:

دع المكارمَ لا تنهضُ لبعيتِها ... واقعدُ فإنك أنتَ الطاعمُ الكاسي

فلما بلغتِ الزُّبرقان استعدى عليه عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه وقال: هجاني، فلما استنشده قال عمر: لا  
بأس بذلك، فقال أرسل الى حسان بن ثابتٍ وسله أهجاني أم لا، فقال حسان: نعم هجأه وسلح عليه، فحبسه  
عمر، فكتب إليه الحُطَيْيئة من الحبسِ أبياتاً منها:

ماذا تقولُ لأفراخِ بذي مرخٍ ... حُمُرِ الحواصلِ لا ماءً ولا شجرُ

ألقيتُ كاسيهم في قعرِ مُظلمةٍ ... فامننْ عليه هداك اللهُ يا عُمَرُ

فأثر الشعرُ عند عمر فاستتابه وأطلقه. ولو أن الحُطَيْيئة قد شتم الزُّبرقان بغير الشعرِ لما تأثر بشتمه، ولما كان  
شعراً رآه بقوله: فأنتَ الطاعمُ الكاسي، قد جنى عليه وأساء إليه.

ولما هجأ الحُطَيْيئة بني العجلان استعلوا عليه عمرُ بن الخطاب فقالوا هجانا وشعث من أعراسنا، قال عمر: وما  
قال؟ قالوا: قال فينا:

إذا اللهُ عادى أهلَ لؤمٍ ودِقَّةٍ ... فعادى بني العجلانِ رهطَ ابنِ مُقبِلِ

قال عمرُ دعا عليهم. قالوا إنه قال:

قُبَيْلَةٌ لا يعِدرون بدمَةٍ ... ولا يظلمون الناسَ حَبَّةَ خردلِ

قال عمر: هؤلاء قوم صالحون ليّتي منهم وليست آل الخطاب كانوا منهم. قالوا إنه قال:  
ولا يردون الماء إلا عشيّة... إذا صدرَ الورّادُ عن كلِّ منهلٍ  
قال عمر: ذاك أخفُّ للزحام وحينئذ يصفو الماء ويطيب الورْدُ. قالوا إنه قال:  
وما سُمِّي العجلانُ إلا لقيلبهم... خُذِ القَعْبَ واحلُبْ أيها العبدُ واعجلِ  
فقال عمر: سيّدُ القومِ خادمُهم وأصغرُهم شقَرُتهم. قالوا إنه قال:  
تعافُ الكلابُ الضارياتُ حومَهم... ويأكلُن من كعبيْن عوفٍ ونَهشَلِ  
فقال عُمر: كفى ضياعاً من تأكلُ الكِلابُ لحمه، قالوا: يا أمير المؤمنين ليس هذا من عملِكَ فلو أرسلت إلى  
حسان بن ثابت فسألته، فأرسل إلى حسان فسأله: أهجأهم؟ قال لا يا أمير المؤمنين ولكن سلح عليهم.  
وقهدد رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ قصيدة الأَفوهِ الأودِيّ وضمّن له النار، أنفَةً من الهجاء وغضباً  
من مواقع نبّله. وسمع صلى الله عليه وسلم رجلاً يَنشد:  
كانتُ قريشٌ بيضةً فتفلّقتُ... فالحُ خالصُها لعبدِ الدارِ  
فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال لأبي بكر رضي الله تعالى عنه: أهكذا قال الشاعر؟ قال لا يا  
رسولَ الله إنما قال:

يا أيها الرجلُ المَحوّلُ رحلُهُ... هالاً نزلتُ بآلِ عبدِ منافِ  
الضاريينَ الكبشَ يبرُقُ بيضُهُ... والقائِلينَ هلمَّ للأضيافِ  
الخالطينَ فقيرُهُم بغنيّهم... حتى يعودَ فقيرُهُم كالكافي  
عمرو العَلِيّ هشَمَ الثريدَ لقومه... ورجالُ مكة مُسننون عجافُ  
كانتُ قريشٌ بيضةً فتفلّقتُ... فالحُ خالصُها لعبدِ منافِ  
ففرح صلى الله عليه وسلم حتى برقتُ أساريُّ وجهه وقال: هكذا قال. وبلغه صلى الله عليه وسلم أن كعب بن  
زُهير هجأه فنذرَ دمه، فجاءه متنكراً حتى دخل المسجدَ واستأذنه في إيراد مدحته فأذنَ فقام بين يديه وأنشد:  
بانتُ سعادُ فقلبي اليومَ مشوّلُ... متيمٌ إثرها لم يُفدَ مكبولُ  
فلما بلغَ إلى قوله:

نُبئتُ أنّ رسولَ الله أوعدني... والعفو عند رسولِ الله مأمولُ  
فقال: عفى الله عنك، وخلعَ عليه بُردته وطيبَ نفسه وأمنه ولولا شعْرُهُ لطاحَ دمه وكان مآله جهنّم.  
وحدّث أبو يعلى الأَشَدَق قال: سمعتُ النابغة يقول: أنشدتُ النبي صلى الله عليه وسلم:  
بلغنا السماءَ مجدّنا وجدودنا... وإنا لترجو فوقَ ذلك مَظْهراً  
فغضب وقال: أين المَظْهَرُ يا أبا ليلى؟ قلت: الجنة يا رسولَ الله، قال: أجلُ إن شاء الله تعالى وتبسّم فقلت:  
ولا خيرَ في حِلْمٍ إذا لم تكنْ له... بوادرُ تحمي صَفوهُ أن يُكَدِّرا  
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكنْ له... حليمٌ إذا ما أوردَ القومُ أصدرا  
فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أجدتُ لا يَفْضُضُ اللهُ تعالى فاكَ مرتين، فعاش أكثر من مائة سنة وكان من  
أحسن الناس ثغراً.

وحدّث أبو غزيرة الأنصاري قال: لما أنشدَ حسان بن ثابت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كلمته حتى وصل إلى

قوله:

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجِبتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ  
تَبَسَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ لَهُ: جَزَاكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى ذَلِكَ. ثُمَّ أَنْشَدَهُ:  
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرَضِي ... لِعَرَضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ  
فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَقَاكَ اللَّهُ حَرًّا النَّارِ.

وَحَدَّثَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ قَالَ، حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنِي عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدًا يَخْصِفُ نَعْلًا وَأَنَا قَاعِدَةٌ أُغْزِلُ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى سَالِفَتِهِ وَخَدَّهُ قَدْ عَرِقَ، فَجَعَلَ يَتَوَلَّدُ عَرْقُهُ  
نُورًا فَبُهِتْتُ. فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَظَنَرْتُ إِلَيْ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، إِلَى مَاذَا تَنْظُرِينَ، قَدْ بُهِتْتُ؟ فَقُلْتُ: مَا أَنْظُرُ إِلَى شَيْءٍ مِنْكَ إِلَّا  
تَوَلَّدَ فِي عَيْنِي نُورًا، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ رَأَى أَبُو كَبِيرٍ الْمُهْدِيَّ لَعَلِمَ أَنَّكَ أَحَقُّ بِشَعْرِهِ مِنْ غَيْرِكَ، قَالَتْ: فَقَالَ: وَأَيُّ شَيْءٍ  
قَالَ أَبُو كَبِيرٍ؟ فَقُلْتُ: قَالَ:

وَمَبْرَأٍ مِنْ كُلِّ غُبْرٍ حَيْضَةٍ ... وَفَسَادِ مُرْضِعَةٍ وَدَاءِ مُغْبِلٍ  
وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أَسْرَةٍ وَجْهَهُ ... بَرَقَتْ كَبْرَقِ الْعَارِضِ الْمُنْهَلِّ  
قَالَتْ: فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كَانَ فِي يَدِهِ وَقَامَ إِلَيَّ فَقَبَلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْ وَقَالَ: جَزَاكَ اللَّهُ تَعَالَى يَا  
عَائِشَةُ خَيْرًا، فَمَا أَذْكَرُ مَتَى سُرِرْتُ كَسْرُورِي بِكَلَامِكَ.  
وَرَوَى هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ أَنْ يَرْتَجِلَ شَعْرًا فَقَالَ مِنْ  
أَبِي:

أَنْتَ النَّبِيُّ وَمَنْ يُحْرَمُ شَفَاعَتَهُ ... يَوْمَ الْحِسَابِ فَقَدْ أَزْرَى بِهِ الْقَدْرُ  
فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنِ ... تَثْبِيتَ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نُصِرُوا  
فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَأَنْتَ فَثَبَّتِكَ اللَّهُ يَا بْنَ رَوَاحَةَ. قَالَ رَاوِي هَذَا الْحَدِيثِ: فَثَبَّتَهُ اللَّهُ أَحْسَنَ الثَّبَاتِ فَقَتِلَ  
شَهِيدًا، وَمَضَى سَعِيدًا.

وَحَدَّثَ عُمَرُ بْنُ هِزَانَ بْنُ سَعِيدِ الرَّهَاقِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ يَقَالُ لَهُ عَمْرُو بْنُ سُبَيْعٍ وَفَدَى عَلَى النَّبِيِّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْشَدَهُ:

إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ أَعْمَلْتُ نَصَّهَا ... تَجُوبُ الْفِيَا فِي سَمَلَقًا بَعْدَ سَمَلَقِ  
عَلَى ذَاتِ أَلْوَا حِ مَتَى أُرِدِ السُّرَى ... تُحْبُّ بِرَحْلِي تَارَةً ثُمَّ تَعْنُقُ  
فَمَا لَكَ عِنْدِي رَاحَةً أَوْ تَلْحَلِحِي ... بِيَابِ النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ الْمَوْفِقِ  
سَلِمْتُ إِذَا مِنْ رِحْلَةٍ بَعْدَ رِحْلَةٍ ... وَقَطَعَ دِيَامِيمٍ وَلَيْلٍ مَرُوقِ  
فَفَرِحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَعْرِهِ وَعَقَدَ لَهُ لُؤَاءً. تَلْحَلِحِي: أَصْلُهُ تَلْحَحِي مِنَ الْإِلْحَاحِ، فَأَبْدَلُوا مِنْ  
الْحَاءِ الْمُدْعَمَةَ لِأَمَّا كَرَاهِيَةً مِنْ اجْتِمَاعِ الْحَاءَاتِ.

وَلَمَّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدَى هَوَازِنَ بِالْجَعْرِانَةِ أَنْشَدَهُ أَبُو جَرَوْلٍ الْجُشَمِيُّ قَصِيدَةً مِنْهَا:  
أَمُنْتُ عَلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي كَرَمٍ ... فَإِنَّكَ الْمَرْءَ نَرَجُوهَ وَنَدَّخِرُ  
أَمُنْتُ عَلَى بَيْضَةِ إِعْتَاقُهَا قَدْرٌ ... مُمَزَّقٌ شَمَلُهَا فِي دَهْرٍهَا غَيْرُ  
فَلَمَّا سَمِعَ شَعْرَهُ عَطَفَ عَلَيْهِمْ وَرَدَّ إِلَيْهِمْ أَنْبَاءَهُمْ وَنَسَاءَهُمْ. وَالْحَدِيثُ مَشْهُورٌ.

ولما قتلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم التَّضَرَّ بن الحارث أنشأتُ ابنته فُتَيْلَة تقول من أبيات:

أحمدٌ ولأنتَ نجلٌ نجيةٌ ... في قومها والفحلُ فحلٌ مُعَرَّقُ  
ما كان ضركَ لو مَنَنْتَ وربما ... منَ الفتي وهو المغيظُ المَحْنَقُ

فلما سمع صلى الله عليه وسلم شعرها قال - وما ينطقُ عن الهوى - : لو سمعته قبل قتله لما قتلتُه .

ومدحه صلى الله عليه وسلم العباسُ بنُ مرداس السُّلَميِّ بأبيات منها:

رأيتُكَ يا خيرَ البريةِ كلها ... نَشَرْتَ كتاباً جاءَ بالحقِّ مُعَلِّماً  
شَرَعْتَ لنا دينَ الهدى بعدَ جَبْرِنَا ... عنِ الحقِّ لما أصبحَ الحقُّ مُظْلِماً  
فمنَ مُبْلِغِ عني النبيِّ محمداً ... وكلِ امرئٍ يُجْزَى بما كان قَدَمَا  
أَقَمْتَ سبيلَ الحقِّ بعدَ اعوجاجِهِ ... وكان قديماً رُكُنُهُ قد تَهَدَمَا  
فخلعَ حُلَّتَهُ عليه، وقطعَ لسانهَ بإحسانه إليه، ولولا الشعرُ، لما شَبِهَ من النبيِّ البِرُّ .

وقد سمعَ صلى الله عليه وسلم الشعرَ من جماعة غير هؤلاء مُقبلاً بالإصغاء عليهم، ومائلاً بالاستحسان إليهم .

فمنهم أعشى بني مازن، وضرار بن الأزور، وقردة بن نفاثة السلولي، ومما سمع منه :

بانَ الشبابُ ولم أحفلُ به بالا ... وأقبلَ الشيبُ والإسلامُ إقبالاً  
فالحمدُ لله إذ لم يأتني أجلي ... حتى اكتسبتُ من الإسلامِ سربالاً

فقال صلى الله عليه وسلم: الحمدُ لله . وسمعَ من عبد الله بن كُرْز اللِّثي، ومن حُمَيْد بن تَوْر ومن التَّمْر بن تَوَلْب العُكْلي، ومن لبيد بن ربيعة، ومن فَرَوَة بن عامر الجُدَامي، ومن عمرو بن سالم الكعبي .

ولما قصده ميمون بن قيس الأعشى وامتدحه، لقيه أبو جهل فقال: أين قصدك يا أبا بصير؟ قال: محمد رسول الله . قال: وهل قلتَ فيه شيئاً؟ قال: نعم وأنشده:

ألم تَغْتَمِضْ عيناكَ ليلةَ أرَمَدَا ... وبتَّ كما باتَ السليمُ مُسَهَّداً  
حتى انتهى الى قوله:

وآلَيْتُ لا أرثي لها من كلالها ... ولا من حفا حتى تزورَ محمداً  
متى ما تُناخي عندَ بابِ ابنِ هاشمٍ ... تُراحي وتلقني من فواضله يدا  
نبيُّ يرى ما لا ترونَ وذِكرُهُ ... أغارَ لعمري في البلادِ وأنجداً

فحسده أبو جهل على مديح الأعشى، فقال له: يا أبا بصير، إنه يحركُ عليك الخمرَ، ولم يزلْ به حتى صدّه عنه، فقال الأعشى: سأتيه من قابل، فمات وحالتِ المنيةُ، دون الأمنية .

وشكاً إليه الناسُ الجذبَ فاستسقى لهم فسُقُوا، فلما كان الجمعة الثانية جاءهُ رجلٌ يسعى فقال: يا رسول الله تهدمتِ الدورُ وسقطتِ الجُدُرُ، فتبسّم صلى الله عليه وسلم ضاحكاً من قوله، وقال: أئِكُمْ يروي كلمة عمي أبي طالب؟ فقام أبو بكر فقال: أنا يا رسول الله، قال: أنشد، فأنشده:

كذبتُم وبيتَ الله يُبْزَى محمداً ... ولما نُصرَعُ حوله وتُقاتلُ  
فلما انتهى الى قوله:

وأبيضُ يُسْتَسْقَى العمامُ بوجهه ... غياثُ اليتامى عِصْمَةٌ للأراملِ  
فرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهلّل وجهه . ولما قتل هشامُ بن الوليد بن المغيرة أبا أزيهر الدؤسي بذي

الجزاز، وكانت في هشام عجلة، اجتمع الناس وتميّنوا للقتال، فجاء أبو سفيان فقال: ما أسرع الناس الى دماء هذا الحي من قريش! وقال لأصحابه: لا تشاغلوا بالحرب بينكم عن حرب محمد، يريد النبي صلى الله عليه وسلم، وقال رسول الله لحسان بن ثابت: حرّض أبا سفيان في دم أبي أزيهر، فقال حسّان من أبيات:

كسكك هشام بن الوليد ثيابه ... فأبلى وأخلف مثلها جُددًا بعدُ

قضى وطراً منه فأصبح ماجداً ... وأصبحت رِخوياً ما تحبُّ وما تغدو

فما منع العيرَ الصّروطُ ذماره ... وما منعت مَحْزاةً والديها هندُ

فلو أن أشياخاً بيّدر تشاهدوا ... لبلّ نعال القوم معتبُ ورُدُ

وإنما أراد صلى الله عليه وسلم أن ينتخى أبو سفيان ويهزّه الشعرُ على عادة العرب فيتشاغل عن حربه بحرب بني مخزوم ويقع الخلاف بينهم فيقوى أمره صلى الله عليه وسلم ويضعفون عنه في عادة العرب في الحمية. ألا ترى أن حسّاس بن مرة قتل كليب وأبلى في غرة بناقة جار خالته لأبيات قالتها وهي:

لعمر أبي لو كنت في دار منقر ... لما ضيم سعد وهو جار أبياتي

ولكنني أصبحت في دار غربة ... متى يغد فيها الذئب يغد على شاتي

فيا سعد لا يغررك قومي وارتحل ... فإتلك في حي عن الجار أموات

ودونك أذواذي فسقها فإني ... لخائفة أن يغدروا بيّاتي

فلما سمع حسّاس الأبيات حرّكته وهزّته وأغضبته وقال أقلي عليك أيتها العجوزُ فلاقتل بناقة جارك أعظم فحل للعرب، فظنّته يقتل بعض إبل كليب، فخرج من وقته فطعن كليباً فقتله. ولكن أبا سفيان لما سمع أبيات حسّان، وكان خبيثاً ترك حرب مخزوم خوفاً مما حسبه النبي صلى الله عليه وسلم وحاوله.

وقالت صفية بنت عبد المطلب تحضُّ أبا سفيان على أخذ ثأر أبي أزيهر من بني مخزوم، وتعرض له بالنار التي أوقدت له بالغددر، وذلك أن العرب كانت إذا غدر الرجل أوقدوا له ناراً على جبل، وقيل: هذه غدره فلان، فلما قتل أبو أزيهر وهو صهر أبي سفيان فلم يأخذ بثأره أوقدت النار على أبي قبيس بالموسم وقيل: هذه غدره أبي سفيان، وهي أبيات منها:

ألا أبلغ بني عمي رسولاً ... ففيم الكيدُ فينا والأمارُ

وسائل في جموع بني علي ... إذا كثر التناشدُ والفخارُ

ثريدُ بني علي بن بكر بن كنانة، منها:

ونحن العافرون إذا قدرنا ... وفينا عند غدوتنا انتصارُ

ولم نبدأ لذي رحم عقوقاً ... ولم نوقد لنا بالغددر نارُ

فلم يحرّكه ذلك لما كان في نفسه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروي أن معاوية قال لعروة بن الزبير: أتشد قول جدتك صفية:

خالجت أباد الدهور عليكم ... وأسماء لم تشعُر بذلك أيُّم

فلو كان زيراً مشركاً لعذرته ... ولكنّه قد يزعم الناسُ مسلم

وإنما أراد معاوية أن يحرّك عروة بذلك، فقال عروة: نعم، وأروي قولها: ألا أبلغ بني عمي رسولاً ... الأبيات، فخرج معاوية حتى عرق جبينه لذكر غدره أبيه والنار التي أوقدت له على أبي قبيس.

ولما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب، كان الحطيئة أكبر دواعيهم الى الردة بقوله:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا ... فوا عَجَبًا ما بال مُلْك أبي بكرٍ  
أيورثها بكرًا إذا مات بعده ... فبتلك لعمُر الله قاصمة الظهرِ  
فانتخت العرب لِقول الحطيئة وأنفت من طاعة أبي بكر.

ومن تأثير الشعر أن ابن هشام بن الوليد كان قد ولّى عبد الرحمن بن حزم الأنصاري المدينة، فقال الأحوص:

لا ترَحَمَنَّ حَزْمِي مررت به ... يوماً ولو ألقى الحزمي في النارِ  
الناخسينَ بمروانٍ بذِي خُشْبٍ ... والداخلينَ على عثمان في الدارِ  
فلما سمع هشامٌ شِعْرَ الأحوص عزّل عبد الرحمن عن المدينة وأمر بقبض ضياعهم وأموالهم. فلما ولي المنصورُ  
دخل عليه بعض أولاد بني حزم فقال: يا أمير المؤمنين لنا ستون سنة ما أخذنا عطاءً ولا وصلنا الى شيء من  
أموالنا لقول الأحوص وأنشده البيتَ فثأثرَ لهما وقال: إذا والله تحمّد العاقبة عند بني هاشم، اكتبوا بردّ ضياعهم  
والقبض على ضياع بني أمية وتسليمها إليهم ليستغلّوها ستين سنة، ثم أمر له بعشرة آلاف دينار صيلة.

ودخل سُدَيْفٌ على السّفاح وعنده بنو أمية على مراتبهم فأنشده:

لا يُعْرَتِكَ ما ترى من أناسٍ ... إن تحّت الضلوع داءً دويّاً  
فضع السيفَ وارفَع السوطَ حتى ... لا ترى فوقَ ظهرِها أمويّاً  
وأنشده سُدَيْفٌ أيضاً:

أصبحَ الملكُ ثابتَ الأساسِ ... بالبهايلِ من بني العباسِ

حتى انتهى الى قوله:

واذكروا مضرعَ الحسينِ وزَيدٍ ... وقتيلَ بجانبِ المهراشِ

تأثر السّفاح بذلك تأثراً بان في صفحات وجهه وكان سبباً لقتل بني أمية، مع ما كان في النفس منهم:

والقولُ يفعلُ ما لا تفعلُ الإبرُ

وأمر بضرب رقابهم عن آخرهم، وقصبتهم مشهورة.

وحدث المدائني أن المنصور قال: صحبت رجلاً ضريباً الى الشام وكان يريد مروان بن محمد في شعر قاله فيه.

قال المنصور: فسألته أن ينشدي الشعر فامتنع وقال: لا يسمعه إلا من قبل فيه، فلم أزل الألفه وأوانسه الى أن

أنشدني، فمنه:

ليت شعري أفاح رائحة المس ... ك وما إن أخال بالخيْفِ إنسي

حين غابت بنو أمية عنه ... والبهايل من بني عبد شمس

خطباء على المنابر فرسا ... ن عليها، وقاله غير خرس

لا يُعابون قائلين وإن قا ... لوا أصابوا ولم يقولوا بلبس

بجلوم إذا الحلوم استخفت ... ووجوه مثل الدنانير ملّس

قال المنصور: فوالله ما فرغ من شعره حتى ظننت أن العمى قد أدركني، ولقد والله حسدت مروان على الشعر

أكثر من حسدي له على الخلافة. فلما أفضى الأمر إلي خرجت حاجاً سنة إحدى وأربعين ومائة فنزلت عن

الجمّازة في جبلي زروذ أمشي في الرمل لنذر كان علي، وإذا أنا بالضرب، فأومأت الي من كان معي فتأخروا،

وَدَنَوْتُ مِنْهُ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتِ؟ جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَمَا أَتَيْتِكَ مَعْرِفَةً، قُلْتُ: أَنَا رَفِيقُكَ إِلَى الشَّامِ فِي أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةَ وَأَنْتِ مَتَوَجِّهَةٌ إِلَى مِرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدِ الْجَعْدِيِّ. فَسَلَّمْتُ عَلَيَّ وَتَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ وَأَنْشَدَ:

أَمْتُ نِسَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْهُمْ ... وَبَنَاتُهُمْ بِمَضِيعَةِ أَيَّتَامٍ  
نَامَتْ جُدُودُهُمْ وَأَسْقَطَ نَجْمُهُمْ ... وَالتَّجْمُ يَسْقُطُ وَالْجُدُودُ تَنَامُ  
خَلَّتِ الْمَنَابِرُ وَالْأَسْرَةَ مِنْهُمْ ... فَعَلَيْهِمْ حَتَّى الْمَمَاتِ سَلَامٌ

قال المنصور: فقلت له: كم كان مروان أعطاك؟ قال: أغناني غني الأبد، فما أسأل أحداً بعده، قال: فهيمتُ بقتله، ثم ذكرتُ حتى الاسترسال، وحرمة الصُّحبة، فأطلقته، وبدأ لي فأمرتُ بطلبه فكأنَّ البيداءَ أبادتهُ ورؤيَ أنَّ يزيدَ بنَ رُويمِ الشَّيباني، وكان رجلاً مسياعاً فأراحَ إبلَهُ ذاتَ ليلةٍ من المرعى على أبيه، فقال له أبوه: لم تُعشِّها؟ فقال: بلى قد فعلتُ، فدفعَ أبوه ثوبه في وجوه الإبل فنفرها وصرَّفها إلى المرعى وقال: أحسنَ عشاءها، فقال الغلام: إني لأحسبُ غيرك سييئاً ربها. فلما صار إلى الموضع الذي يُعشِّي إبلَهُ فيه، مرَّ به سرحانُ بنُ أرطاة السَّعدي في مقنَّبٍ له، فساقَ الإبلَ وأخذَ الغلامَ فأوثقَهُ شدًّا على بعض تلك الأباعر فرفعَ الغلامَ عقيرته وأنشد:

يَا وَيْحَ أُمَّ لِي عَلَيَّ كَرِيمَةٍ ... فَقَدِي لَهَا شَجَنٌ مِنَ الْأَشْجَانِ  
إِنَّ الَّذِي تَرَجِينَ نَفْعَ إِيَابِهِ ... سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانَ  
سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى مُتَقَمَّرٍ ... تَبَّتِ الْجَنَانُ مُعَاوِدَ التَّطْعَانِ

فلما سمع سرحانُ بنُ أرطاةَ شعره قال له: أشاعر؟ قال: نعم، قال: خلوا عنه، فأطلقه وردَّ عليه إبلَهُ. وقولهم في المثل: وقعَ العشاءُ به على سرحان، قيل: السرحانُ هاهنا الدَّئِبُ، وقال قوم: بل هو سرحانُ بنُ معتبِ الغنوي، وكان قد أغار على إبلِ نُصَيْحَةَ الأَسدي، فقال أخوه هزيلةُ بنُ معتبِ:

أَبْلُغْ نُصَيْحَةَ أَنَّ رَاعِي إِبْلِهِ ... سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانَ  
سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى مُتَقَمَّرٍ ... لَمْ يَنْشِ خَوْفٌ مِنَ الْحَدَثَانِ

والرواية الصحيحة ما ذكرناه أولاً. ولولا الشعرُ والشاعرُ، لذهبتِ النفسُ والأباعرُ.

وقال المفضلُ الضبي: كنتُ إلى جنب إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم لقائه عسكرَ المنصور، فالتفتَ إليَّ وقال: يا مفضلُ أنشدني شيئاً، فقلت: إنَّه يريدُ مني ما أحرَّكهُ به، فأنشدته أبياتَ غُوَيْفِ الفزاري:

أَقُولُ لِغَيْثَانِ كِرَامٍ تَرَوَّحُوا ... عَلَى الْجُرْدِ فِي أَفْوَهِنَ الشُّكَايِمِ  
قَفُوا وَقَفَّةً مَنْ يَحْيَى لَا يَخْزُ بَعْدَهَا ... وَمَنْ يُخْتَرَمَ لَا تَتَّبِعُهُ اللَّوَايِمِ  
وَمَا أَنْتِ بَاعَدْتِ نَفْسَكَ عَنْهُمْ ... لِتَسْلَمَ مِنْهَا، آخِرَ الدَّهْرِ سَالِمِ

فقال: يا مفضلُ أعدتُ ثلاثاً، فتمطى في ركبته حتى قلت تقطعتُ، وحملَ مرَّةً بعد مرَّةٍ يقتلُ في كل واحدة النفسَ والعشيرةَ إلى أن حملَ فلم يعد. وقيل: جاءه سهمٌ عائرٌ فذبحه.

وحكى شَرْحُبِيلُ بنُ معن بن زائدة قال: كنتُ بطريقِ مكة فسرتُ تحتَ قُبَّةِ يَحْيَى بنِ خالد، وعديله أبو يوسفَ القاضي إذ أقبلَ رجلٌ على نجيب، فأنشدَ شعراً لم يرَضُهُ يَحْيَى، وقال له: ألمْ أنْهَكَ عن قولٍ مثله؟ هلاً قلتُ كما قال الشاعر:



بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللَّقَاءِ كَأَنَّهُمْ ... أَسْوَدُ لَهَا فِي غَيْلٍ خَفَانَ أَشْبَلُ  
لَهَا مِيمٌ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ ... لِأَوْهَمِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْلُ  
هَمُّ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا ... لَجَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَائِ كَيْنِ مَنْزَلُ  
هَمُّ الْقَوْمِ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا ... أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجَزَلُوا  
ثَلَاثٌ بِأَمْثَالِ الْجِبَالِ حُلُومُهُمْ ... وَأَحْلَامُهُمْ مِنْهَا لَدَى الرُّوحِ أَثْقَلُ  
وَمَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فَعَالَهُمْ ... وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّبَايَاتِ وَأَجْمَلُوا

فَقَالَ أَبُو يَوْسُفَ لِيَجِي: اللَّهُ دَرُّ قَائِلِهِ! لَمَنْ هَذَا الشَّعْرُ؟ فَقَالَ يَجِي: لِمُرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ فِي وَالِدِ هَذَا الْفَتَى،  
وَرَمَقَنِي بِطَرْفِهِ، فَالْتَفَتَ أَبُو يَوْسُفَ إِلَيَّ وَقَالَ: مَنْ أَنْتَ يَا فَتَى؟ فَقُلْتُ: شُرْحَبِيلُ بْنُ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ. قَالَ شُرْحَبِيلُ:  
فَوَاللَّهِ مَا أَعْرَفْتُ دَخَلَ عَلَى قَلْبِي سُرُورٌ أَعْظَمُ مِنْ سُرُورِي بِذَلِكَ، وَلَا مَرَّتْ عَلَيَّ سَاعَةٌ أَطْيَبُ مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ.  
وَقِيلَ لَمَّا بَلَغَ عِلْمَهُ قَوْلُ الْأَعَشَى:

تَبَيَّنُونَ فِي الْمَشْتَى مِلَاءً بَطُونُكُمْ ... وَجَارَاتُكُمْ غَرَّتْنِي بَيْتَنَ حَمَائِصَا  
بِكِي، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَبْكُ عِنْدَ حُلُولِ النَّوَابِ وَقِرَاعِ الْمَصَائِبِ، وَلَوْ عَايَنَ الْمَوْتَ فِي الْحُرُوبِ، وَمُنَازَلَةَ الْأَبْطَالِ عِنْدَ  
الْكُرُوبِ.

وَقِيلَ: إِنَّ الْمَنْصُورَ مَرَّ بِقَبْرِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ فَأَكْثَرَ مِنْ لَعْنَتِهِ وَقَالَ: هُوَ أَوْلُ مَنْ شَبَّ الْحَرْبَ بَيْنَ بَنِي  
عَبْدِ مَنْفٍ بِقَوْلِهِ:

بَنِي هَاشِمٍ رُدُّوا ثِيَابَ ابْنِ أُخْتِكُمْ ... وَلَا تَنْهَوهُ، لَا تَحِلُّ مَنَاهِبُهُ  
بَنِي هَاشِمٍ كَيْفَ الْهُوَادَةِ بَيْنَنَا ... وَعِنْدَ عَلِيٍّ دِرْعُهُ وَنَجَابَتُهُ  
هَمُّ قَتْلُوهُ كَيْ يَكُونُوا مَكَانَهُ ... كَمَا غَدَرْتُ يَوْمًا بِكَسْرَى مَرَازِبُهُ  
وَلَمْ يَكُنْ مَعَاوِيَةَ بِالَّذِي يَحْدُثُ نَفْسَهُ بِخِلَافِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَا يَهْمُ بِمَنَازَعَتِهِ وَلَا يُدَانِيهِ فِي مَفْخَرٍ إِلَى أَنْ كَاتَبَهُ  
هَذَا، وَأَشْرَ بِيَدِهِ إِلَى قَبْرِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، بِقَوْلِهِ:

أَلَا أُبْلِغُ مَعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ ... فَإِنَّكَ مِنْ أُخِي ثِقَّةٌ مُلِيمٌ  
قَطَعْتَ الدَّهْرَ كَالسَّدَمِ الْمَعْنَى ... تَهْدَرُ فِي دَمَشَقٍ وَمَا تَرِيمٌ  
وَإِنَّكَ فِي الْكِتَابِ إِلَى عَلِيٍّ ... كَدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ  
فَلَوْ كُنْتَ الْقَتِيلَ وَكَانَ حَيًّا ... لَشَمَّرَ، لَا أَلْفُ وَلَا سَوْوُمُ  
فَهَزَّهُ بِهَذَا الشَّعْرِ وَحَرَّكَهُ، وَهَيَّجَهُ بِهِ وَهَجَّجَهُ، إِلَى أَنْ شَمَّرَ عَنْ سَاقِهِ، وَصَرَخَ بَعْدَ نِفَاقِهِ. هَذَا آخِرُ كَلَامِ  
الْمَنْصُورِ.

وَرَوَى جَمَاعَةٌ مِنَ الشَّيْعَةِ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يَطَالِبْ بَدْمَ عَثْمَانَ، مَعَ بَرَاءَتِهِ مِنْهُ، وَقَوْلِهِ: وَاللَّهِ مَا قَتَلْتُ  
عَثْمَانَ وَلَا مَالَتُ عَلَى قَتْلِهِ، إِلَّا بِتَحْرِيبِ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ وَقَوْلِهِ:  
يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ الطَّيْرُ تُخْبِرُنِي ... مَا كَانَ بَيْنَ عَلِيٍّ وَابْنِ عَفَّانَا  
لَتَسْمَعَنَّ وَشَيْكًا فِي دِيَارِهِمْ ... اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عَثْمَانَ  
وَقِيلَ: كَانَ سَبَبُ خُرُوجِ ابْنِ الْأَشْعَثِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُرْوَانَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:  
أَيُّ اللَّهِ أَمَّا بَجْدَلٌ وَابْنُ بَجْدَلٍ ... فَيَحْيَا وَأَمَّا ابْنُ الرُّبَيْرِ فَيُقْتَلُ

فقال لا والله وطلب دم آل الزبير وكان منه ما كان .

ومن طريف ما وقفت عليه من تأثير الشعر ما حدثني به بعض المشايخ، يرفعه الى يعلى بن محمد الأعرج، قال الراوي عنه: حدثنا إملأء من حفظه في يوم الأربعاء رابع عشر من ذي القعدة من سنة أربعين وخمسمائة، قال: لما خرج الوليد بن طريف الشاري الشيباني وعاش في نواحي العراق، أرجف أهل بغداد به، وتحدث الناس فأكثروا ولم يكن له كفو في ردّ شعبه وسدّ خلله إلا ابن عمه وهو يزيد بن يزيد الشيباني ابن أخي أبيه بغير فصل، فاستحضره وزير الخلافة وأنشده على عادة العرب يُنخيه، ويستنصر به، فكان ما أنشده:

إذا دعيت فما تُدعى هَيبَةً ... إلا لمعضلة توفى على العُضَلِ

إنّ الخلافة مُرساةٌ الى جبلٍ ... وأنتِ وابنتُك رُكنا ذلك الجبلِ

إفخرُ فما لك في شيبانٍ من مثلٍ ... كذاك ما لبني شيبانٍ من مثلٍ

وشرع الوزير في كلام يرغبه فيه، ويعده، بما يكون في مطاويه، فقال له يزيد: كُفَّ يا مولانا فقد كُفيت وكُفيت، ونفض وقد حرّكه الشر وهزه طرباً يجر أذياله، وبرز في جماعته لوقته الى قتال الوليد، فلقبه ووقع الطراد، وارتفع العجاج، فنصره الله على الوليد فتقله، بعد ما كان الوليد يكر على الخيل ويردّ هوادبها على أعجازها ويرفع عقيرته وينادي:

أنا الوليدُ بن طريفِ الشّاري ... قسورةٌ لا يُصطلي بناري

جوركُم أخرجني من داري

ولما وقع الى الأرض ركباً أخته ولبست درعها وخرجت مبارزةً، فنظر إليها يزيد قاتل أخيها وابن عمها فنادها: يا هناة ألقى الرُمح من يدك وارجعي الى خيائك، هتكت الحرائر، ليس هذا بمقام للنساء، فركزت رمحها في الأرض وأسندت رأسها إليه واستعبرت، وأنشدت ترثي أختها: لئن كان أرداهُ يزيدُ بنُ مزيدٍ ... فربّ زحوفٍ يُبتلى بزحوفٍ أيا شجرَ الخابور مالكَ مورقاً ... كأتك لم تحزن على ابنِ طريفٍ فقدناهُ فقدانَ الربيعِ فليتنا ... فدُناهُ من دهمائنا بألوفٍ فتى لا يعدُّ الزّاد إلا من الثّقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوفٍ ولا الخيل إلا كلّ جرداءٍ شطبةٍ ... وكلّ حصانٍ باليدِ عسوفٍ ثم رجعت الى خيائها تنوح وتندب أختها مع نساها.

وأقول: لله درّ ثلاثة أبيات حملت الرجل على قتل ابن عمه، وقطع رحمه، ولو كان الكلام الذي في الشعر منشوراً لما هزه، ولا حمل من أجله بزّه، ولا قتل ابن عمه ولا ابتزّه، والله يعفو عن المذنبين.

وقال يحيى بن خالد: سألت رجل من بني أمية أن أوصله الى الرشيد، فقلت له: إن أمير المؤمنين منحرف عن كل منتسب الى أمية، وحنقه عليهم وسوء اعتقاده فيهم مشهور، فإن كانت لك حاجة غير هذه فأنا أقضيها لك، فأبى إلا إيصاله إليه. فعرفت الرشيد ما كان من التماسه وجوابي له، فأمر بإحضاره، فلم أرتب أن يمسي مقتولاً، فلما مثل بين يديه أنشده:

يا أمينَ اللهِ إني قائلٌ ... قولِ ذي عقلٍ ودينٍ وأدبٍ

لكم الفضلُ علينا ولنا ... بكم الفضلُ عليّ كلّ العربِ

عبدُ شمسٍ كان يتلو هاشمًا ... وهم بعدُ لأمٍ ولأبٍ  
فصلوا الأرحامَ منّا إنّما ... عبدُ شمسٍ عمُّ عبدِ المطلبِ  
فقال له الرشيد: صدقتَ، متأثراً بقوله، وقد عملَ الشعْرُ في نفسه، وأمرَ له بأربعين ألفَ درهمٍ. قال يحيى: ولولا  
الآبياتُ لأمرَ بأخذ رأسه.

وحكى مروان بن أبي حفصة قال: خرجتُ أريدُ معنَ بنَ زائدة، فضمّني الطريقُ وأعرابياً فقلت له: أين تريد؟  
قال: هذا الملكُ الشيباني، قلت: فما أهديتَ إليه؟ قال: بيتين، قلت: فقط! قال: إني قد جمعتُ فيهما ما يسرُّه،  
فقلت: هاكهما، فأنشدني:

معنُ بنُ زائدة الذي زيدتُ به ... شرفاً على شرفِ بنو شيبانٍ  
إنَّ عُدَّ أيامَ الفَعَالِ فإنّما ... يوماًهُ يومٌ ندىً ويومٌ طِعَانِ  
قال: ولي قصيدةٌ قد حُكِّتْها بهذا الوزن، فقلتُ: يا هذا، تأتي رجلاً قد كُثِرَتْ غاشيتهُ وكُثِرَ الشعراءُ ببابه، فمتى  
تصلُ إليه؟ قال: فقل، قلت: تأخذُ مني بعضَ ما أملتُ بهذين البيتينِ وتنصرفُ إلى رحلك، قال: فكم تبدل؟  
قلت: خمسينَ درهماً، قال ما كنتُ فاعلاً ولا بالضَّعْفِ، قال: فلم أزلُ أرْفُقُ به حتى بذلتُ له مائةً وعشرين  
درهماً فأخذها وانصرف. فقلت: إني أصدُقُك، قال: والصدُقُ بك أحسنُ، قلتُ إني حكيتُ قافيةً توازنُ هذا  
الشعرَ وإني أريدُ أن أضمَّ هذين البيتينِ إليها، قال: سبحان الله، قد علمتُ ولقد خفتُ أمراً لا يبلغُك أبداً.  
فأتيتُ معنَ بنَ زائدة وجعلتُ البيتينِ في وسطِ الشعرِ وأنشدتهُ فأصغى نحوي، فوالله ما هو إلا أن بلغتُ البيتينِ  
فسمعتهما فما تمالك أن خرَّ عن فُرْشِهِ حتى لصقَ بالأرضِ ثم قال: أعدِ البيتينِ، فأعدتُهُما، فنادى: يا غلامُ، اتنبي  
بكيسٍ فيه ألفُ دينار، فما كان إلا لفظُهُ وكيسُهُ، فقال: صبَّها على رأسه، ثم قال: هاتِ عشرينَ ثوباً من خاصِّ  
كُسوْتِي، ودابَّتِي الكذا وبغلي الكذا، فانصرفتُ مجبأً الأعرابي لا جباءَ معن .

ولما مدح أبو تمام الطائيُّ أحمدَ ولدَ المعتصمِ بكلمته التي أولها:  
ما في وقوفك ساعةً من باسٍ ... تقضي ذمامَ الأربيعِ الأُدْرَاسِ  
فلما وصل إلى قوله:

إقدامُ عمرو في سَمَاحَةِ حَاتِمٍ ... في حِلْمِ أَحْنَفِ فِي ذَكَاءِ إِيَّاسِ  
قال له بعضُ الحاضرين، وهو يعقوبُ الكِنْدِيُّ: كيف تُشَبِّهُ ولدَ أميرِ المؤمنينِ بأعرابِ أجلافٍ وهو أشرفُ منزلةً  
وأعظمُ محمّلةً؟ فانقطع وأطرقَ ثم رفع رأسه وأنشدَ مُرتَجِلاً:  
لا تُنكروا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دَوْنَهُ ... مثلاً شَرُوداً فِي النَّدَى وَالْبَاسِ  
فالله قد ضربَ الأقلَّ لنوره ... مثلاً من المشكاةِ والنِّبْرَاسِ  
فاهتز لذلك طرباً وبُهِتَ له متعجباً ووقعَ له بالموصلِ إجازةً.

وقد وهب الموصلُ شرفَ الدولة مُسلم بن قريش لبعض شعرائه وارتحلَ عنها فقيلَ للشاعرِ إنّها لا تبقى عليك  
فلو بعثتها لنواب الأُميرِ لكنك موفّقاً، فابتاعوها منه بعشرين ألفَ دينار. فلما بلغ شرفَ الدولة ذلك قال: انتوبي  
به، فلزمَ أذنته وقال: قبضتُ المالَ؟ قال: نعم، قال: وأنت راضٍ؟ قال: أجل والله، فعركَ حينئذٍ أذنته وقال له: يا  
ديوث لقد بعثت رخيصاً هلاً لزمّت يدك وطلبت مائة ألفَ دينار، فما كان لهم غناءً عن دفعِ المالِ إليك.  
وهذه الحكاية هكذا رواها لي والدي رضي الله عنه، ولم يذكر لي الشُّعْرَ ولا الشاعر. قال رحمه الله: حدثني

بذلك عمُّ والدي محمد بن عبَّيدِ الله العلويِّ الحسيني قال: حدَّثني المهذبُ أبو الحسنِ عليِّ بنِ مُسَهِّرِ الكاتب  
بذلك في شهور سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة، وكان ابنُ مُسَهِّرِ يمدحُ بني مُسَلِّمِ ابنِ قريشٍ ويخدمُهم، وروى لي  
أنَّ أبا القاسمِ الحسنِ بنِ هانئِ المغربيِّ الأندلسيِّ كان شاعراً لبني مروانَ بالأندلس، فلما سمعَ المعزَّ العلويَّ شعره،  
أنفَذَ إليه فأوفده عليه رغبةً في الأدبِ، و منافسةً على شرفِ الرُّتبِ، فلما اتَّصل بخدمته مدحه بمدائح منها:

الحبُّ حيثُ المعشَرُ الأعداءُ

ومنها:

تقدَّم خطأً وتأخَّرَ خُطَا

ومنها:

أقولُ دُمِّي وهي الحِسانُ الرَّعابِبُ

ومنها:

هلْ كان ضمَّخَ بالعبيرِ الريحا

ومنها:

سرى وجناحُ الليلِ أسحُمُ أفتحُ

ومنها:

ألا طرقتنا والتَّجومُ رُكودُ

ومنها:

أقوى المَحَصَّبُ من هادٍ ومن هيدٍ

ومنها:

ألوِّؤُ دمعُ هذا الغَيْثِ أم نُقَطُ

ومنها:

قد سارَ بي هذا الرِّكابُ فأوجفا

ومنها:

قُمنَ في ماتمِ على العُشاقِ

ومنها:

أرياكِ أم رَدَّعُ من المسكِ صائِكُ

ومنها:

قد مررنا على مغانيكِ تلكِ

ومنها:

أتظنُّ راحاً في الشِّمالِ شَمولا

ومنها:

يومٌ عريضٌ في الفَخارِ طويلُ

ومنها:

قَامَتْ تَمِيسُ كَمَا تَدَافِعُ جَدْوَلُ

ومنها:

أَصَاخَتْ فَقَالَتْ وَقَعُ أَجْرَدَ شَيْطَمِ

ومنها:

سَقَنِي بِمَا مَجَّتْ شُدُوقُ الْأَرَاقِمِ

ومنها:

هَلْ مِنْ أَعْقَةِ عَالِجٍ يَبْرِينُ

فكان كلما مدحه بقصيدة أعطاه ضيعة، فلما خرج مملوكه جوهر وأخذ مصرَ خرج المعز، فلما جلس للهناء

دخل عليه ابن هاني واستأذنه في الإيراد فأذن له فأنشد قصيدة يقول منها:

أَلَا إِنَّمَا الْأَيَّامُ أَيَّامُكَ الَّتِي ... لَكَ الشَّطْرُ مِنْ نَعْمَائِهَا وَلَنَا الشَّطْرُ

الفتى الى وزيره وقال: اكتبوا له بالاسكندرية وسلموها إليه بمن فيها فهي شطر قد خصصناه به. هكذا كانت

جوائز الشعراء. وأعطى الأخص عشرين ألف دينار لقوله:

وَمَا كَانَ مَالِي طَارِفًا مِنْ تِجَارَةٍ ... وَمَا كَانَ مِيرَاثًا مِنَ الْمَالِ مُتَلَدًا

ولكن عطاه من إمام مبارك ... ملا الأرض معروفاً وجوداً وسودداً

وهي أبيات مشهورة وما أظن أحداً من مقصري شعراء الوقت يعجز عن قول مثلها.

وكان زهير قد بلغ الغاية في مدح هرم بن سنان بن حارثة حتى ضربت العرب المثل بهرم في الجود لقول زهير:

إِنَّ الْبَحِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَل ... كَنَّ الْجَوَادُ عَلَيَّ عِلَاتِهِ هَرِمٌ

هو الجواد الذي يعطيك نائله ... عفواً ويظلم أحياناً فيظلم

وأجمع أهل العلم بالشعر أن أمدح ما قالته العرب قول زهير:

قَدْ جَعَلَ الْمُتَبَعُونَ الْخَيْرَ مِنْ هَرِمٍ ... وَالسَّائِلُونَ إِلَى أَبْوَابِهِ طُرُقًا

إن تلق يوماً على عيلاته هرماً ... تلق السّاحة منه والتدى خلقتا

فأفرط هرماً في عطائه والبذل له حتى أن هرماً أقسم أنه زهيراً لا يسلم عليه إلا أعطاه المال والإبل، فترك زهير

السلام على هرماً إبقاءً وحياءً من إفراطه في العطاء، كان زهير يمرُّ بالنادي فيقول: أَلَا أَنْعَمُوا صَبَاحًا مَا خَلَا

هرماً وخيركم تركت.

هكذا كان الشعراء يستحيون من صلات الممدوحين وإحسان المنعمين كما قال المعري:

لَوْ اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ زُرْتُكُمْ ... وَالْعَذْبُ يُهَجَرُ لِلْإِفْرَاطِ فِي الْخَصْرِ

ولما دخل أبو الحسن علي بن محمد التهامي على حسان بن جراح الطائي صاحب الشام أنشده كلمته التي يقول

في أولها:

هَلِ الْوَجْدُ إِلَّا أَنْ تَلُوحَ خِيَامُهَا ... فَيَقْضِي بِإِهْدَاءِ السَّلَامِ ذِمَامُهَا

فلما بلغ الى قوله:

أَلَا إِنَّ طَيِّبًا لِلْمَكَارِمِ كَعْبَةٌ ... وَحَسَانٌ مِنْهَا رَكْنُهَا وَمَقَامُهَا

تَقِلُّ لَكَ الْأَرْضُونَ مُلْكًا وَأَهْلُهَا ... عَبِيدًا فَهَلْ مُسْتَكْتَرٌ لَكَ شَامُهَا

وهي مدينة حماة وأعمالها.

ومن تأثير الشعر في الأنفس الأبية أن الظاهر بمصر كان قد عزل عن وزارته أبا القاسم ابن المغربي، وانفصل عن البلاد المصرية واتصل ببلاد ميفارقين، واستوزر بعد المغربي علي بن أحمد الجرجاني، فكان المغربي يواصل التهامي بالصلوات والملاطفات حتى قدم عليه ومدحه بقصيدة أولها:

فوادي الفداء لها من قيب ... طواف على الآل مثل الحبيب

ثم قال فيها:

فمن مبلغ مصر قولاً يعم ... ويختص بالملك المعتصب

لقد كنت في تاجه دفرة ... فعوض موضعها المختلب

فإن سد موضع لم يسد ... وإن نيب عن مثلها لم ينب

إذا اغترب الليث عن خدره ... غدا الشاء فيه يلس العشب

أنتيك ممتدحاً للوداد ... ولم آت ممتدحاً للنشب

فبلغ الجرجاني قوله فما زال يعمل الحيلة حتى قدم التهامي مصر فحبسه وطال حبسه. وله أشعار كثيرة قالها في مَحَبَسِه ممتدماً على قدومه معتذراً من بادرة منظومه، فمن ذلك:

لنفسك لم لا عُذر قد نعد العذر ... بدأ حاكم المقدور إذ قضي الأمر

يقول فيها:

جنيت على نفسي بسعي إليهم ... ومالي من أوفى موثيقهم عُذر

ومالي من ذنب سوى الشعر إني ... لأعلم أن الذنب في نكبي الشعر

أسير لدى قوم بغير جناية ... ألا في سبيل الله ما صنع الأمر

وله من أخرى:

أيا من نعاه لسان القريض ... وكالند ينشر من عرفه

يعز على الدهر ما أنت فيه ... وإن جل ما بك من صرفه

وضاعف وجدي لما سجننت ... مقالة من لج في عنفه

يقول وبعض كلام السفي ... ه يقتل إن هو لم يخفه

أهذا التهامي من مكة ... برجليه يسعى الى حتفه

لم يكفه أن ثوب الحيا ... ق ضاف عليه ألم يكفه

أراد يطير مطار الملوك ... وظن الأسته من زفه

أبالشعر ويلك تبغي العلاء ... وأنت تقصّر عن رصفه

ولم تك أهلاً بأن تستقر ... على منبر الملك أو طرفه

لأنك أنزرت من شاعر ... علي حسنة الشعر في وصفه

أرقت دماً طالما صننته ... وأشعلت جمرأ ولم تطفه

وأشقيت منتظراً للبور ... وصدرك حران لم تشفه

إذا نشف العود من مائه ... فذلك أدعى الى قصفه

فلما طال حبسه أشار الجرجاني إلى غلامه لبيب أن يقتله في محبسه فدخل إليه لبيب ليلاً فخنقه. ولولا الشعر لما تأثر به تأثراً حملته على قتل النفس والخلود في نار جهنم.

ولم يزل ابن نصر صاحب حلب يرأس ابن حيوس الدمشقي ويواصله بالصلوات والأعطيات والملاطفات حتى أقدمه إليه وأوفده عليه، فلما قارب حلب خرج في موكبه وتلقاه، وأكرمه وحياه، وأنزله دار ضيافته. وبعد أيام جلس في قلعة حلب جلوساً عاماً وأذن لنوابه وأمرائه وأصحابه ووزرائه، فلما استقر الناس على مراتبهم استحضره وأجلسه بين يديه فأنشده قصيدته التي يقول في أولها:

قِفُوا فِي الْقَلَى حَيْثُ انْتَهَيْتُمْ تَذُمَّا ... وَلَا تَقْتَفُوا مَنْ جَارَ لَمَّا تَحَكَّمَا

فاستدعى بكيس فيه ألف دينار فصبه عليه فالتقطه الحاضرون ثم استدعى بكيس آخر فيه ألف دينار، وعشرين ثوباً، وخلعة سنية، وفرساً بطوق ذهب وسرفسار ذهب فأعطاه وكتب له ضيعة من أمهات القرى بحلب. فهذه كانت جوائز الشعراء.

ولقد اجتهد فخر الملك أبو غالب بن خلف الواسطي لما دخل بغداد أيام وزارته لبهاء الدولة بن عضد، على أن يمدحه ابن ثبابة السعدي فلم يفعل وقال له: إن أحمد بن إسحاق - يعني القادر بالله - حظر علي أن أمدح أحداً سواه. فلما بلغ القادر كلامه وكوئنه لم يعبر عنه بالإمام ولا بأمر المؤمنين، ولا زاد على أن سماه ونسبه، احتمال له ذلك مع امتناعه على ما كان عنده من المنافسة والمحاكاة في مثله. ثم توصل فخر الملك إلى القادر وتقرّب إليه بأنواع التقرب، وسأله أن يأذن لابن ثبابة في مدحه فاعتذر إليه وأبى عليه وقال: ما كان لشاعر الخلافة أن يمدح سواها، فلما اعتاص على فخر الملك مرأته، وضع ابن حاجب النعمان فوراً على ابن ثبابة وقال: قد رسم لك أمير المؤمنين أن تمدح الوزير فخر الملك، فحضر امتثالاً للأمر، فلما رآه فخر الملك نهض له قائماً ورفع مجلسه وأحسن جائزته وأعطاه من الثياب والذهب ما لم يُعطَ شاعر مثله. فانظر إلى منافسة هذا الوزير في اكتساب الثناء، واحتياله على تحصيل الحمد من الأدباء، وعزّة ذلك عند الأئمة الخلفاء، رضوان الله عليهم. هكذا كانت رغبات الرؤساء في الأدباء.

وحدثني والذي رضي الله عنه قال: حدثني محمد بن محمد بن عبيد الله العلوي الحسيني قال: حدثني أبو المفاخر الأبهري قال: حدثني أبو يعلى ابن الهبارية الهاشمي قال: حدثني أبو سعد العلاء بن الحسن بن موصالبا كاتب حضرة الخلافة قال: كنت إذا كتبت عن رئيس الرؤساء كتاباً تحفظت وتحزرت واجتهدت، وما أكاد أسلم من نقده، ومأخذه وردّه. وقد صيرت إذا كتبت كتاباً عن ابن جهمير فإني أسترسل فيه ولا أراعي شيئاً من ألفاظه ومعانيه، فإذا عرضته عليه أخذته ورزته بيده، فإن وجدته ثقيلاً كبيراً قال: يا بني، بارك الله فيك، هذا كتاب حسن قد بجلته فيه وعظّمته. وإن استصغر حجمه، واستقل سطورَه ورقمَه نظر إليّ شزراً وقال: لعلك غير راضٍ، أو أن هذا لعدم البياض؟ وأنشد ابن الهبارية لنفسه:

فَقُلْ لَوْزِيرٍ نَقْدُهُ لِكِتَابِهِ ... بِأَوْرَاقِهِ وَزَنَا وَعَدَّ سَطُورِهِ

لعلّ زماناً قد شكّونا وزيره ... يُعيدُ علينا اليومَ مثلَ وزيره

فانظر كم بين فخر الملك وهمته، وبين ابن جهمير وعاميته وصنعيته.

وكان بشر بن أبي خازم الأسدي قد هجا أوس بن حارثة الملك ظملاً، حمله على هجائه بنو بدر الفزاريون. ثم إن بشراً غزا طيناً في خيل من قومه، فأغار على بني نهان فجرح فأثخن وهو يومئذ يحمي أصحابه، فأسرّه بنو

نهبان وخبّوه كراهية أن يبلغ خبره أوساً. وسمع أوس أنه عندهم فراسلهم في تسليمه إليه فكتموه، فألى أن ي دفعوه إليه، وكانوا يخافون أن يقتله، فلما أبوا أعطاهم مائتي بعير، فدفعوه إلى رسله، فقال له بعضهم وهو مشدودٌ على بعير: يا بشرُ غننا، فكان قد تغنى الناس بما يصنع بك أوس، فبينما هم يتهدّدونه إذ زجر الطير والوحش فرأى ما يجب فقال:

أما ترى الطيرَ إلى جنب النَّعم... والعيرَ والعانة في وادي سلّم  
سلامةً ونعمةً من النَّعم  
فأجاب بعضُ الرُّسل:

إلك يا بشرُ لذو وهمٍ وهم... في زجرِكَ الطيرَ على إثرِ التَّدَمِّ  
أبشرُ بوقوعِ مثلِ شُبوبِ الرَّهْمِ... وقطعِ كَفَيْكَ ويُثني بالقدَمِ  
وباللسانِ بعدها وبالأشَمِّ... إنَّ ابنَ سَعْدَى ذو عِقَابٍ ونِقَمِ

فلما أتوا به قال له أوس: هجوتني ظالماً، فاختر بين قطع لسانك وحبسك في سرب حتى تموت، وبين قطع يديك ورجليك وتحلية سبيك. ثم دخل على أمه سعدى وقد سمعت كلامه فقالت له: يا بُني لقد مات أبوك فرجوتك لقومك عامة، وقد أصبحت - والله - لا أرجوك لنفسك خاصة، ويحك أزعمت أنك قاطع رجلاً شاعراً؟ ومتى كانت الشعراء تُعامل بغير الإحسان؟ فإن كنت زعمت أنه هجاك، فمن يحو إذا ما قاله فيك؟ قال: فما أصنع به؟ قالت: تكسوه حُلَّتِكَ وتحمِلُهُ على راحلتك وتأمر له بمائة ناقة، عساه يغسل بمديحه هجاءه. فخرج من عندها فخلّى سبيله وأحسن إليه وفعل أضعاف ما أمرته به أمه. فامتدحه بشرٌ فأكثر، ورحض عنه الدّنس والوضر. قال الأخفش: مدح بشرٌ أوساً وأهل بيته مكان كل قصيدة هجاهم بما قصيدة، وكان قد هجاهم بخمس فمدحهم بخمس. فمن ذلك كلمته المختارة:

كفى بالتأي من أسماء كافٍ... وليس حُبّها إذ طال شافٍ  
فكان الأمرُ كما قالتُه أمّه، إذ مَحَا بِبَشْرٍ مَدْحَهُ دَمَهُ.

وفي هذا الباب من تأثير الشعرِ وزمجرِ أسودِ الغضابِ، ما يكثرُ منه العجبُ العُجابِ، وفيما أوردناه كفايةً لدوي الألباب.

## الفصل الرابع

في كشف ما مدح به وذم بسببه

وهل تعاطيه أصلح، أم رفضه أوفر وأرجح

أما مدحُ الشعرِ على لسانِ النبيّ صلى الله عليه وسلم والسُننِ الصحابةِ رضوانَ الله تعالى عليهم أجمعين فكثيرٌ غزير، لا يُنكرُ ذلك إلا غمّر من الأدبِ فقير. وفي الاقتداء بهم والافتقار لمنهجهم رشادٌ لا يضلُّ سالكه، ومهادٌ لا يزحزح مالكه، وزندٌ لا يُصلدُ قادحُه، وإمدادٌ لا يُنزفُ ماتحُه. فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (...)  
من الشعرِ لحكمةٍ، وفي موضعٍ آخر (إنّ من الشعرِ لحكماً). هذا قوله، وهو صلى الله عليه وسلم لا ينطبقُ عن الهوى بعد أن قال الله تعالى في شأن داودَ عليه السلام: (وآتيناَهُ الحِكْمَةَ وفصلَ الحِطَابِ). وقال تعالى: (ولوطاً آتيناَهُ حُكْماً وعِلْماً)، فجعل صلى الله عليه وسلم بعضَ الشعرِ جزءاً من الحِكْمَةِ التي خصَّ اللهُ بها أنبياءَهُ



ووصفَ بها أصفياءه، وامتَنَ عليهم بذلك إذ جعلهم مخصوصينَ بها من قبله، ومغمورينَ بفخرها من جهته، وناهيكَ بذلك فضيلةُ للشعرِ والشعراء، ومزيةُ عظمَ بها قدرُ الأدبِ والأدباء. وقال صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت: (أنتَ حسانٌ ولسانك حُسام)، وهذا الكلام من بابِ الجناسِ المُطمع. ولولا الشعرُ لما جعلَ لسانه حُساماً على الجاز، لمضائه في القول والرَّهبة من قوارصه، كما يمضي الحُسامُ في الضريبة ويخاف من غروبه عند المصيبة. وقال صلى الله عليه وسلم لحسان أيضاً: (أجِبْ عني، اللهمَّ أيِّدُه بروحِ القُدس). وقالت عائشة رضي الله عنها: وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان منبراً في المسجد ينافحُ عنه بالشعرِ عليه. ويقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم (إنَّ الله تعالى ليؤيد حسانَ بروحِ القُدس) وقال له: (أهْجُهم) أو قال: (هاجهم وجبريلُ معك). وحدثت عائشةُ أنها سمعت رسولَ الله عليه الصلاة والسلام يقول لحسان: (إنَّ روحَ القُدس لا يزالُ يؤيدُك ما نافحتَ عن الله تعالى وعن رسولِهِ عليه السلام).

وروى ابنُ أبي بُريدةَ فيما أسنده قال: أعان جبريل عليه السلام حسانَ بنَ ثابت في مديحه لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم بسبعين بيتاً، وفيه نظرٌ. وفي غير خبرٍ أنه صلى الله عليه وسلم قال لحسان: (هيجَ الغطاريفَ على بني عبد مُناف، والله لشِعركُ أشدَّ عليهم من وقعِ السَّهامِ في غلسِ الظلام).

وروي أن قُريشاً لما هجرت الأنصارَ أتوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم واستأذنوه في هجائهم فأذن لهم، فأتوا كعبَ بنَ مالكٍ وكان وصافاً للحرب، فعملَ شعراً فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (ما صنعَ شينياً). فأتوا عبدَ الله بنَ رَواحةٍ وكان وصافاً للجنة، فقال شعراً، وأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (ما صنعَ شينياً)، فأتوا حسانَ بنَ ثابت فقال: ما كنتُ لأفعلَ حتى يأمرني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وكان حسانُ أعرفَ الناسِ بهجاءِ قُريشٍ في الجاهلية، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: يا حسانُ إنَّ أبا سُفيان قد هجاني وقرابته مني ما قد عرفتُ، فكيفَ تصنعُ؟ فقال: يا رسولَ الله لأسُلتك منه كما تُسَلُّ الشعرةُ من العجين، فقال له: هل عندك من شعيرٍ يا حسان؟ فأخرجَ لسانه فإذا هو مثلُ ذنبِ الحية. فقال له: اذهبْ فإن جبريلَ معك. فكان لما هجا حسانَ به أبا سُفيان قوله:

وأنتَ منوطٌ نيطُ في آلِ هاشمٍ ... كما نيطُ خلفَ الرَّاكِبِ القَدْحُ الفرْدُ

وقال صلى الله عليه وسلم: (أمرتُ عبدَ الله بنَ رَواحةٍ فقالَ وأحسن، وأمرتُ كعبَ بنَ مالك، فقالَ وأحسن، وأمرتُ حسانَ بنَ ثابت فشَفَى واشتَفَى). وقال عبدُ الله بنُ عباس: تعلّموا الشعرَ فإنَّه أولُ عِلْمِ العربِ وهو ديوانُ الأدب، وعليكم بشعرِ أهلِ الحجاز، فإنَّه شعرُ الجاهليةِ وقد عُفِيَ عنه. وقال عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه: تحفظوا الأشعارَ وطالعوا الأخبار، فإنَّ الشعرَ يدعو إلى مكارمِ الأخلاقِ ويعلمُ محاسنَ الأعمالِ، ويبعثُ على جميلِ الأفعالِ، ويفتقُ الفطنةَ، ويشحذُ القريحةَ، ويجدو على ابتناءِ المناقبِ وادِّخارِ المكارمِ، وينهى عن الأخلاقِ الدنيئةِ، ويزجرُ عن مَواقعةِ الريبِ، ويحضُّ على معاني الرُتبِ. وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: علّموا أولادكم الشعرَ فإنَّه يعلمهم مكارمَ الأخلاقِ. وأوصى الرشيذُ الكسائيُّ بالأمينِ والمأمون، فكان من جملةِ وصيته: وروَّهما من الشعرِ فإنَّه أوفى أدبٍ يحضُّ على معالي الرُتبِ. وقال معاوية: علّموا أولادكم الشعرَ فإنِّي أدركتُ الخِلافةَ وملتُ الرئاسةَ ووصلتُ إلى هذه المنزلةِ بأبياتِ ابنِ الإطابة، فإنني يومَ الهريزِ كلُّما عزمتُ على الفرارِ أنشدتُ قوله:

أبت لي عفتي وأبي بلاني ... وأخذني الحمدُ بالثمنِ الرِّيحِ

وقولي كَلِّمًا جَشَّاتٌ وَجَاشَتْ ... مَكَانَكَ تُحَمِّدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي  
فَأَثْبِتُ وَأَقُولُ: مَكَانَكَ تُحَمِّي أَوْ تَسْتَرِيحِي.

وَمَا قَدِمَ الْحِجَاجُ بِنُ يَوْسَفَ الْعِرَاقَ جَفَا الشُّعْرَاءَ جَفَاءً اتَّصَلَ خَيْرُهُ بِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مِرْوَانَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ: بِسْمِ اللَّهِ  
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى الْحِجَاجِ بْنِ يَوْسَفَ، أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ كَذَبَ فَرَّاسِي  
فِيكَ، وَأَخْلَفَ ظَنِّي عِنْدَكَ، وَهُوَ إِعْرَاضُكَ عَنِ الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَعْرِفُ فَضِيلَةَ الشُّعْرِ وَلَا تَعْلَمُ مَوَاضِعَ  
كَلَامِ الشُّعْرَاءِ وَمَوَاقِعَ سَهَامِهِمْ، أَوْ مَا عَلِمْتَ يَا أَحَا تَقِيفُ أَنَّ بِالشُّعْرِ بَقَاءَ الذِّكْرِ وَنَمَاءَ الْفَخْرِ، وَأَنَّ الشُّعْرَاءَ  
طُرُقُ الْمَمْلَكَةِ، وَحُلِيِّ الدَّوْلَةِ، وَعَنَاوِينُ النَّعْمَةِ، وَتَمَائِمُ الْمَجْدِ، وَدَلَائِلُ الْكَرَمِ، وَأَهْمُ يُحْضُونَ عَلَى الْأَفْعَالِ الْجَمِيلَةِ،  
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْخَلَاتِقِ الذَّمِيمَةِ، وَأَهْمُ سَنَوَا سَبِيلَ الْمَكَارِمِ لِطُلَّابِهَا وَدَلُّوا بُغَاةَ الْحَمَامِدِ عَلَى أَبْوَابِهَا، وَأَنَّ الْإِحْسَانَ  
إِلَيْهِمْ كَرَمٌ، وَالْإِعْرَاضَ عَنْهُمْ لُؤْمٌ وَنَدَمٌ، فَاسْتَدْرِكْ فَارِطَ تَفْرِيطِكَ، وَامْحُ بِصَوَابِكَ وَحِيَّ أَعَالِيَطِكَ.

ومن فضيلة الشعر أن العلماء بالأدب لا يستطيعون نظم البيت الفذ منه، مع عدم الطبيعة في نظمه والتمحيد من الله تعالى في تأليفه لقوله تعالى: (وما علمناه الشعر وما ينبغي له)، فعزى تعليمه إليه سبحانه وجعله من جملة هباته للمخلوق وزينته التي يكسوها من يشاء، كما قال تعالى: (يريد في الخلق ما يشاء). ولولا أن تكون هذه المزية، والفضيلة السنية، موهبة من الله تعالى لما تعسرت على العلماء مع معرفتهم بأدواتها وقبضهم على أزيمة آلياتها، وتسهلت على الخلو من الأدب، والنضو في مسارح ذلك الصبب حتى يقول ما لا يعرف تعليقه، وينظم ما يجهل فروعه وأصوله.

ومن فضيلة الشعر أن الكلام المنثور، وإن راقق ديباجته ورقت بهجته، وحسنت ألفاظه، وعذبت مناهله، إذا أنشده الحادي، وأوردته الشادي، ومدد به صوته المطرب، ورفع به عقيرته المنشد، لا يحرك رزينا، ولا يسلي حزينا، ولا يظهر من القلوب كميناً، ولا يخون من الدمع أميناً. فإذا حوّل بعينه نظماً، ووسم بالوزن وسماً، ولج الأسماع بغير امتناع، وملك القلوب كما تملك الإماء في الحروب، وقبض على الجوارح قبض الجبائر على الجرائح، فكم من نفس استعادت به نفسها، وكم من مهبجة ذهب بها واختلسها، وكم من كريم أحيأه ومن لنيم أرداه، وكم من فقير أغناه، وكم من غني أخلاه، فضيلة لم تكن إلا له أبداً. والشعر معدن تفضيل وإعجاز يشجع الجبان الوكيل، فلا فرار عنده ولا نكل. ويسمح البخيل وإن برم، ويسنصي الشيخ وإن هرم. فمعجزاته بادية، وآياته رائحة غادية.

وأما من ذهب إلى ذمه وتنقصه لسوء فهمه، فإنما هو متمسك بشبه لم يعرف تأويلها، مستند إلى حجاج لم يعلم تعليلها، خاطب في عشواء مظلمة، متورط في خوض وعناء مؤلمة.

والذي تمسك به الذم قوله عليه السلام: (لأن يمتلي جوف أحدكم قبحاً حتى يرى خيراً له من أن يمتلي شعراً). القبح: الملة لا يخالطها دم، ويريه: من الوري والاسم الوري بالتحريك، ومنه الدعاء: سلط الله تعالى عليه الوري وحمي خيرى. يقال ورى القبح جوفه يريه وريراً إذا أكله.

قال عبد بن الحسحاس:

وراهن ربي مثل ما قد وريني ... وأحى على أكبادهن المكاويا

وهذا حديث يشهد لنفسه بأنه صلى الله عليه وسلم قصد به زماناً معيناً، وخص به قوماً معينين، ولم يجره على الإطلاق؛ دليل ذلك ما مدح الشعر به وأعظمه بسببه، وكونه عليه السلام سمع الشعر في الرجز والقصيد، واستشده وتمثل به مكسور الوزن، وفي رواية: صحيح الوزن، وأمر شراعه بهجاء من هجاه، وحث عليه ودعا إليه. وله شعراء معروفون من الأنصار وغيرهم، ولم يبق أحد من صحابته إلا وقال الشعر قليلاً أو كثيراً، وأنشد واستشده وتمثل به واحجج، وكاتب وراسل. وإذا ثبت أنه لقوم مخصوصين، وبطل أنه للعموم والإطلاق، كان في تأوله ضرب من التكلف.

ولا بأس بذكر شيء مما قد تأوله به العلماء. فمن ذلك ما رواه الكلبي عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لأن يمتلى جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلى شعراً هُجيت به)، وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها من مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قلنا: هذا حديث لا يصح من وجوه: منها: أن الكلبي قد طعن عليه أصحاب الحديث، وقوله غير موثوق به عندهم.

ومنها أن حفظ البيت الواحد مما هُجى النبي صلى الله عليه وسلم به، يري قيحه ولا يتوارى قبحه فضلاً أن يمتلى الجوف به.

ومنها أنه لو أراد به هجاء نفسه الشريفة لصرح بكفر المتلفظ به فضلاً عن المتحفظ له المالى بطنه به؛ إذ لا خلاف بين المسلمين أن من سب رسول الله فقد كفر، والسب جزء من الهجو. وإذا بطل ذلك كان المراد به دم من جعل دأبه تحفظ الأشعار الرقيقة، والأهاجي الدقيقة حتى شغله ذلك عن معرفة ما يجب عليه من أمر دينه وإصلاح دنياه.

وقيل: إنما عنى شعراء أعداء الله وأعداء رسوله الذين هجوا وتلموا أعراض أصحابه، ورثوا قتلى المشركين بيد وغيره، وآتوهم وذكروا فضلهم. ولما كان حفظ ذلك من الأوضار الدينية، قابله صلى الله عليه وسلم بالقيح الذي تعافه النفس وتنفرد منه الطبيعة مبالغة في قدرته.

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: إنما يكره من الشعر الهجاء والرقيق الذي يتشعب فيهاب النساء فتتهيج له قلوب الفتيان. فأما سوى ذلك فما أنفعه.

وقال النضر: كيف تمتلى أجوافنا - يعني بالشعر - وفيها القرآن والفقهاء والحديث وغير ذلك. وإنما كان هذا في الجاهلية، فأما اليوم فلا، وتمسك الدائم للشعر والشعراء بقوله تعالى: (والشعراء يتبعهم الغاؤون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأهم يقولون ما لا يفعلون). والجواب عن ذلك أن التمسك بذلك المحتج به لا علم له بمعاني القرآن المجيد، فإن هذه الآية مختصة بشعراء الجاهلية.

وروي عن عكرمة أنه قال: معنى هذه الآية أن شاعرين تهاجيا بالجاهلية، فكان مع كل واحد منهما فريق من الناس يتبعه، ويحفظ عنه ما يخترعه.

وروي عن الحسن في قوله تعالى: (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون) أنه قال: قد رأينا أوديتهم التي كان يهيمون فيها مرة في مديح ومرة في هجاء.

وروي عن ابن مجاهد أنه قال: إنما يهيمون في كل فن يفتنون فيه من فنون الشعر.

وقيل في قوله تعالى: (وأنهم يقولون ما لا يفعلون)، أي يدعون على أنفسهم أنهم قتلوا وما قتلوا، وزنوا وما فعلوا، وما شابه ذلك... وأقوال المفسرين في ذلك كثيرة شهيرة، ولا نزاع في اختصاص الآية بشعراء

الجاهلية حتى نبسط القول في ذلك. ثم من جهل المحتج على الشعراء بهذه الآية كونه لم يعلم بمن استثنى فيها، وتلا أوها ونسي آخرها وهو قوله تعالى: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا

من بعد ما ظلموا). الذين آمنوا هم المخضرمون كانوا جاهلية وأدركهم الإسلام فحسن إيمانهم، ثم وصفهم تعالى بعمل الصالحات لما أجابوا منادي الرسول واتبعوا سنته القويمه ووقفوا عند أمره ونواهيته، وأثنى

عليهم بكثرة ذكرهم لله تعالى، وذكر حلومهم الرزينة بقوله: (وانتصروا من بعد ما ظلموا). فإتهم لما هجتهم قريش وهيجتهم، وبدأتهم بالأذى وأحفظتهم، استأذنوا الرسول صلى الله عليه وسلم، فأذن لهم في الانتصار منهم، فكيف ترك ذكر هؤلاء وما قد وصفهم الله تعالى به، واحتج بذكر شعراء الجاهلية، لولا العدول عن الحق والحيرة في تلك الطرق.

وتمسك اللذام للشعر والشعراء بقول من قال: الشعر أخبث طعمة تؤكل، وأفحش صناعة تفعمل، وأرجس قدح يلمس، وأجس ثوب يلبس، لأن قول شاعره زور وثناء غرور، ولفظه فجور، وهو مستثقل مهجور، إن بعد خيف شداؤه، وإن قرب لم يؤمن أذاه، وإنما غاية الشاعر إذا اسحنفر في ميدانه، وأطلق عنان لسانه، وتبوع في القول بجهد، وتدرع في الوصف بجده، واحتفل لبلوغ شأوه عند من يجتديه، وترامى إلى أقصى بغيته عند من يعتربه ويعتفيه، أن يفرق في وصف جميل ويطلب في مساءلة طلل، ويكي على رسم دائر، ويقف ويستوقف على زمام نثر، ويرحل النوق والجمال، ويصف قطع المغاوز وتعسف الرمال، ويذكر ورود المياه الأوجن، ومصاحبة الغلان والسعال في تلك المخارم. وأي عقل أقل، ورأي أجور وأضل، من عقل رجل انصب لسماح ذلك، ورأي شاعر أتعب نفسه وكده حسه في وصف بقر وسؤال حجر. ثم إن الشاعر إذا نظم قطعة، واختطف معنى، استصغر من الشعراء الصدر الأول، واستحقر من العلماء الخليل والمفضل، وليس عنده سوى لمع قد أخذها من بطون الكتب وصحفها من متون الصحف، ولم يتدرج إلى معرفة أدب بطول صحبة ولا بقدم رياضة، وإذا لم تطل الصحبة لم تعرف المظنة، وللعلم سر، من قصر عن مكانه لم يعد من إخوانه.

وكم من شاعر قد ابتلي به من أنعم عليه وأحسن إليه، فقابل الإحسان بالإساءة، والإنعام بالانتقام، وحسن الصنيع بقبح التصنيع، حتى أذاقه بعد حلاوة مدائحه ومرارة هجائه، وجرعه غصص تلبه ومضض ذمه، ناقضاً لما أبرم، هادماً لما شيّد، ومكذباً نفسه فيما قدم، لا تصرفه عنه أنفة، ولا يردعه حياء، ولا يقذعه دين، ولا يزعه تقى.

وكم من كريم الطرفين، عالي الجدين، صريح النسب، صحيح الحسب، عظيم الرتب، شريف الأم والأب، قد قذفه بهجو، زنى في نسبه، لئيم في ادعاء أب غير أبيه، وضع قدوره، حقير أمره. وكم من حرة كريمة وعفيفة مأمونة، ومحدرة مصونة، قد هتك الهجو خدرها، وكشف عنها سترها، فشمّلها العار، وحلّ بها الشنار؛ فهي لا تطيق لذلك دفاعاً ولا تجد منه امتناعاً. وأي مصيبة أعظم ورزية ألم من شاعر رمى حرمة محسن إليه بقذعه، ووسم جهة منعم عليه بقذفه، فلزمه عار هجائه لزوم طوق الحمامة، إلى يوم القيامة، وإنما يكرم الشاعر مخافة من شره، وحذراً من بذيء لسانه وقل دينه وعدم مروءته. وقد قال عليه السلام: (إن شر الناس من أكرم مخافة من شره).

ومتى أنشدك شاعر هجاء قد مزق به عرض مسلم أو عرض عليك سباً قد قذف به حرمة بريء مستسلم، فإنما قصد بذلك أن يريك حمته، ويذيقك سمامه، ويعرفك كيف يفوق سهامه، ويخوفك ميسمه، ويحذرك مكواته.

فكم من كريم جعله الشعر بخيلاً، وصريح في قومه تركه دخيلاً، وشجاع صيره جباناً، وأمين غادره خواناً.

ألا ترى الى أبي نواسٍ وإحسِنِ بني برمكٍ إليه، وإقباله بالمدائحِ عليهم، وإقبالهم بالصَّاتِ عليه؛ فمن جملةِ قوله فيهم:

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَا ... بَنُو بَرْمَكٍ مِنْ رَائِحِينَ وَغَادٍ  
وَقَدْ عَرَفَ النَّاسُ كَافَّةً اشْتِهَارَ بَنِي بَرْمَكٍ بِالْجُودِ وَاخْتِصَاصَهُمْ بِبَذْلِ الْمَوْجُودِ، فَلَمْ يَسْتَحْيِ أَبُو نَوَاسٍ مِنْ  
إِحْسَانِهِمْ إِلَيْهِ وَتَكْذِيبِ النَّاسِ لَهُ حَتَّى وَسَمَهُمُ بِالْبُخْلِ، وَدَعَاهُمْ بِالشَّحِّ، خَارِقًا لِلْإِجْمَاعِ فِيهِمْ، وَجَاهِدًا  
لِاصْطِنَاعِهِمْ لَهُ، حَتَّى قَالَ مِنْ جُمْلَةِ هِجَائِهِ فِيهِمْ:  
بَنِي بَرْمَكٍ بِاللُّؤْمِ وَالْبُخْلِ أَنْتُمْ ... حَقِيقُونَ لَكِنْ قَدْ يُقَالُ مُحَالٌ  
وَقَدْ يَهْجُو جَعْفَرًا:

وَلَوْ جَاءَ غَيْرُ الْبُخْلِ مِنْ عِنْدِ جَعْفَرٍ ... لَمَا أَنْزَلُوهُ مِنْهُ إِلَّا عَلَى حُمُقٍ  
أَرَى جَعْفَرًا يَزِدَادُ لَوْمًا وَدَقَّةً ... إِذَا زَادَهُ الرَّحْمَنُ فِي سَعَةِ الرَّزْقِ  
وَكَذَلِكَ صَنَعَ أَبُو نَوَاسٍ مَعَ الْخَصِيبِ فَإِنَّهُ بَعْدَ قَوْلِهِ فِيهِ:  
إِذَا لَمْ تَزُرْ أَرْضَ الْخَصِيبِ رِكَابُنَا ... فَأَيُّ فِتْيٍ بَعْدَ الْخَصِيبِ تَرُورُ  
يَقُولُ:

خُبْرُ الْخَصِيبِ مُعَلَّقٌ بِالْكَوْكَبِ ... يُحْمَى بِكُلِّ مُتَقَفٍ وَمَشْطَبٍ  
وَهَذَا أَبُو الطَّيِّبِ وَفَدَّ عَلَى كَافُورِ الْإِخْشِيدِيِّ مُسْتَمِيحًا، وَقَدِمَ عَلَيْهِ يَوْسُعُهُ ثَنَاءً وَمَدِيحًا، فَمِنْ جُمْلَةِ قَوْلِهِ فِيهِ:  
قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ ... وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَابِيَا  
فَلَمَّا وَاصَلَهُ كَافُورٌ بِصَلَاتِهِ وَأَسْرَفَ فِي بَذْلِ أَمْوَالِهِ لَهُ وَأَعْطِيَاتِهِ، كَرَّرَ رَاجِعًا عَلَيْهِ بِذَمِّهِ، نَافِثًا فِي فَمِّ عَرَضِهِ  
قَوَائِلَ سَمَّهِ. وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (حَرَامٌ عَلَى الْفَسِّ الْخَبِيثَةِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دَارِ الدُّنْيَا حَتَّى تُسَيَّءَ إِلَى مَنْ  
أَحْسَنَ إِلَيْهَا). وَلَمَّا سُئِلَ أَبُو الطَّيِّبِ عَنْ مَوْجِبِ ذَمِّهِ كَافُورًا زَعَمَ أَنَّهُ مَنَعَهُ مِنْ قَصْدِ الْمُلُوكِ، وَإِرَاقَةِ مَاءِ مَحْيَاهُ  
لَدَى الْغَنِيِّ وَالصُّعْلُوكِ، وَضَمِنَ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ الْعَوَاضَ عَمَّا خَيَّلَتْهُ الْمَطَامِعُ فِي ذَلِكَ الْغَرَضِ. وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى  
الِاحْتِجَاجِ بِتَقْصِيرِ صَدْرٍ مِنْ كَافُورٍ، فَهَلْ هَذَا ذَنْبٌ اسْتَحَقَّ بِهِ أَنْ يَقُولَ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَدْحِ فِيهِ:  
مَنْ عَلِمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرَمَةً ... أَقَوْمُهُ الْبَيْضُ أَمْ آبَاؤُهُ الصَّيْدُ  
وَلَوْ عَدَدْنَا مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنَ الشُّعْرَاءِ، وَمَنْ قَابَلَ مِنْهُمْ الْإِحْسَانَ بِالذَّمِّ وَالهِجَاءِ، لَصَنَّفْنَا فِي ذَلِكَ كُتُبًا،  
وَأُورِدْنَا مِنْهُ طَرِيفًا عَجَبًا.

هَذَا زُبْدَةٌ مِنْ مَخْضَ وَطَابُهُ فِي ذَمِّ الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ، وَنَبَذَهُ وَنَبَذَهُمْ مِنَ الْجَفْوَةِ بِالْعَرَا وَالْعَرَاءِ. وَسَنَدُ كُرِّ  
الْجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ مَخْتَصِرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

الْجَوَابُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ: عَلِمْتُ أَيُّهَا الذَّامُّ، أَصْلَحَكَ اللَّهُ تَعَالَى، أَنَّ الْحَقَّ غَيْرُ مَا تَوَخَّيْتَ، وَالصَّدَقَ غَيْرُ مَا  
آخَيْتَ، وَمَنْ نَازَعَ فِي أَمْرٍ وَلَمْ يَنَافِرْ إِلَى حَاكِمٍ غَيْرِ نَفْسِهِ، لَمْ يَطْفُرْ بِمَحْجَّةٍ حُجَّجِهِ وَكَشَفَ لَبْسَهُ، وَمَنْ سَوَّلَ  
لَهُ الشَّيْطَانُ فِي خُلُوتِهِ أَمْرًا فَرَضِي بِهِ، وَأَطْبَاهُ هَوَاهُ لَغَرَضٍ فَقَادَهُ الْجَهْلُ إِلَيْهِ، لَمْ يَزَلْ فِي مَضَلَّةٍ عَنِ الْحَقِّ  
وَحَيْرَةٍ مَظْلَمَةٍ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ؛ وَالْعُجْبُ بِالرَّأْيِ آفَةُ الْعَقْلِ، وَالْقُلُوبُ مَعَ الْأَهْوَاءِ سَرِيعَةُ التَّقَلُّبِ؛ سَيِّمًا إِذَا لَمْ  
يَكُنْ لَهَا قَائِدٌ مِنَ الْإِنصَافِ بَصِيرٍ، وَلَا مَعِينٌ مِنَ الْإِرْشَادِ نَصِيرٍ. وَلَمْ يَكُنْ لِأَوْدِهَا مُتَقَفٌ وَلَا مُقَوِّمٌ، وَلَا فِي

مُجْهَلِهَا هَادٍ وَلَا مَعْلَمٌ، وَمَنْ رَضِيَ شَيْئًا شَنِئَ ضِدَّهُ، وَاحْتَجَّ لِباطِلِهِ جُهْدَهُ، وَتَسَخَّطَ مَا خَالَفَهُ، وَأَنْكَرَ مِنْهُ مَا عَرَفَهُ، وَكَانَ لِمَا أَهْدَمَ مِنْهُ مُشِيدًا، وَلِمَا شَرَدَ مِنْ مَحَاسِنِهِ مَقِيدًا، وَعَمَّا عَرَضَ عَنْ مَسَاوِيهِ حَيودًا مُعْرَضًا. وَلَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، وَلَا مِنَ الْإِنْصَافِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ، وَالْعِلْمُ غَيْرَ مَا تَوَهَّمْتَ، وَالْأَدَبُ لَيْسَ كَمَا زَعَمْتَ. وَإِنَّمَا الْعِلْمُ مَنِيْعُ الْحَمِي، صَعْبُ الْمُرْتَقِي، لَا يُنَالُ بِالْمُنَى، وَلَا يُدْرَكُ بِالهُوَيْنَا، وَلَنْ يَحْطَى بِهِ إِلَّا مَنْ أَحَبَّهُ لِنَفْسِهِ وَنَفَاسَتِهِ، وَطَلَبَهُ لِنَاتِهِ وَلَذَاتِهِ، وَتَعَشَّقَهُ لِعَيْنِهِ وَمَزِيَّتِهِ، وَكَانَ مُؤْنَسَهُ فِي الْوَحْشَةِ، وَثَانِيَهُ عِنْدَ الْوَحْدَةِ، يَتَكَثَّرُ بِهِ لَدَى الْقِلَّةِ، وَيَعْتَرُّ بِهِ فِي حَالِ الدَّلَّةِ. وَلَنْ يُعْطِكَ بَعْضُهُ حَتَّى تُعْطِيَهُ جَمَلَتِكَ، وَلَا يُصْحَبُ إِلَيْكَ حَتَّى تُلْقِيَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ، وَرَبِّمَا كَانَ مَعَ ذَلِكَ عَزِيْزًا عَلَيْكَ مَرَامُهُ، بَعِيدًا مِنْ يَدِكَ مَنَالُهُ. أَلَا تَرَاهُ لَمَّا دَخَلَ فِيهِ مَنْ لَيْسَ هُوَ مِنْهُ، وَاقْتَنَعَ بِاسْمِهِ دُونَ عَيْنِهِ وَجَسْمِهِ، كَيْفَ ذَهَبَ بِهَاؤُهُ، وَغَاضَ رَوْنَقُهُ، وَاسْتَحَالَتْ نَضَارَتُهُ، وَتَعَطَّلَتْ سُنَنُهُ وَطُمِسَ سَنَنُهُ، وَاسْتُخِفَّ بِقَدْرِهِ وَاسْتَهْيَنَ بِأَمْرِهِ، وَتُبِدَّتْ رَسُومُهُ، وَأَقْوَتَ رُبُوعُهُ، وَتُقَصَّتْ شُرُوطُهُ، وَاسْتُخْدِثَتْ فِيهِ الْبِدْعُ، وَظَهَرَتْ فِيهِ الشُّنْعُ، كَقَوْلِ الْأَوَّلِ:

لَمَّا ادَّعَى الْعِلْمُ أَقْوَامَ سَوَاسِيَةٍ ... مِثْلَ الْبِهَاتِمِ قَدْ حُمِّلْنَ أَسْفَارًا

غَاصَّتْ بِشَاشَتُهُ وَاغْتَضَّ حَامِلُهُ ... وَصَوَّعَ الرُّوضُ مِنْهُ وَاكْتَسَى عَارًا

وَيَجِبُ، أَيُّهَا الذَّمُّ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الشَّعْرَ كَلَامٌ، وَفِي الْكَلَامِ الْجَيِّدِ وَالرَّدِيءِ، وَمَا يُكْتَسَبُ بِهِ الشَّوَابُ، وَمَا يُجْتَنَبُ بِهِ الْعِقَابُ، وَمَا تُبْتَاعُ بِهِ الْجَنَانُ، وَمَا تُشْتَرَى بِهِ النِّيرَانُ. فَكَيْفَ يُطْلَقُ الذَّمُّ عَلَى الْجَمِيعِ، وَيُؤْخَذُ الرَّفِيعُ بِالْوَضِيعِ، وَيُلْحَقُ بِالشَّعْرِ كُلُّهُ كِرَاهِيَةٌ تَخْصُ بَعْضَهُ. وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (الشَّعْرُ كَلَامٌ، حَسَنُهُ كَحَسَنِ الْكَلَامِ، وَقَبِيحُهُ كَقَبِيحِ الْكَلَامِ).

وَاعْلَمْ أَنَّ الشُّعْرَاءَ بَشَرٌ وَفِي الْبَشَرِ الصَّالِحِ وَالطَّالِحِ، وَالْعَاقِلِ وَالْجَاهِلِ، وَالْحَمُودُ وَالْمَذْمُومُ. وَلَيْسَ مِنَ الْعَقْلِ وَالْعَدْلِ أَنْ نَجِدَ فِي رَجُلٍ خَلَّةً مَذْمُومَةً فَتَنْدَمُ مِنْ أَجْلِهَا كُلَّ مَنْ تَسَمَّى بِاسْمِهِ، وَكُلَّ مَنْ انْتَسَبَ إِلَى أَصْلِهِ وَجَذْمِهِ، وَكُلَّ دَاخِلٍ فِي صِنَاعَتِهِ، وَكُلَّ مَعْدُودٍ مِنْ جَمَاعَتِهِ. وَهَلْ يَحْسُنُ بِاللَّيْبِ الْعَاقِلُ أَنْ يَرَى كَاتِبًا لِحَانًا، رَدِيئًا خَطَّهُ، مُخَطِّئًا شَكْلَهُ وَقَطْعُهُ، فَيَذَمُّ مِنْ أَجْلِهِ كُلَّ كَاتِبٍ، وَيُبْعِدُ لِبُغْضِهِ كُلَّ ضَابِطٍ وَحَاسِبٍ؟ هَلْ يُعَدُّ فَاعِلٌ ذَلِكَ فِي جَمَلَةِ الْمَكْلَفِينَ؟ كَلَّا وَاللَّهِ وَلَا فِي زُمْرَةِ الْمُحْصَلِينَ.

وَكَذَلِكَ كُلُّ صِنَاعَةٍ إِذَا بَرَزَ وَاحِدٌ فِيهَا وَأَجَادَ، فَمَا يَسْتَحِقُّ جَمِيعُ أَهْلِهَا الْمَدْحَ، كَمَا أَنَّهُ إِذَا قَصَرَ وَاحِدٌ فِيهَا وَأَخْطَأَ لَا يُلْحَقُ بِكُلِّ أَهْلِهَا الذَّمُّ، وَإِنَّمَا مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ، وَشِيَمِ الْكُرَمَاءِ الْأَشْرَافِ، أَنْ يُعْطَى كُلُّ شَيْءٍ قِسْمَهُ، وَيُوَفَّى كُلُّ ذِي قِسْمٍ حَقَّهُ، فَيُلْحَقُ الْمَدْحُ بِأَرْبَابِهِ وَالذَّمُّ بِأَصْحَابِهِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَيَمَنْ يَسْتَحِقُّ الْمَدْحَ: (نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوْابٌ). وَقَالَ تَعَالَى فَيَمَنْ يَسْتَحِقُّ الذَّمَّ: (عُتِلُّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ) وَلَا يَفْجَرُ الْإِنْسَانُ مَعَ هَوَاهُ، إِلَى غَايَةِ تَهْوِي بِهِ فِي رَدَاهُ.

وَاعْلَمْ أَيُّهَا الذَّمُّ أَنَّ الشُّعْرَ صِنَاعَةٌ عَزِيْزَةٌ شَرِيفَةٌ يَخْلُدُ ذِكْرُهَا خُلُودَ الدَّهْرِ، وَيَبْقَى فخرُهَا بَقَاءَ الْأَبَدِ. وَمَنْ لَمْ يَجْرُ فِي مَيْدَانِ التَّنْظِيمِ، وَلَمْ يَبْرُزْ فِي رِهَانِ الْحِنَقِ وَالْفَهْمِ، وَلَمْ تَرْضُ قَرِيْبَتَهُ رِيَاضَةُ الْقَرِيْبِضِ، وَلَمْ يَدْعَكَ خَاطِرُهُ تَنَافُرَ الْقَوَافِي دَعَاكَ الْأَدِيمِ، وَتَأْبَى عَلَيْهِ الْمَعَانِي إِبَاءَ الصَّعْبِ الْجَمُوحِ، وَتَعْتَصُ عَلَيْهِ الْأَلْفَاظَ الْعَذْبَةَ الْحَلُوهَ اعْتِبَاصَ الْبَطِيءِ الطَّلِيحِ، وَيَصْعَبُ عَلَيْهِ رَدُّ الشُّوَارِدِ مِنْ مَقَاصِدِهِ، وَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ الْخُرُوجُ مِنَ التَّمْطِ الْمَوْضُوعِ وَالْحَدِّ الْمَحْدُودِ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ التَّنْفُنِّ فِي الصِّفَاتِ وَالتَّشْبِيهَاتِ، لَمْ يَعْلَمْ بِحَقَاقِ الشُّعْرِ وَدَقَاقِ الْمَعَانِي، وَلَمْ يَعْرِفْ

هل يستحقُّ قاتله المدح أو الذمَّ، اللهمَّ إلا إن كان مُقلِّداً لا مُنتقداً.

وأما صفةُ العربِ للديارِ والآثارِ، ووقوفهم على الرسومِ والأطالِ، وتشبيهُ النساءِ بالطَّباءِ والآجالِ، الى غير ذلك من صفاتِ المخارمِ والفجاجِ، والتهويمِ والإدلاجِ، فإنهم في ذلك مَعْدُورُونَ غيرُ ملومينَ، لأنهم جَمَرُوا فيه على سُننِ السَّلفِ ورسمِ من تقدَّم منهم. ولم يصفوا وينعتوا ويشبهوا ويمدحوا ويذموا إلا ما هو تَجَاهُ أعينهم لا يُعاينون غيرَهُ، ولا يُعانون سِواه، ولكلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ بها يَسْتَنُونَ، ووتيرةٌ عليها يَحومون وإليها يَرْمُونَ. فمن أضعَ ذلك منهم كان خارجاً عن مذهبه، مخالفاً لطبيعته، ساقطاً من وراءِ حدِّه.

كما أنَّ المولَّدَ من الشعراءِ إذا تركَ صفاتِ القدودِ القويمَةِ والحدودِ الوسيمةِ والألحاظِ الرطبةِ، والألفاظِ العذبةِ، والتشبيهِ بالوردِ والندِّ والكثيبِ، والغصنِ الرطيبِ وما أشبه ذلك، وتعاطى صفاتِ الديارِ، والآثارِ والمذانبِ والآبارِ، والسانيةِ والغربِ، والرِّشاءِ والعِناجِ والكربِ، وغير ذلك، كان خارجاً عن حاله، مُخالفاً لمذهبه ورجاله، مُستهجناً فيما يورِّدُهُ من ذلك، متكلفاً لما يُلفِّقُهُ منه. ولكلِّ قَوْمٍ مذهبٌ يليقُ بهم ويُستحسنُ منهم.

وأوَّلَ مَنْ شرَعَ ذلك واستنَّ للعربِ فاتبعوه، وفتح لهم بابهُ فاقنحموه وولَّجوه، امرؤ القيسِ بن حُجرٍ، فاستحسنَتِ الأعرابُ صفاتِهِ وتشبيهاً، وسلكوا سبيلَهُ، وتقبَّلوا مذهبه وقيلَهُ.

فاعرفَ أيُّها الذمُّ ذلك، وإيكَ أن تعرَّضَ لدمِّ فضيلةٍ جليلةٍ قد مُدِحَتْ على لسانِ سيِّدِ البشرِ، وأشرفِ مُضَرٍّ، أو تنالَ من أديبٍ ذي خصيصةٍ لا تُرتقى درجتها ولا تُنقى فراستها، فكم من رفيعٍ اتَّضعَ، وعزيزٍ ذلَّ وخضعَ، بتعديهِ على الأدباءِ وتنقصِهِ منازلَ الفضلاءِ، ومن بُنيانِ الهدمِ، وسلطانِ عُدْمِ، وقرانِ عَبرٍ، وشرعِ نُسخِ، وعقدِ مُحكمِ فُسخِ، ومعالِمِ الشَّعرِ قائمةٍ لا تُلوى، وأعلامه منشورةٍ لا تُطوى، ورياضةٍ موقنةٍ غيرِ خاويةٍ، وأغصانه مورقةٍ غيرِ زاويةٍ، يُحلِّمُ السفيةِ، ويُجملُ النبيةِ، ويُريقُ الدماءَ ويحفظُها، وبديلُ الأعراسِ ويحصنُها، يقربُ المآربَ الشاسعةَ ويُنبئها، ويبعدُ المطالبَ الواسعةَ ويدنيهَا، وينفعُ ويضرُّ، ويسوءُ ويسرُّ، ويعزلُ ويولِّي، ويُفقِرُ ويُغني:

فمن ذا رأى في الورى خصلةً ... تقربُ نأياً وتُثني قريبا

ثميتُ وتُحبي بأقوالها ... وتُفقِرُ خصماً وتُغني حبيبا

وأما قولنا في أولِ الفصلِ: وهل تعاطيه أصلحُ أم رفضه أوفرُ وأرجحُ، فالجوابُ: كيفَ يكون تركُ الفضائلِ خيراً من تعاطيها، واجتنابُ المناقبِ أصلحُ من مواصلةِ معالبيها، وما علمنا أن أحداً من البشرِ استطاعَ نظمَ الشَّعرِ وكان فيه مُجيداً، وتركَ ذلك، ولم يكن يشتهرُ به وينتسبُ إليه، إلا أن يكونَ فيه مُقصراً، وعن السوابقِ سُكيتاً آخراً، فيجوزُ أن يتركهُ لعجزه عنه، ونفوذِ جيده منه. كما نُقلَ عن المأمونِ لما قيلَ له: هلاَّ نظمتَ شعراً، فقال: ياباني جيده وآبي رديته، وله مع هذا أشعارٌ كثيرةٌ مشهورة.

ولو عددنا مَنْ تعاطى نظمَ الشَّعرِ من الخلفاءِ، والملوكِ والأمراءِ والوزراءِ، والقضاةِ والرُّهَّادِ، والقوادِ والعلماءِ والأشرفِ، لأفردنا له كتاباً يجلُّ رقمُهُ ويثقلُ حجمُهُ. حتى إن جماعةً من ملوكِ بني بُوَيْهٍ رشوا جماعةً من الشعراءِ حتى نظموا لهم أشعاراً فنسبوا الى أنفسهم، ودوتوها على ألسنتهم؛ لما في ذلك من المترلةِ الرفيعةِ، والحلَّةِ الجميلةِ، والمنقبةِ الجليلةِ، والفضيلةِ النبيلةِ. ولولا ذلك لما تحلَّوا بحليته ولا تزيَّنوا بجلابيه.



وقد رُوِيَ عن جماعةٍ من الصَّحابةِ أشعارٌ كثيرةٌ حتى دوّنوا لأَميرِ المؤمنينِ عليّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنه ديواناً، وروّوا فيه أشعاراً حسناً. فأما النبي صلى اللهُ عليه وسلم فقد قال اللهُ تعالى فيه: (وما علّمناه الشَّعراً وما يَنبَغِي له) ليكونَ ذلكَ أبلغَ في الحُجَّةِ على من زعمَ أنه كاهنٌ، ومرةً ساحرٌ، ومرةً (شاعرٌ نرتبُصُ به رَبِّ المنون)، (وقالوا أساطيرُ الأولينَ اكتتبها)، وقالوا (أضغاثُ أحلامٍ بل افتراءُ بل هو شاعرٌ). فمنعهُ اللهُ تعالى من الشعرِ تَكْرِماً له لما كان الشَّعْرُ دَيْدَنَ أهلِ عصره الذي بُعثَ فيه، وحُظِرَ عليه ذلكَ دَلالةً على صدقِهِ وشهادةً على بطلانِ قولِ المُبطلينَ في حقِّه، وتنزيهاً له من افتراءِهم عليه، وزيادةً في الحُجَّةِ له. وأنزلَ عليه القرآنَ الجيّدَ الذي (لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفِهِ) الذي لو اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً ما أتوا. فأقبلَ صلى اللهُ عليه وسلم يتحدّاهم فريقاً فريقاً بأن يأتوا بمثله، فلا يَقْدِرُونَ عليه. ولو كان شعراً وطالبهم بمثله لسهّلَ عليهم، وكان موجوداً لديهم. وما كان منعه صلى اللهُ عليه وسلم من الشعرِ إلا فضيلةً ومصلحةً وإكراماً وتطهيراً. وليس على الشعرِ بذلكَ نقيصةٌ ولا عارٌ، ولو كان كلُّ ما منعه اللهُ تعالى منه حتى لا يرتابَ المُطلونَ نقيصةً لذلكَ الفنِّ لكانتِ الكتابةُ نقيصةً لما جعلهُ اللهُ أمياً لا يكتبُ ولا يقرأ؛ ليكونَ أوكدَ سبباً، وأعلى شأنًا، وأشهرَ مكاناً، ولذلك قال اللهُ عزَّ وجلَّ تعالى: (وما كتَ تَلُو من قبله من كتابٍ ولا تَخُطه يَمِينِكَ إذا لارتابَ المُطلونَ). فإن كان منعه من الشَّعْرِ مذمّةً ونقيصةً للشَّعْرِ والشُّعراءِ، فمنعه من الكتابةِ مذمّةً ونقيصةً للكتابةِ والكتّابِ، ومعادُ اللهِ أن يقولَ ذلكَ عاقلٌ، والله تعالى يقولُ: (اقرأ وربُّك الأكرمَ الذي علَّمَ بالقلم) وقال تعالى: (كراماً كاتبين) يعني الملائكةَ. وقد جعل اللهُ تعالى أهلَ بيتِ رسوله صلى اللهُ عليه وسلم وأصحابه وإخوانه كُتّاباً وحُساباً، كما جعلَ منهم شُعراءَ ورُجّازاً. وكان من أزواجه صلى اللهُ عليه وسلم من يكتبُ ويقرأ؛ وهنَّ حَفْصَةُ بنتُ عُمر، وعائشةُ بنتُ أبي بكرٍ، وأمُّ سلمة، رَحِمَهُمُ اللهُ تعالى جميعاً.

وروّوا عنه صلى اللهُ عليه وسلم أنه كان يومَ الأحزابِ ينقلُ الترابَ ويقولُ:  
اللهمَّ لولا أنتَ ما اهتدينا ... ولا تصدّقنا ولا صلّينا

وروّوا عنه عليه السلام أنه كان يومَ حُنينٍ على بغلته البيضاء وهو يقولُ:  
أنا النبيُّ لا كَذِبُ ... أنا ابنُ عبدِ المطلبِ

وروّوا أنه صلى اللهُ عليه وسلم أصابَ إصبَعَهُ الشريفةَ حجراً فدميتُ، فقالُ:  
هل أنتِ إلا إصبَعُ دَمِيَتِ ... وفي سبيلِ اللهِ ما لقيتُ

وأقولُ: إنّ هذه الأخبارَ إذا صحّتْ فإنه صلى اللهُ عليه وسلم كان يتمثّلُ بها ولا يُقيّمُ وزنها تصديقاً وتسليماً لما أخبرَ اللهُ تعالى به وهو أصدقُ قِيلاً. فإنه يمكنُ أنه قد كان يقولُ: اللهمَّ ما اهتدينا لولا أنتَ ولا صلّينا ولا تصدّقنا، ويقولُ: أنا النبيُّ لا كَذِباً، أنا ابنُ عبدِ المطلبِ، ويقولُ: هل أنتِ إلا إصبَعُ دَمِيَتِ، وفي سبيلِ اللهِ ما لقيتُ. أو ما يقاربُ هذا، وإن كانت هذه الأخبارُ غيرَ متّفقٍ عليها، فقد سقطَ التعليلُ.

وقيلُ: دخلَ أبو علي المَنقَرِيُّ على المأمونِ وكان متكئاً على فُرْشِهِ، قال له المأمونُ: بلغني أنك أمِّيٌّ، وأنتَ لا تقيّمُ الشَّعْرَ، وأنتَ تُلحَنُ، فقالُ: يا أميرِ المؤمنينِ، أما اللحنُ فربما سبقَ لساني بشيءٍ منه، وأما الأميّةُ وكسرُ الشعرِ فقد كان رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم لا يكتبُ ولا يُقيّمُ الشَّعْرَ. فاستوى المأمونُ جالساً وقد ظهرَ

الغضبُ على وجهه وقال: ويلك. سأثك عن ثلاثة عيوب فيك فردتني رابعاً؛ وهو جهلك وحمك، يا جاهل! إن ذلك كان في النبي صلى الله عليه وسلم فضيلةً، وهو فيك وفي أمثالك نقيصةٌ ورتيبةٌ، وإنما منع النبي من ذلك لنفي الظنة عنه، لا لعيب في الشعر والكتابة، ولا لتقص لحقهما. فلما سمع المنقري ذلك قال: صدقت يا أمير المؤمنين، رُبَّ ظنٍّ عثرَ على وهن.

وقيل: من شرف ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ما من أحدٍ وإن عظم بيته وشرف محتدفة إلا ويود أنه فاطميٌّ. وكذلك أقول أنا: إن ما من أحدٍ وإن غلا قدره وعلا ذكره إلا ويود أنه يحسن قول الشعر، ويستطيع نظمه، ليتجمل به ويتزين بنسبه.

وقال بعض الناس: فما تقول في قوله صلى الله عليه وسلم: (امرؤ القيس حامل لواء الشعراء يهودهم الى النار)، وهل هذا مدحٌ للشعر أم ذم؟ قلت: إذا تأملت المقصد وحققت المراد وجدت المعنى ينساق الى مدح الشعر، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أراد حامل لواء شعراء الجاهلية والكفار، الذي هجوا رسول الله وهجوا المسلمين واستحقوا النار بكفرهم لا بشعرهم، ولا خلاف ولا نزاع بين العلماء في ذلك. ولو أراد العموم لدخل تحت ذلك أصحابه المقطوع لهم بالجنة، وأولياؤه المؤمنون به، والمهاجرون والأنصار والتابعون. ومعاذ الله أن يذهب الى ذلك مسلمٌ أو يقول به عاقلٌ أو عالم. وإنما كان مقصده صلى الله عليه وسلم تفخيم حال امرئ القيس وتعظيم أمره وتقديم شعره على أكفائه ونظرائه، وأنه استحق عليهم التقديم والنفصيل بجودة شعره، وحسن معانيه وواقع تشبيهاته، فجعله لذلك عميدهم وسيدهم والمتقدم عليهم وقائدهم. ولم يكن يستحق بكفره إلا النار وبجسن شعره إلا التقدم على الشعراء، فكانت هذه الصفة به خليفةً، وسمتها به حقيقةً.

فقد ظهر لك مدح الشعر في مطاوي هذا الدم. ومثل ذلك ما حكاه الأصمعي أن أعرابياً أتى ابن عم له، فسأله في مهر لزمه فلم يعطه شيئاً وردّه خائباً، فأتى رجلاً من الجوس وشكى إليه ما كان من ابن عمه، فأعطاه الجوسي ما التمس، وأطلق له ما كان ابن عمه عنه حبسه، فأنشأ قائلاً:

كفاني الجوسي مهر الرّباب ... فدى للمجوسي خال وعم

شهدت عليك بطيب المشاش ... وأنت أنت الجواد الخضم

وأنت سيد أهل الجحيم ... إذا ما ترديت فيمن ظلم

تجاوز فرعون في قعره ... وهامان والمكني بالحكم

لا ريب في أن الأعرابي لم يرد الغض والوضع من الجوسي مع إحسانه إليه عند حرمان ابن عمه له، سيما وقد فد بطرفيه: خاله وعمه، ولكنه أراد تفخيم أمر الجوسي فجعله سيد أهل الجحيم ومجاوراً لفرعون وهامان وأبي جهل بن هشام، إذ لم يكن الجوسي يستحق إلا النار، ولو كان مستحقاً للجنة لجمعته مع أبارها وأشرافها، والمعنى ظاهر.

وقيل لما سمع حسان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق امرئ القيس قال: وددت أنه قال ذلك في وأنا المدهلة في النار، حرصاً على بلوغ الغاية القصوى التي أوجبت تفضيل امرئ القيس على سائر نظرائه، وتقديمه على جميع أكفائه. وسأل بعض الناس عن قول الرضي الموسوي:

ما لك تَرْضَى أن يُقالَ شاعرٌ ... بُعداً لها من عددِ الفضائلِ  
قلنا: الرضيُّ كان طالبَ منزلةٍ عظيمةٍ، ومحدثاً نفسه بأمرٍ جسيمةٍ:  
مُنَى إن تُكُنْ حقاً تكن أحسنَ المنى ... وإلا فقد قضى بما زماً رعداً  
فكلُّ فضيلةٍ نبيلةٍ ومنقبةٍ جلييلةٍ عند بُغيته مُستصغرةٌ، وكلُّ درجةٍ رفيعةٍ، وحوزةٍ منيعةٍ، عند طلبته نازلةٌ  
سهلةٌ، فمراده أن يقول: كيف ترضى لنفسك أن يُقالَ عنك: هذا شاعرٌ مقتصرٌ على هذه السمةِ، ومقتنعاً  
بهذه المنزلةِ، وواقفاً على هذه الغايةِ، وترك الجِدَّ والاجتهادَ في إدراكِ الرتبةِ التي أنت مؤمِّلُها، وتحصيلِ  
الأمنيةِ التي أنت طالبُها. ثم قال: بُعداً لها من عددِ الفضائلِ، أي بُعداً لهذه الفعلةِ بما يعدُّ في الفضائلِ التي  
خصّصتَ بها، حتّى لنفسه وتحريضاً لها في طلبِ أمرٍ هو من الشّعْرِ أعلى محلاً، وأعلى حلياً، وأوفى شرفاً،  
وأوفر قيمةً، وأعزّ موضعاً، ولم يقصدْ أن الشّعْرَ خصلةٌ مردولةٌ وخلةٌ منومةٌ. وكيف يذهبُ إلى ذلك أو  
يدعيه أو يقوله، وبالشّعْرِ شهرَ اسمه وأضياءَ نجمه، وتوفّرَ من الأدبِ قِسْمه، وأعرضَ في الفخرِ سهمه، وأفى  
فيه عمره، وقضى بمصاحبتِهِ دهره، ولو ادّعى أن الشّعْرَ خلةٌ رذيلةٌ ومنزلةٌ ضيعةٌ، لم يُلغَتْ إلى زعيمه، ولا  
اتسَّقَ له أن يُجَحِّجَ بذلك حجةَ خصمه، ولا قوله فيه مقبول ولا مُسلم إليه.

وقد تقدّم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم في مدحه ووصفه وأقوال صحابته ما يدحض كلَّ حجةٍ،  
ويوضح في الفلج كلَّ محجةٍ. ومما يدلُّ على أن الرضيَّ كان يحدثُ نفسه بما تُستصغرُ معه المراتبُ الجلييلةُ،  
والفضائلُ النبيلةُ، ما كتبه به أبو إسحاق الصابئ الكاتب، إمّا مُستهزئاً به لاهياً، أو صادقاً في مدحه متناهياً،  
وهو:

أبا حسنٍ لي في الرجالِ فِراسةٌ ... تعودتُ منها أن تقولَ فتصدّقاً  
وقد خبرتني عنك أنك ماجدٌ ... سترقى من العلياء أبعَدَ مُرتقى  
فوفيتك التعظيمَ قبلَ أوانه ... وقلتُ: أطالَ اللهُ للسيّدِ البقا  
وأضمرتُ منه لفظةً لم أبحَ بها ... إلى أن أرى إظهارها لي مُطلقاً  
يعني: السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين.

فإن عشتُ أو إن متُّ فاذكرْ بشارتي ... وأوجبْ بها حقاً عليك مُحققاً  
وكن لي في الأولادِ والأهلِ حافظاً ... إذا ما اطمأنَّ الجنبُ في مَضجَعِ النقا  
لا ريبَ عندي أن أبا إسحاقَ لاهٍ في قوله، وأنَّ باطنه فيه ضدُّ ظاهره، وإمّا أتاه بما يوافقُ غرضه وتحدّثه به  
نفسه؛ ليحركَ بمجونه ساكنَ منجنونه، كما قيلَ في المثلِ حرّكْ لها حوارها تحنّ. وأعجبُ من هذا قوله  
لقوله، وإجابته له بقصيدةٍ، منها:

لئن برقتُ مني مَحائلُ عارضٍ ... لعينيك تقضي أن يجودَ ويُعدِّقا  
فليسَ سباقَ قبلَ ربّك مربعاً ... وليسَ براقَ قبلَ جوكَ مُرتقى  
وإن صدقتُ منه الليالي مَخيلةٌ ... فكُنْ بجديدِ الماءِ أوّلَ من سقى  
وإن ترَ ليثاً لا بدأ لفريسةٍ ... يُراصدُ غرّاتِ المقاديرِ مُطرقاً  
فما ذاكَ إلا أن يوقّرَ طُعْمها ... عليك إذا جلى إليها وحقّقها

فإن راشني دهرٌ أكنُ لكَ بازياً ... يسُرُّكَ محصوراً ويُرضيكَ مُطلقاً  
أشاطِرُكَ العزَّ الذي أَسْتَفِيهُ ... بصَفَقَةٍ راضٍ إن غَنِيَتْ وأملَقاً  
فَتَذهَبُ بالشَّطْرِ الذي كُلُّهُ غَنَى ... وأذهبُ بالشَّطْرِ الذي كُلُّهُ شَقَا  
فغَيْرِي إذا ما طَارَ غَادِرَ صَحْبِهِ ... ذُوَيْنَ المعالي واقعينَ وحلقاً  
لعلَّ الليالي أن يبلِّغَنَ مُنِيَّةً ... ويقرَعَنَ لي باباً من الحظِّ مُغَلَّقاً  
نَظَارٍ ولا تَسْتَبِيحُ عِزْمِي فَلَنْ تَرَى ... عُلوقاً إذا ما لَمْ تَجِدْ مُتَعَلِّقاً  
وإن قَعَدَتْ بي السَّنُّ عنها فَإِنَّهُ ... سينهضُ بي مَجْدِي إليها مُحَقِّقاً

فمن في نفسه مثل هذا كيف يرى الاقتناع بمرتبته الشعر ولا يقول: بُعداً لها من عدد الفضائل.  
وفي هذا الجواب كفاية، فقد أخذ الفصل بحقه، والله تعالى الموفق لسلوك طرقة، إن شاء الله تعالى.

## الفصل الخامس

فيما يجب أن يتوخاه الشاعر ويتجنبه  
ويطرَّحه ويتطلبه

يجب على الشاعر أن يتجنب سفساف الكلام، وسخيف الألفاظ، ونازل المعاني المسترددة، ووحشي اللغة المتكلف، ولا يستعمل التشبيهات الكاذبة، ولا الإشارات المجهولة، ولا الأوصاف البعيدة، ولا العبارات الغنّة، ولا يختصر في موضع البسط، ولا يبسط في موضع الاختصار. فإذا أراد أن يبي قصيدة أو ينظم قطعة صور المعنى في قلبه، ومثله في نفسه كلاماً مشوراً، ثم أعد له ألفاظاً تطابقه، واختار له من القوافي ما يوافقها، وجعله على وزن يسلس القول عليه، وينقاد المعنى إليه. فإذا نظم بيتاً تأمله تأمل غير راضٍ عن نفسه، ولا مغالط لفهمه وحسه، وانتقده انتقاد متعنت فيه، فإن وافق الصحة، وجرى على منهاج الاستحسان، وإلا فالواجب عليه إسقاطه. وإن اتفق له بيتان على قافية واحدة، اختار الأوقع منهما وأبطل الآخر.

ويجب على الشاعر أنه لا يظهر له شعراً إلا بعد تقبته بجودته وسلامته من العيوب التي نبه عليها العلماء وأمروا بالتحرز منها. ولا يسلك سبيل الأعراب فيما نهينا عنه في صدر الكتاب.

وأما ارتكاب الضرورات غير المحظورات فيجوز استعمالها وإن كانت عند المحققين عيباً، وقائلها عندهم مسيئاً، إلا أن اجتنابها مع جوازها أحسن. ولا ينبغي الاقتداء بمن أساء من الشعراء القدماء بل بمن أحسن منهم وأجاد. ولا يحذو إلا حذو الشعر الجيد، والنظم المختار، والطريقة الحسنة، والسنة الهادية، واللفظ الرشيق، الحلو اللطيف السهل، الآخذ بجماع القلوب، المستوي على قوى النفوس، الواصل إلى الأفهام من غير حجاب، الهاجم على العقول بلا مطرق ولا بواب، المشاكل للأرواح لفظاً ورقّة، وللسحر حلاوة ودقّة. ويجب على الشاعر أن يتكب سرقة الأشعار ويتجنب الإغارة على المعاني، فإذا حاول النظر إلى شيء من ذلك جعل خاطرته كوادٍ مطمئن قد مدته سيول جارئة من شعاب مختلفة، أو كمن ركب طيباً من أخلاط متغايرة من الطيب، فلا يعرف أرح ما ركبه من أي طيب هو.

ومما يحكى في مثل ذلك أن خالد بن عبد الله القسري قال: حفظني أبي ألف خطبة ثم قال لي: تناسها

فتناسيتها فغاضت ثم فاضت، فوالله ما أردت بعد ذلك شيئاً من الكلام إلا سهلاً عليّ وغرّه ولانٍ خاطري  
صعبه.

وينبغي للشاعر أنه إذا نظم شعراً يردده برفيع من صوته، فإن الغناء فيه يكشف عيوبه، ويبين متكلف  
الفاظه؛ ألا ترى الى قول حسان بن ثابت:

تغنّ في كلّ شعراً أنت قائله ... إن الغناء لهذا الشعر مضمراً

وينبغي للشاعر أن يتأمل مصراع كل بيت حتى يُشاكل ما قبله ويطاق ما تقدمه، فقد عاب العلماء على  
خلق من الشعراء القدماء مثل ذلك، كقول الأعشى:

أغرّ أبيضٌ يُستسقى الغمام به ... لو قارع الناس عن أحسابهم قرعاً

فالمصراع الثاني غير مُشاكلٍ للأول، وإن كان كل واحدٍ منهما قائماً بنفسه، وهذا معنى ينبغي مراعاته  
والوقوف عنده. ومثله قول امرئ القيس:

كأني لم أركب جواداً للذة ... ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

ولم أسيا الزرق الروي ولم أقل ... لخلي كُري كُرة عند إجفال

قال محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي: هذان بيتان حسان، ولو وُضع مصراع كل واحدٍ منهما في موضع  
الآخر كان أشكل وأدخل في استواء النسخ، فكأن يُقال:

كأني لم أركب جواداً ولم أقل ... لخلي كُري كُرة بعد إجفال

ولم أسيا الزرق الروي للذة ... ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

وينبغي للشاعر أن يتجنب الحشو الذي يفسد به البيت، كقول الأعشى لما مدح قيساً:

وُبتت قيساً ولم آته ... وقد زعموا، ساد أهل اليمن

فقال له قيس: يا ويلك تقول وقد زعموا. وهذه كلمة لا تُستعمل إلا عند الشك في صدق القائل! فجعلها  
حشوةً أفسد بها معنى البيت. فلو قال:

وُبتت قيساً ولم آته ... على نأيه ساد أهل اليمن

لخلص من ذلك.

وينبغي للشاعر أن يتعفف في شعره ولا يستهزئ بالفواحش، ولا يتهكم في الهجاء، فإن العلماء ذموا من  
اعتمد ذلك، ومن كان يتعهر ولا يتستر مثل امرئ القيس في قوله:

ومثلك جُلي قد طرقتُ ومُرضع ... فألهيتها عن ذي تائمٍ مُحول

وينبغي للشاعر أن يستعمل لفظاً لإقامة وزن البيت وهي مُفسدةٌ بمعناها له، وإذا حكّم عليه البيت بذلك  
فالأولى إسقاطه. ألا ترى ذا الرمة وقوله:

حراجيحٌ ما تفكُّ إلا مُناخة ... على الحسْفِ أو ترمي بها بلداً قفراً

كيف أدخل إلا بعد ما تفك لإقامة وزن البيت فأفسده. لأن ما يزال وما ينفك في كلامهم جحدٌ وإلا تحقيقٌ،  
فكيف يجتمعان! ولهذا لو قلت: مازال زيدٌ إلا قائماً، لم يجز.

وينبغي للشاعر أنه إذا رأى الشعر قد اعتاص عليه ومنع جانبه منه أن يتركه في تلك الحال ولا يكدر قريحته

فيه، ولا يكلفَ خاطره اقتحامَ مهاويه. فقلما يجيء الشعر على تلك الحال كما يؤثّر الشاعر، ولعل في تركه له حدودٌ معنى لم يكن في خاطر من قبل، وقد وقع جماعة من الشعراء مثل ذلك كثيراً. قيل: لما وفد ذو الرمة على بلال جعل يتردد إليه ويجاول أن يبتدئ قصيدةً فيه والشعر يعتاص عليه فلا يقدر أن يصل إليه، فقال له عجزو كان يُكثر الغدو والرواح عليها. وكان جميلاً: قد طال ترداك يا فتى، أفالي زوجة سعدت بها، أم الى خصومة شقيت من أجلها، فالفت ذو الرمة الى راويته وقال: جاء والله ما أريد، ثم أنشأ قائلاً:

تقول عجزو مدرجي مُتروحاً ... على بابها من عند أهلي وغاديا

الى زوجة بالمصر أم لخصومة ... أراك لها بالبصرة العام تاويا

ومر في القصيدة، فكان العجزو اقتدحت بكلامها زئد خاطره.

والفصيح في اللغة أن يُقال: فلانة زوج فلان ولا يقال زوجة فلان. وقال ابن مناذر قلت:

يقدح الدهر في شماريخ رضوى

ومكثت حولاً لا أقدر على إتمامه فسمعت قائلاً يقول: هبود، فقلت: وما هبود؟ قيل جبل، فقلت:

ويحط الصخور من هبود

وفي مثل هذه الحكاية ما حدث به أبو الحسن علي بن نصر الكاتب قال: حدثني زعيم الملك قال: قال لي أبو

الحسن الجهمي: لما عملت قطعتي التي أصف الديك فيها، وأولها:

يا رب أفرق فرس ... ي ليس بالجزع الفروق

علق الذجي بذيوله ... لما تطلّس بالبروق

فالتار لون لباسه ... وسواه منها في حريق

حذي النضار وزيد تح ... سينا فتوج بالعقيق

فتخاله خاض الأصي ... ل وبل فرعاً بالشروق

يمشي يهمازين إم ... ما للنجاة أو اللقوق

سكرت لحاظ الناظري ... ه بكأس مفرقه الرحيق

بقيت أياماً أفكر في بسط رجله إذا وطئ الأرض ورفعها متمهلاً أن يضعها على الأرض، ومازلت أبيض

يدي وأبسطها متطلباً المعنى، فقالت لي امرأة كانت تراني: أي شيء بك، كأنك تقارع أحداً؟ فقلت لها:

رفهتي وخرجت إلي بغرضي ثم قلت:

مُتشابه الخطوات ين ... قلهن بالمهل الرفيق

رجل تريك يد الما ... رع في مصافحة الطريق

وينبغي للشاعر أن يقارب بين الألفاظ ولا يُباعد بينها، فهو عيب، كما قيل: إن الكميت أنشد نصيباً قوله:

وقد رأينا بها حوراً منعمة ... بيضا تكامل فيها اللؤلؤ والشنب

فمقد نصيب خنصره فقال له الكميت: ما هذا؟ قال: أعد غطك، هلا قلت كما قال ذو الرمة:

لمياء في شفيتها حوة لعل ... وفي اللثا وفي أنيابها شنب

وأقول: إنَّ الذي أنكره نُصِيبُ في موضع الإنكار، وهو عيٌّ قبيحٌ؛ لأنَّ الكلامَ لم يجرِ على نظمٍ متسقٍ، ولا وقعَ الى جانبِ الكلمةِ ما يشاكلها. وأول ما يحتاجُ إليه الشعرُ أن يُنظَمَ على نسقٍ وأن يوضعَ على رسمِ الشاكلة.

وقيل: إنَّ عمَّ عُيِّدَ الراعي النُمَيْرِيَّ قال للراعي: أيُّنا أشعرُ أنا أم أنت؟ فقال الراعي: أنا أشعرُ يا عمُّ منك، فغضبَ وقال: بمَ وكيف؟ قال: لأبي أقولُ البيتَ وأخاه، وأنتَ تقولُ البيتَ وابنَ أخيه.

وينبغي للشاعرِ أن يتجنَّبَ الألفاظَ التي تشبَّهَ على سامعيها وقارئها ولا ينزِلَ في الخطابِ من علوِّ الى مهبطٍ؛ لأنَّ الأجدَرَ أن يرتقيَ من انحطاطِ الى علوِّ.

فأما الألفاظُ التي تشبَّهَ فمثالها ما جرى لأرطاةَ بنِ سُهَيْبِ المُرِّيِّ، وكان قد بلغَ مائةً وثلاثينَ سنةً، فدخلَ على عبد الملك فقال له: ما بقيَ من شعركِ يا بنَ سُهَيْبِ؟ فقال: واللهِ ما أشربُ ولا أطربُ ولا أغضبُ، ولا يجيءُ الشعرُ إلا على مثلِ إحدى هذه الخلال، وإني لأقول:

رأيتُ المرءَ تاكلهُ الليالي ... كأكلِ الأرضِ ساقطةَ الحديدِ  
وما تبغي المنيَّةَ حينَ تأتي ... على نفسِ ابنِ آدمَ من مرِّ يدِ  
وأعلمُ أنها ستكرُّ حتى ... تُوفِّي نذرَها بأبي الوليدِ

وكان أرطاةُ يُكنى أبا الوليد، وعبدُ الملكِ يُكنى أبو الوليد، فارتاعَ عبدُ الملكِ واشتدَّ ذلك عليه وتغيَّرَ لونُ وجهه ظناً بأنه يعنيه، فقال له أرطاةُ: إني لم أعنك وإنما عنيتُ نفسي، وشهدَ عندهُ جماعةٌ أن كنيتهُ أبو الوليد فأمسكَ عنه، ولولا ذلك لأوقعَ به وأهلكه.

والروايةُ الصحيحةُ أن عبدَ الملكِ بلغتهُ الأبياتُ فأنكرها وأعظمه وقال: ما هذا الجلفُ وذكري، وأمرَ بإحضاره ليوقعَ به فشهدوا عندهُ بكنيته وأنه لم يقصدهُ بذلك. فلما أُحضرَ وهو خائفٌ وجلٌّ، آمنه وأطلقه، فعادَ وجماعةٌ من أعدائه قد أرجفوا عليه بالتكالمِ والوبالِ فأنشأ قائلاً:

إذا ما طلعنا من ثنيةٍ لفلبٍ ... فبشَّرُ رجالاً يكرهون إياي  
وخبرهمُ أيَّ رجعتُ بغبطةٍ ... أحلدُ أظفاري وأصرفُ ناوي  
وأيُّ ابنِ حربٍ لا تزالُ قهربي ... كلابُ عدوٍ أو قهرُ كلابي

وقريُّ من هذه الحكاية ما حدَّثَ به المصورُ العنزِيَّ وكان راويةَ العربِ قال: دخلتُ على زيادٍ فقال:

أنشدنا، فقلت: من شعرٍ من؟ قال: من شعرِ الأعشى، قال: فأرتجِ عليَّ ولم يحضرنِي إلا قولُه:  
رحلتُ سُميَّةَ غدوةً أجمالها ... غَضِبَ عليك فما تقولُ بدا لها

فقطبَ زيادٌ وغضبَ وعرفتُ ما وقعتُ فيه فخرجتُ منهزماً. فلما أجازَ الناسَ لم أستجرِ أن أرجعَ إليه، لأنَّ أمَّ زيادٍ كان اسمها سُميَّة.

ودخلَ ذو الرِّمةِ على عبد الملك فقال له: أنشدني أجودَ شعركِ فأنشده:

ما بالُ عينِكَ منها الماءُ ينسكبُ ... كأنه من كُلى مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ

وكانت عينا عبد الملك تسيلان ماءً، قال: فغضبَ عليه وأمرَ به، فأخرجَ مهاناً وقد عرفَ موضعَ خطئه.

فلما كان من الغد دخلَ في زُمرَةِ الناسِ وأنشد:

ما بال عيني منها الماء ينسكبُ

حتى أتى على آخرها فأجازهُ ومن الاتفاق العجيب أن عبد الملك كان قد أعطى عمرو بن سعيد الأشدق أمانهُ وخذعهُ وكاذبه حتى حصل وقته. واتفق أن إبراهيم بن متمم بن نوية وفد على بني عمرو بن سعيد الأشدق فقالوا لعبد الملك: ما رأينا بدويًا يشبه إبراهيم بن متمم عقلاً وفضلاً، فقال عبد الملك: أدخلوه، فلما دخل عليه رأى منه ما رآه القوم، فقال له: أنشدنا بعض مراثي أهلك متمم في عمك مالك فأنشده:  
نعم الهوارسُ يوم نُشِبَ غادروا ... تحت الترابِ قتيلك ابن الأزورِ  
فلما انتهى الى قوله:

أدعوتهُ بالله ثم قتلته ... لو هو دعاك بمثلها لم يغيرِ

فظنَّ عبد الملك أن بني عمرو بن سعيد قد وضعوه على ذلك، فغضب حتى انفخ سحرهُ غيظاً، ونظر الى بنيه مقطّبا ففرحوا ما عنده، فأقسموا له بالطلاق وأكّدوا الأيمان وأنذروا الحجّ وحرّموا الأموال والعبيد والإماء إن كانوا علموا بقوله، أو اطلعوا عليه، أو شاوروه فيه، أو جرى منهم في هذا قول أو فعل، فأمسك مُعرضاً وأخرج ابن متمم خائباً. فلما انصرفوا جمعوا له من بينهم شيئاً وردّوه الى بلاده خوفاً على نفسه من عبد الملك.

فيجبُ على الشاعر التحرّز في مثل هذه الشبه والإعراض عنها.

ومن الألفاظ التي بدّلها قارئوها ما حدثني به والدي رحمه الله تعالى قال: مدح حيدر بن محمد بن عبيد الله العلوي الحسيني يوسف بن أيوب بقصيدة، فأخذها بعض أعدائه وهي بخطه، ومن جملتها: فلا يغرر الباغي أنائك. وكشط نُقْطَتِي التاء كسْطاً خفياً لا يكاد يظهر ولا يدرك، ونقط التاء نقط الباء، وأضاف الى نُقْطَة النون أخرى فصارت الكلمة أتاك، وأتى بالقصيدة الى عز الدين مسعود أتاك، وقال له: هذا حيدر ولد وزيرك قد مدح عدوكم وقد هجك وسمك باغياً. فلما رأى ذلك لم يشك فيه ولا أمكن أن يزيله من قلبه مُعتدراً، وأخذ حيدر وأودع السجن، فما زال محبوساً حتى أشرف على التلف. هذا بتصحيح كلمة واحدة فمن مثل هذا ينبغي التحفظ.

وأما النزول في الخطاب من مرتبة شريفة الى منزلة سخيّة، فكقول أبي الطيب:

ترعرع الملك الأستاذ مُكْتَهلاً ... قبل اكتهال، أديباً قبل تأديب

لم يحسن في حكم صناعة الشعر أن يخاطبه بالأستاذ بعد الملك فإن ذلك نقص في الأدب، وقبح في المعرفة. ألا ترى أن الكلمة الدنية لا يليق أن تقترن بكلمة شريفة، وكذلك الكلمة الشريفة لا يليق أن يذكر معها إلا ما هو من قبيلها، وغير ذلك يقدح في الصناعة عند أهل المعرفة.

قد عرفك أن اللفظة الواحدة تُفسد البيت جميعه، ألا ترى قول أبي الطيب أيضاً:

ولا فضل فيها للشجاعة والتدى ... وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

لفظة التدى أفسدت المعنى؛ لأن مقصده أن يقول: إن الدنيا لا فضل فيها للشجاعة والصبر لولا الموت، لأن الشجاع إذا علم أنه مخلد لا يناله تلف ولا إذا ألقى نفسه في المهالك يمسه ضرر، لم يكن لشجاعته فضل، وإنما الفضل له في الشجاعة والصبر مع علمه أن ذلك يؤدي الى تلف النفس، وفقده نعيم الدنيا. وأما التدى



فمخالفٌ لذلك، لأنَّ الإنسانَ إذا علمَ أنَّه يموتُ هان عليه بذلُّ ماله. ألا ترى المرءَ إذا عوتبَ على الإسرافِ في البذلِّ كيفَ يتعذَّرُ ويقول: إنَّما أبذلُّ ما لا أبقي له، ولا أنا على ثقةٍ من التمتعِ به، كقول الأول:  
أَبْذُلُّ مَا لَسْتُ بِبَاقٍ لَهُ ... وَلَا بِهِ أَسْطِيعُ نَيْلَ الْبَقَا  
وقول الآخر:

نَفْسِي الَّتِي تَمْلِكُ الْأَشْيَاءَ ذَاهِبَةٌ ... فَلَسْتُ آسَى عَلَى شَيْءٍ إِذَا ذَهَبَا  
فقد بان لك أن لهظة الندى أفسدت المعنى.

وقريبٌ من هذا المعنى أنَّ الشاعرَ يصفُ نفسه بما يرفعها ثم يُعقبُ ذلك بقولٍ يحطُّ منها ويضعُها، وهو عيبٌ يُسقطُ فضيلةَ الشاعرِ ويوهنُ تقدُّمه. ولهذا قدحَ العلماءُ في امرئِ القيسِ وعابوه ولأموه في كتبهم وعابوه حيث يقول:

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَذْنِي مَعِيشَةٌ ... كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ، قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ  
ولكنما أسعى لمجدٍ مؤثِّلٍ ... وقد يدركُ الجمدُ المؤثِّلَ أمثالي

فهذا شعرٌ ملكٍ يفتخرُ بملكه ويصفُ ما يحاولُ من بهيِّ عزِّه مع جلالته شأنه وعظيمِ خطره، فكيفَ حَسُنَ به أن ينزلَ عن هذا المركبِ الجليلِ إلى محلٍّ مُستردلٍ، ويرتديَ برداءَ مُبتذلٍ فيقول:

لَنَا غَنَمٌ نُسَوِّفُهَا غَزَارًا ... كَأَنَّ قُرُونَ جَلَّتْهَا عِصِيٌّ  
فَتَمَلًّا بَيْتَنَا أَقْطَا وَسَمْنَا ... وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَبَعٍ وَرِيٌّ  
هذا شعرٌ أعرابيٌّ مُتلفعٌ بكسائه لا تتجاوزُ همته، ما حوته خيمته.

وقد هجا الخطيئةَ الزُّرْقَانَ بدون هذا حيث يقول:

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَهْتَضْ لُبُغَيْتِهَا ... وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي  
فاستعدى الزُّرْقَانُ عمرَ بنَ الخطَّابِ على الخطيئةِ فحبسه حتى تابَ وأتابَ.

وينبغي للشاعر أن يتحرَّزَ كلَّ التحرُّزِ من لفظٍ يتطيرُ به سامعُه خصوصاً إذا ابتداءً به، وافتتحَ الكلامَ بسببه. فكم من شاعرٍ قد حُرِّمَ بطريقه الإفادة، وتُرعت عنه جلايبُ السعادة. من ذلك ما رووه عن الأخطلِ لما دخلَ على عبدِ الملكِ فأنشده قصيدةً أولها:

خَفَّ الْقَطِينُ فَرَا حَوَا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا

فقال عبدُ الملكِ: بلْ مِنْكَ يَا بَنَ اللَّخْنَاءِ أَخْرَجُوهُ، فَأَخْرَجَ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ دَخَلَ عَلَيْهِ وَأَنْشَدَ:

خَفَّ الْقَطِينُ فَرَا حَوَا الْيَوْمَ أَوْ بَكَرُوا

ومرَّ في القصيدةِ إلى آخرها.

وقيل: دخلَ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ على المعتصمِ وهو جالسٌ في قصرٍ بناه بالميدانِ لم يرَ أحسنَ منه وعندَها أهلٌ بيته وأكابرُ النَّاسِ للهناءِ، فاستأذنه في إيرادِ قصيدةٍ يهنئه فيها بالموضعِ، فأذنَ له، فابتداءً وأنشد:

يَا دَارَ هِنْدٍ مَا الَّذِي عَفَاكَ ... بَعْدَ الْجَمِيعِ وَمَا الَّذِي أَبْلَاكَ

إِنْ كَانَ أَهْلُكَ وَدَعْوُكَ وَأَصْبَحُوا ... فِرْقًا وَأَصْبَحَ دَارِسًا مَعْنَاكَ

فلقد نراك ونحنُ فيك بغبطةٍ ... لو دام ما كُنَّا عليه نراك

فتطير المعتصم من قوله ونفر حتى اربد وجهه ووقع على التاس كآبة، فخرج من ذلك المجلس وما عاد إليه ولا أحد من الحاضرين. قلت هذا عجب من إسحاق، ولولا غفلة أدركته من قبل الله تعالى فرأنت على عقله حتى قال ما قاله، إنا للعظة أو التأديب، لكان له من المعرفة والفهم والتجربة بخدمة الخلفاء، والانتقاد على الشعراء، ما يزعغه عن النطق بمثل هذا كلاً بل ران على قلوبهم.

وحدث إبراهيم بن شيكلة بحديث يحن أن الألفاظ الرديئة قد تجري على اللسان، بغير حكم الإنسان، مع النهي عنها والتحذير منها، قال: دخلت على الأمين محمد والأمور عليه مختلة فقال: يا عم، هلاً جلست معنا لتتسلى بالفاظك وتحفف بها همنا، قال: فجلست وتغدينا ودعا بالشراب واستحضر جاريته ديسية وأمه بالغناء فغنت:

كَيْبُ لَعْمَرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً ... وَأَيْسَرَ جُرْماً مِنْكَ ضُرْحَ بِالدَّمِ  
فاغتاظ الأمين من قولها وقال: ما هذا؟ فقالت: يا مولاي هذا الذي كنت تقترحه علي قديماً. قال غني غيره فغنت:

هُم قَتَلُوهُ كَيْ يَكُونُوا مَكَانَهُ ... كَمَا فَعَلْتَ يَوْمًا بِكَسْرَى مَرَاذِبَهُ  
فتطير من غنائها، وأخذ العود وضرب به رأسها وقال: انهضي إلى لعنة الله. قال إبراهيم: فقلت يا سيدي إنما قصدت لعادتك من الأغاني فإن رأيت أن ترجع وسكنت غضبه، فأمر بروجعها وجيء بعود فغنت:

أرى الأثل من وادي العميق مجاوري ... ففيم وقد غالت يزيد غوائله  
فأمر بسحبها، فسحبت وأخرجت وأقسم أنه لا يسمع يومه غناء ولا يشرب شراباً. فما مضت إلا ثلاثة أيام حتى اجتزأ رأسه وضرح بدماه.

ودخل أبو مقاتل على الداعي في يوم المهرجان وابتدأ في الهناء به فقال:

لا تَقُلْ بُشْرَى وَلَكِنْ بُشْرِيَانِ ... غُرَّةُ الدَّاعِي وَيَوْمُ المَهْرَجَانِ  
فلما قال لا تَقُلْ بُشْرَى نهض من مجلسه متطيراً وقطع الإنشاد مبدلاً لمجلسه مغيراً.

ودخل أبو نواس على الفضل بن يحيى البرمكي وأنشده:

أرْبَعُ البِلَى إِنْ الخُشُوعَ لِبَادٍ ... عَلَيْكَ وَإِنِّي لَمْ أَخْثِكَ وَدَادِي  
فانزعج الفضل متطيراً بذلك وعاد يكرّر يحو الله ما يشاء، فلما انتهى الى قوله:

سلامٌ على الدنيا إذا ما قُفِدْتُمْ ... بِنِي بَرْمَكٍ مِنْ حَاضِرِينَ وَبَادٍ  
استحكم تطيره ونهض فدخل دار الحرم ولم يبق أحد في مجلسه إلا واستقبح ذلك من اختيار أبي نواس.

ودخل أبو عبادة البحتري على أبي سعيد الثغري فأنشده:

لَكَ الوَيْلُ مِنْ لَيْلِ بَطَاءٍ أَوْ أُخْرُهُ  
فقال أبو سعيد: بل الويل والحرب لك لا أم لك. والله العجب كيف فات البحتري ذلك، واستحسن أن يقابل ممدوحاً ويفتح كلامه له بقوله لك الويل، وما الذي أعجبه من هذا الافتتاح لولا غفلة أدركته؟! وقيل: لما أنشد أبو الطيب عضد الدولة قصيده الذي أوله:

أَوْهُ بَدِيلٌ مِنْ قَوْلِي وَأَهَا

قال له عضدُ الدولة: أوّه وكيّه، ويلك ما هذا الكلام.  
وإنما ينبّه على مساوئ الشاعر المتقدم ليتجنب المتأخّر ما أخذ عليه وأخطأ فيه. وليس الغرض بذلك الغضّ  
من نُبله، ولا الاستنقاصَ بفضله.

والشاعرُ إذا أوقع الكلامَ موقّعه، ووضع المعانيَ مواضعها اكتسى شعره البهَاءَ، وكسبه حُسْنُ تأتّيه الشاءَ.  
وإذا أجادَ في نظمه، وأساءَ في تأتّيه وقلةِ حزمه، غطّت الإساءةُ على الإحسان، واستحقَّ بعد الإكرامِ محلّ  
الهوانِ.

ومن غلطات الشعراءِ أنَّ أبا التّجَمِ العِجَلِيَّ دخلَ على هشامِ بنِ عبدِ الملك، وكان أحولَ فأنشدَهُ أَرْجوزَتَهُ  
اللاميةَ التي يقولُ في أولها:  
الحمدُ لله الوهوبِ المُجَزَلِ  
حتى بلغ قوله:

والشمسُ قد صارتَ كعينِ الأحولِ  
غضب هشام وأمرَ به فضربَ وسجِن.  
ووفدَ عبدُ الله بنُ عمرَ العَبَلِيَّ على هشامٍ أيضاً ومدحه، فأجازَهُ بمنّي دينارٍ، ثمَّ خرجَ من عنده فمرَّ بالوليدِ  
بن يزيد وهو وليُّ عهدِ هشام فقال له:  
يا بنَ الخليفةِ للخلي ... فةِ والخليفةُ عن قليل  
فبلغ قوله هشاماً فغضبَ وأرسلَ خلفه، فردَّ من الطريق فلما حضرَ قال له: ويلك! مدحتني في كلمتك التي  
أولها:

لَيْلِي من كَنودَ بالعُورِ عُودي ... بصفاءِ الهوى من أمِّ أسيدِ  
وقلتَ فيها لي:  
ووقاكِ التوفَ من وارثِ وا ... ل وأبقاكِ صالحاً رَبُّ هودِ  
ثمَّ مررتَ بالوليدِ فَنَعَيْتَنِي إليه! قبحك الله، وأمرَ به فضربَ منّي سوطِ مكانِ كلِّ دينارٍ سوطاً. ثمَّ أقامَ عبدُ الله  
العَبَلِيَّ حتى هلكَ هشامٌ وقُتِلَ الوليدُ وقامَ مروانُ بنُ محمدٍ فمدحه ومدحَ وليَّ عهدِهِ عبدَ الله وعبيدَ الله  
فقال:

لا حُرماها ولا بما خَلصا ... حتى يكونَ البدا بكِ الهَرَمُ  
فضحكِ مروانُ وقال: يا عبدَ الله لقد أدبكَ أبو الوليد، يعني هشاماً. ولمح ذلك بعضُ المُحدِثين فقال:  
ووليُّ عهدِكَ لا يزالُ أميراً

ومن بوادِر اللسانِ التي يجبُ تجنُّبها على كلِّ شاعرٍ بل كلِّ إنسانٍ، ما اعتمدهُ الأخطلُ مع الجحّافِ بن  
حكيمِ السُّلمي؛ فقيل إنَّ الأخطلَ دخلَ على عبدِ الملكِ بنِ مروانَ والجحّافُ عنده وكان قد اعتزلَ حربَ  
بني تغلب، فلما رآه الأخطلُ أنشدَ محرّضاً للجحّافِ أو مستهزئاً به:

ألا سائلِ الجحّافِ هل هوَ ثائرٌ ... بقَتلى أُصيّتَ من سُلَيْمٍ وعامرِ  
فقبضَ الجحّافُ على لحيته وقال:

نعم سوف نبيكهم بكل مهند ... وننعي عميراً بالرماح الشواجر  
يعني عمير بن الحباب السلمي. ثم قال: ما ظننت يا بن النصرانية أنك تجرئ عليّ ولو رأيتني مأسوراً،  
وأوعده وتهدده وخرج يجر مطرفه غضباً، فقال عبد الملك للأخطل: ما أراك إلا قد جررت على قومك  
شراً، فما فارق الأخطل موضعه حتى حمّ، فقال له عبد الملك: أنا جارك منه، فقال: إن أجرتني وأنا يقظان  
فمن يجيرني وأنا نائم؟ فضحك عبد الملك منه. ومن هذا أخذ السلمي قوله:  
وعلى عدوك يا بن عم محمد ... رصداً: ضوء الصبح والإظلام  
فإذا تبه رعته، وإذا هدا ... سلّت عليه سيوفك الأحلام  
وخرج الجحاف الى قومه وقال لهم: إن عبد الملك قد ولّاني بلاد بني تغلب. وزور كتاباً، وحشا جرباً تراباً،  
وزعم أنه مال، ورحل بهم متأهين فلما أشرف على بلاد بني تغلب خبرهم بحقيقة الأمر وأنشدهم بيت  
الأخطل وقال: إنما غضبت لكم فاثأروا بقومكم. فشدوا على بني تغلب بالبشر لئلاً وهم غارون غافلون  
آمنون، فقتل منهم مقتلة عظيمة وهرب الأخطل من ليلته مستغيثاً بعبد الملك فلما دخل عليه أنشده:  
لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة ... الى الله منها المشتكى والمعول  
فإلا تغيرها فريش بملكها ... يكن عن فريش مستمرًا ومزحل  
فقال له عبد الملك: الى أين يا بن اللخناء؟ فقال: الى النار يا أمير المؤمنين، فقال: والله لو قلت غيرها قطع  
لسانك. ثم إن الجحاف لقي الأخطل بعد ذلك فقال:  
أبا مالك هل لمتني إذا حضضتني ... على القتل أم هل لامي لك لائم  
فهذا ما استجلبه الأخطل على قومه وحناء عليهم بكلمة ما كان أغناه عنها وأقدره على تركها. ومن كان  
عنده من القوة أن يحرض بما حرّض به ما كان يليق أن يكون عنده من الحور ما يوجب قوله: لقد أوقع  
الجحاف ... البيت.  
ولما أنشد جرير عبد الملك قوله:  
أتصحو أم فؤادك غير صاح  
قال له: بل فؤادك يا بن اللخناء. فلما بلغ قوله:  
تشكت أم حرزة ثم قالت ... رأيت الموردين ذوي لقاح  
قال له: لا أروى الله عيمنتها ثم أخرجته خائباً، وكان سببه ما بدأ به.  
وينبغي للشاعر ألا يسيء أدبه في خطاب المدوح ويتجنب ما تسبق إليه الظنة في مثل قول أبي نواس:  
سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد ... هواها لعل الفضل يجمع بيننا  
فقال له الفضل: وياك أما وجدت غيري يجمع بينكما؟ فقال: يا مولاي إنما و جمع تفصل لا جمع توصل.  
ولعمري إن له وجهاً يعلل به، ولقد كان عن التهمة فيه غنياً. وتبعه فيه أبو الطيب فجعل مكان الجمع  
الشفاعة. والجمع قد يكون بصلات المدوح، والشفاعة فلا تؤول بذلك، ففسد عليه المعنى بلفظة الشفاعة.  
ومدح جرير بشر بن مروان بقصيدة منها:  
يا بشر حق لوجهك التبشير ... هلاً غضبت لنا وأنت أمير

قد كان حَقُّكَ أَنْ تقولَ لبارقٍ ... يا آلَ بارِقٍ فيمَ سُبِّ جريئِ؟  
فقال له بشرٌ: قَبِحَكَ اللهُ يا بنَ المِراغَةِ، أما وجدتَ رسولاً غيري؟! وقد أخذَ بلالٌ على ذي الرُّمَّةِ كلمةً هي  
دونَ هذا المأخِذِ لما أنشدَه:

سَمِعْتُ: الناسُ يَتَجَمَّعونَ غَيْثاً ... فقلتُ لصَيِّدِحَ: اتَّجَمِّعِ بلالا

تُنَاحِي عندَ خَيْرِ فتي يمانٍ ... إذا النكبَاءُ ناوَحَتِ الشَّمالاً

صَيِّدِحُ اسمُ نَاقِبَتِهِ. فقال بلالٌ: يا غلامُ مُرُّ لَهَا بالقتِّ والتَّوى يريدُ أنْ ذا الرُّمَّةُ لا يُحسِنُ المدحَ. وأقولُ: إنَّه  
لم يَنصِفْ ذا الرُّمَّةِ في ذلك؛ لأنَّ الكلامَ يُحتمَلُ أنَّه أرادَ: فقلتُ لصاحبِ صَيِّدِحَ، ويريدُ نفسَه، كما قال  
الحارثي:

وقفتُ على الديارِ فكلَّمَتَنِي ... فما ملكتُ مدامِعِها القَلوصُ

يريدُ صاحبَ القَلوصِ وعنى نفسَه قال اللهُ تعالى: (واسألِ القَريَةَ) أي أهلَ القَريَةِ. وإذا كان هذا التَّأويلُ  
ممكناً فلا تُقصَ على ذي الرُّمَّةِ يانكارِ بلالٍ.

ولقائلٌ أنْ يقولَ: فهلاًّ اعتذرَ ذو الرُّمَّةِ عن نفسِه وقد قابله بلالٌ برَدِّه؟ والجوابُ عن ذلك أنَّ الحاكِي لم  
يقُلْ: إنَّ ذا الرُّمَّةَ ما اعتذرَ عن نفسِه ولا منعَ من ذلك، وإنَّما كان قصيدُهُ حكايةً قولِ بلالٍ. ويجوزُ أنْ  
يكونَ ذو الرُّمَّةِ قد اعتذرَ إلى بلالٍ بذلك أو بغيرِه وافلجَ بَحْجَتِهِ. ويمكنُ أنْه لم يفهمَ مقصدَ بلالٍ بالقتِّ  
والتَّوى حتى يُجيبَ عنه، لأنَّه بدويٌّ لا يعرفُ لحنَ كلامِ الحضريينَ. والمقصودُ أنْه لم يكنْ جاهلاً بمقدارِ ما  
ذكرناه، ولا هو ببعيدٍ عنه. وأما قولُه: سمعتُ الناسَ يرفعُ سِينِ الناسِ فإنَّه رُفِعَ على الحكايةِ، أي سمعتُ قائلاً  
يقولُ: الناسُ يَتَجَمَّعونَ، كما قال الآخرُ:

وجَدنا في كتابِ تميمٍ ... أحقُّ الخيلِ بالركضِ المَعارُ

أحقُّ مُبتدأُ والمَعارُ خبرُه، بعينٍ غيرِ مُعجَمَةٍ، وهو أنَّ الفرسَ ينفلتُ فيذهبُ يميناً وشمالاً من مرجه وأرَنَه،  
يقالُ: عارَ الفارسُ وأعارَهُ صاحِبُه فهو مُعارٌ. والناسُ يظنونُ المَعارَ من العاريةِ وهو خطأ.

ورواه بعضُ أهلِ الأدبِ بخطِ أبي عليٍّ الفارسي: المَعارُ بعينٍ مُعجَمَةٍ، وهو من أغرَّت الحبلَ فثلثتُه فهو مُعارٌ.  
يعني أنَّ الفرسَ إذا ضمَرَ واندمَجَ في شحمِه وذهبتِ البِطنَةُ عنه كان حقيقاً بالمسابقةِ به. وما رأيتُ العلماءَ  
باللغةِ اعتمدوا على هذا المعنى، والصحيحُ ما روَّوه أولاً.

ومَّا ينبغي أنْ يتجنَّبَه الشاعرُ من سوءِ الأدبِ في خطابه، ويعطفُ عليه جيِّدَ البَحْثِ والتنقيبِ حتى يهتديَ إلى  
صوبِ صوابِه ما غلطَ فيه الشعراءُ وعابَهُ عليهم العلماءُ، كقولِ بعضهم وقد مدحَ زُبَيْدَةَ وهي تسمعُ من  
أبيات:

أزُبَيْدَةَ ابنةَ جعفرٍ ... طوبى لزارِكِ المِثابِ

تُعطينَ من رَجَلَيْكَ ما ... تُعطي الأكَفَّ من الرِّغابِ

فهمُ الخدمِ والحشمُ بضرِبِه، فقالتُ: دَعُوهُ فإنَّه لم يُردْ إلا خيراً، ولكنه أخطأ الصَّوابَ، وضلَّ عن المنهجِ، لأنَّه  
سمعَ قولَهم في الشعرِ: شمألكَ أُنْدَى من يمينِ غيرِكِ، وظهركَ أحسنُ من وجهِ سواك، فظنَّ أن الذي ذهبَ إليه  
من ذلك القبيلِ، أعطوه ما أمَلَّ ونهوه على ما أهمل. فعجبَ الناسُ من جلمها وضيائها حسَّها وفهمها،

وليس كلُّ ممدوحٍ حليماً، ولا كلُّ سامعٍ عليماً. وقريبٌ من هذا ما رثى به أبو الطيّب والدة سيف الدولة بقوله:

رواقُ العزِّ فوقك مُسبِّطٌ ... ومُلكُ عليِّ ابنك في كمالِ  
ولولا غفلةٌ ذهبتْ بعقلِ أبي الطيّب ورائتْ على حسِّه وفهمه لما خاطبَ ملكاً في أمه بذلك ولا جعلَ شيئاً  
مُسبِّطاً فوقها. وهذا كقوله أيضاً:

لو استطعتُ ركبتُ الناسَ كلَّهمُ ... الى سعيدِ بنِ عبدِ الله بُعُرانا  
أو ما علمَ أبو الطيب أن زوجة سعيدٍ وأمه من جُملةِ الناسِ، فكيفَ ذهبَ عنه ذلك حتى اعتمده، وشافه  
المددوح به وأنشده؟! والله درّ المتوكّل الليثي حيث يقول:  
الشَّعْرُ لُبُّ المرءِ يعرضُه ... والقولُ مثلُ مواقعِ التَّئُّلِ  
منها المُقَصِّرُ عن رَمِيتهِ ... ونواقِرٌ يذُهِّبُ بالخِصْلِ  
أخذ ذلك من قولهم: الشُّرُّ كالتَّئُّلِ في جفرك إذا رميتَ به الغرضَ. فمنهُ طالعٌ وواقعٌ، وعاضدٌ وقاصرٌ.  
فالطالعُ الذي يعلو الغرضَ، لم يَزغُ عنه يميناً ولا شمالاً وهو مستحبٌ. والواقعُ الذي يقعُ بالغرضِ. والعاضدُ  
الذي يقعُ عن يمين الغرضِ أو شماله، وهو شرُّها. والقاصرُ الذي يقصُرُ دونَ الغرضِ فلا يبلغه. وقوله: ونواقِرٌ  
يذهبنَ بالخِصْلِ، أي صواب، يُقال: نقرَ السَّهْمُ فهو ناقِرٌ إذا أصاب، والنواقِرُ: الدواهي.

وينبغي للشاعر أن يجتنب التناقضَ في شعره، فإنّه من أوْفَى عيوبِ الشِّرِّ الدالّةِ على جهله بالمعاني ووضع  
الكلام مواضعه. وقد عيبَ على جماعةٍ من الشعراء القدماء ذلك، وهو أن الشاعرَ يبتدئُ بشيءٍ ويقرره ثم  
يعطفُ عليه، إمّا في باقي البيتِ أو في الذي يليه، فينقضُ ما بناه، ويأتي بما يخالفُ معناه فمن ذلك ما ناقضَ  
فيه على سبيل المضافِ عبدُ الرحمن القسُّ حيث يقول:

وإني إذا ما الموتُ حلَّ بنفسها ... يُزالُ بنفسي قبلَ ذاكِ فأقيرُ  
جمع بين قبلُ وبعُدُ وهما من المضافِ، لأنه لا قبلَ إلا لبعُدٍ ولا بعدُ إلا لقبَلِ. فإنَّ قوله: إذا حلَّ الموتُ بها، وفي  
هذا الكلام معنى الشرط وقد وضعه ليكون له جواباً يأتي به، وجوابه: يُزالُ بنفسي قبلَ ذاكِ، وهذا تناقضٌ  
مثاله قولُ القتال: إذا ماتَ زيدٌ ماتَ عمروٌ قبله، فجعلَ ما هو قبلُ بعداً وهذا معنى يغلطُ فيه خلقٌ كثيرٌ ولا  
يُحقِّقونه.

ومثله في التناقضِ على سبيل الإيجابِ والسلبِ قوله أيضاً:  
أرى هجرها والقتلَ مثليينَ فأقصروا ... ملامكمُ فالقتلُ أعفى وأيسرُ  
فأوجبَ أنَّ الهجرَ والقتلَ مثلانِ، ثم سلبهما ذلك بقوله: إنَّ القتلَ أعفى وأيسرُ، فكأته قال: إنَّ القتلَ مثلُ  
الهجرِ وليس هو مثله. ومن ذلك قولُ ابنِ نوفل:

لأعلاجِ ثمانيةٍ وشيخٍ ... كبيرِ السنِّ ذي بصرٍ ضريبٍ  
ضريب: فعيل من الضربِ، ولا يُستعملُ في الأكثرِ إلا لمن لا بصرَ له؛ فكأته يقول: إنَّ له بصرًا ولا بصرَ له؛  
فهو بصيرٌ أعمى، وهذا تناقضٌ ظاهرٌ. وقال مسلمُ بنُ الوليد:

عاصيَ الشبابِ فراحَ غيرَ مفنِّدٍ ... وأقامَ بينَ عزيمةٍ وتجلُّدٍ

قال له الحكمي: كيف يكون الإنسان رائحاً مُقيماً، والروائح لا يكون إلا بانتقال من مكان إلى مكان، ثم قلت وأقام بين عزيمة وتجلد، فجعلته مُنتقلاً مُقيماً. وهذا تناقض وله عندي حجة ليس هذا موضع ذكرها. وقال محمود بن مروان ابن أبي الجنوب:

لي حيلة فيمن ين ... ثم وليس في الكذاب حيلة  
من كان يخلق ما يري ... دُ فحيلتي فيه قليلة

ناقض لأنه قال: وليس في الكذاب حيلة، ثم قال: فحيلتي فيه قليلة. وهذا ظاهر بين. وينبغي للشاعر أن يتجنب التلبيح، وهو أن يجيء بالأسماء ناقصة لإقامة الوزن، كقول علقمة بن عبدة الفحل:

كأن إبريقهم ظبي على شرف ... مُقدم بسبا الكتان ملتوم  
أراد بسائب الكتان فحذف. وكقول لبيد:

درس المنا بمناج فآبان

أراد المنازل فحذف. وقال إسحاق بن خلف البصري:

ولبس العجاجة والخافقات ... تريك المنا برؤوس الأسل

أراد المنايا فحذف. وقال الآخر: وهذا يُسمى التغيير؛ وهو إحالة الاسم عن صورته:

ونسج سليم كل قضاء ذائل

أراد: ونسج سليمان، فحذف النون. وقال الآخر:

من نسج داود أبي سلام

فجعل سليمان سلاماً وهو تغيير قبيح.

وينبغي للشاعر أن يتجنب التذنب وهو ضد التلبيح، وذلك أن يأتي بألفاظ تُقصر عن إقامة الوزن فيزيدها

حروفاً ليفتم عروض البيت كقول الشاعر:

لا كعبد المليك أو كيزيد ... أو سليمان بعد أو كهشام

أراد أن يقول: كعبد الملك، يعني ابن مروان، فجعله كعبد المليك لإقامة الوزن. والمليك والمملك اسمان لله

تعالى، وليس إذا سمي إنساناً بالتعبد لأحدهما وجب أن يدعى بالآخر كما أن من سمي بعبد الرحمن لا يجب

أن يدعى بعبد الرحيم.

وينبغي للشاعر أن يتجنب الإخلال، وهو أن يترك من اللفظ ما يتم به المعنى، كقول عبيد الله بن عبد الله

بن عتبة بن مسعود:

أعاذل عاجل ما أشتهي ... أحب من الأكثر الرائي

أراد أن يقول: عاجل ما أشتهي مع القلة أحب إلي من الأكثر المبطل، فترك مع القلة وبه يتم المعنى. وقال

عروة بن الورد:

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ... ومقتلهم يوم الوغى كان أعذرا

أراد: عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم في السلم ومقتلهم يوم الوغى أعذر، فترك في السلم وبه يتم المعنى.

وينبغي للشاعر أن يتجنب الزيادة كما يجب أن يتجنب الإخلال وهو أن يأتي في الكلام بما لا حاجة له إليه  
يفسد ما قصده من المعنى بتلك الزيادة كما قال الشاعر:  
فَمَا نُطْفَةٌ مِنْ مَاءٍ مُهْضٍ عَذِيَّةٌ ... تَمْتَعُ مِنْ أَيْدِي الرُّقَاةِ يَوْمُهَا  
بَأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا لَوْ أَنَّكَ ذُقْتَهُ ... إِذَا لَيْلَةٌ أَسْجَتَ وَغَارَتْ نَجْمُهَا  
قوله: لو أنك ذقتَه، زيادة أفسدَ بها المعنى، لأنه أوهم أنك إذا لم تذقه لم يكن طيباً. ولو قال: بأطيب من فيها  
وإي لصادق، لكان أوكد في الإخبار وأصح في الانتقاد.

وينبغي للشاعر أن يتجنب فساد التفسير وهو أن يقرر معنى ثم يحاول تفسير ما قرره، فلا يأتي بما يطابق ما  
قدمه فيفسد تفسيره ويُغَيِّرَ تقريره، كما قال الشاعر:  
فِيهَا الْحَيْرَانُ فِي ظَلَمِ الدُّجَى ... وَمَنْ خَافَ أَنْ يَلْقَاهُ بَغْيٍ مِنَ الْعِدَى  
تَعَالَ إِلَيْهِ تَلَقُّ مِنْ نَوْرِ وَجْهِهِ ... ضِيَاءٌ وَمَنْ كَفَّيْهِ بَحْرًا مِنَ النَّدى  
لما قابل الظلم في البيت الأول بالضياء في البيت الثاني كان مُصَيِّباً مُجيداً، ووجب عليه أن يقابل الخوف من  
بغى العدى بالانتصار عليهم والإزالة لهم، فترك ذلك وفسره بغيره فقرر فقال: ومن كفيهِ بحراً من الندى.  
وكان ينبغي أن يكون ذلك في جواب الشكوى من الفقر. ولو قال: ومن كفيهِ نصراً مؤيداً أو ما يقارب  
هذا، كان مُصَيِّباً، فأعرفه وقسه.

وينبغي للشاعر أن يتجنب تكلف القوافي واستدعاءها مع إبانها وامتناعها، فإنه يشغل معنى البيت بقافية قد  
أتى بها متكلفة صعبة، فهو عيب قد نص العلماء عليه؛ ألا ترى الى قول أبي تمام:  
كَالطَّبِيَّةِ الْأَدْمَاءِ صَافَتْ فَارْتَعَتْ ... زَهْرَ الْعَرَارِ الْغَضِّ وَالْجَنَاحَاتِ  
فبنى البيت جميعه لطلب هذه القافية، وشغل المعنى بها، وليس في وصف الطيبة بأنها ترعى الجنجاث زيادة  
حُسنٍ على رغيها القيصوم والشيخ.  
وتبع أبو الطيب أبا تمام في ذلك فقال:

جَدَلًا كَمَا بِي فَلَيْكُ التَّبْرِيحُ ... أَغْدَاءُ ذَا الرِّشَاءِ الْأَغْنُ الشَّيْخُ  
هذا بيت فيه عدة عيوب: منها حذف النون في فليكن وقد تقدم ذكره، ومنها حذف النون مع الإدغام،  
ومنه عباغدا ما بين الجملة الصدرية منه والجملة العجزية حتى لا ملاءمة بينهما؛ لأنه بدأ بذكر تباريحه  
وأشجانه، ثم ترك ذلك وعدل الى السؤال عن غداء الرشاء، وما تقدم من شكوى تباريحه لا يليق بالسؤال  
عن غداء الرشاء. ولو قال إن الذي أشكوه من التباريح في حُبِّ رشاء ليس من مراعيه الشيخ لجاز، ولكنه  
كما ترى. وبعد فليت شعري! هل هذا الرشاء الأغن الذي أراد في النية أنه يُشْبِهُ حَبِيْبَهُ إِذَا ارْتَعَى الْقَيْصُومَ  
والبرير والكبات وغير ذلك من مراعي الأطباء، يزول عنه الشبه لحبيبه لاختلاف مراعيه التي يغتذى بها؟ فإن  
كان الأمر كذلك فحسنته وشبهه في الشيخ لا غير، ولولا تكلف القافية لما دعت الضرورة الى تعسف أفسد  
المعنى به. وقد استوفينا في الرسالة العلوية أقسام ما في هذا البيت. وقال عبد الله العجلي:

ووقاك الحنوف من وارثٍ وا ... ل وأبقاك صالحاً ربُّ هودٍ  
لولا القافية لأمكن أن يقول: ربُّ نوحٍ أو ربُّ لوطٍ، إذ ليس النسبة الى الله تعالى بأنه ربُّ هودٍ بأجود من



النسبة إليه تعالى أنه ربُّ إبراهيم وإسماعيل. ولكنَّ القافية إلى ذلك ساقته، ومن غُصصِ الاضطرابِ سقته. وقد يجيء من القوافي ما يكون رُقى العقارب أحلى منه. فمن ذلك قولُ أحمد بن جحدرِ الخراساني: وما شبرقت من توفية ... بها من وحى الجنِّ زيزيرم  
وقال محمد التيمي:

أحطت وجه الحق في التطخطح ... لتمطحن برشاء ممطح  
وقال ابن مناذر:

ومن عادك لاقى المرمريسا

وقال أبو تمام:

ورموه بالصيلم الخنفيق

لو أن الخنفيق في بحر لكدرتة.

وقد يجيء من القوافي ما يقع موقعاً لو اجتهد الشاعر أن يسدَّ غيره مسدَّة لأعياء ذلك وعناهُ، وتعذَّر عليه نقص ما أسسه فيه وبناه. وعلى مثله يجب أن يقبَّ الشاعر. فمن ذلك قولُ عروة بن أذينة الليثي:

منعت تحيتها فقلت لصاحبي ... ما كان أكثرها لنا وأقلها

فدنا وقال: لعلها معذورة ... في بعض ما منعت فقلت: لعلها

فقوله في القافية لعلها لا يقع موقعه شيء مثلها. وقال أبو نواس:

أنت تبقى والفناء لنا ... فإذا أفئتنا فكُن

قوله فكُن لا يقع في حرف النون قافية موقعها.

وقالت عليَّة ابنة المهدي:

ومعترِب بالمرج يبكي بشجوه ... وقد بان عنه المسعدون على الحب

إذا ما أتاه الركب من نحو أرضه ... تنسم يستشفي برائحة القرب

كان للركب من هذا المكان موضع حسن ولكنها رأت القرب أحق به؛ لأن الركب لولا القرب لم يستشف

برائحته، فإذا أمكن استعمال الأصل لم يبق للفرع النائب عنه موضع وإن سدَّ مسدداً حسناً. وقال ابن المعتز

يصفُ اليمام:

حتى عرفن البرج بالآيات ... يلوح للناظر من هيهات

هيهات في هذا الموضع قافية لا يقع غيرها موقعها فهي عالية على من رامها، غالية على استنامها. ولابن المعتز

في وصف فرسين تباريا في السرعة يقول:

وكم قد غدوت على سايح ... جواد المحنة وثابها

تباريه جرداء خيفانة ... إذا كاد يسبق كدنا بها

وقال المعتمد محمد بن عباد المغربي وكتب بها إلى أبيه:

مولاي أشكو إليك داء ... أصبح قلبي به قريحا

سخطك قد زادني سقاماً ... فأبعث إلي الرضا مسيحا

فقوله مسيحاً من القوافي التي لا يسدّ غيرها مسدّها. ومن ذلك قول مهيار:  
وقالوا: يكون البين والمرء رابطاً ... حشاه بفضل الحرم؟ قلت: يكون  
وقال الصنوبري:

وأفت منيته الستين وأسفا ... إذ لم يكن عمره ستين ستينا  
وقال آخر:

عهدي بظلك والشباب نزيله ... أيام ربك للحسان عكاظ  
القافية ظائية لا يسدّ موضعها غير عكاظ، وهو اسم سوق للعرب بناحية مكة كانوا يجتمعون بها كل سنة.  
وأمثال ذلك في الشعر القديم والحديث كثير.

وينبغي للشاعر ألا يخالف الشعراء المتقدمين في عوائدهم إذا شبهوا، ومقاصدهم إذا أيقظوا ونهوا، فإن  
ذلك لما يعاب به، ويُعدّ من ذنوبه. ألا ترى العلماء كيف عابوا على المرار قوله:

وخال على خديك يبدو كأنه ... سنا البدر في دغجاء بادٍ دجونها  
والمعلوم أنّ الخال أسود، والحدّ أبيض، فمكس المرار وجعل الخال كسنا البدر نوراً، والحدّ كالليل سواداً،  
وهذا غير ما جرت به عادة الشعراء في وصف الخال. والمعروف كقول العباس بن الأحنف:

يقطع قلبي حُسنُ خالٍ بجَدّها ... إذا سَفَرَتْ عنه تَنَعَّم بالسَّحَر  
لخالٍ بذاك الحدّ أحسنُ منظرًا ... من التُّكْتة السوداء في وضح البدر  
وكقول عبد الملك الحارثي في وصفه:

كأنّ نَقْطَةً بِمِسْكِ ... لائِحَةً فِي بِياضِ عَاجٍ  
وكقول الصنوبري:

والخال في الحدّ إذ أشبهه ... زهرة مسكٍ على ثأى تير  
وكقول الآخر:

كأنه من سبجٍ فاحمٍ ... مركّبٍ في لؤلؤ رطبٍ  
ومثل هذا المعنى في الشعر كثير. ولما أتى المرار بما حرق فيه الإجماع وخالف العيان والسَّماع، عدّه أهل  
الأدب عيباً عليه وخطأ منه.

ومَن خالف عوائد الشعراء في مقاصدهم الحكم الخُضري بقوله:  
كانت بنو غالب لأمتها ... كالغيث في كل ساعة يكف

وليس المعهود من الغيث أن يكف في كل ساعة، ولا وصف الشعراء الغيث بالوكف في كل ساعة ولا كل  
شهر، وإنما شبهوا المدوح بالغيث لعموم إفضاله، وأنه لا يشحُّ بنواله، كما يعمّ الغيث بتغطاله، ولا ينحلُّ  
بريق سلساله. ومعانيهم في هذا كثيرة.

ومَن خالف عوائد الشعراء في تشبيحاتهم أحمد بن أبي فنن حيث يقول:  
لا تميلن فإني ... خائف أن يتقصّف

وإنما يشبه المحبوب بالقصيب اللدن والحوط الرطب، ولا يوصف بأنه يتقصّف. وابن أبي فنن تبع في قوله

قيسَ بنَ الخطيمِ. وقد سبقَ القولُ أن الشاعرَ ينبغي أن يقتديَ بمن أحسنَ من الشعراءِ وأجاد، لا بمن أساءَ وخالفَ القانونَ المعتادَ. قال ابنُ الخطيمِ:

كأنها عودٌ بانهٍ قَصِفُ

وقال ابنُ الرومي في ذمِّ ابنِ أبي فنن على قوله يتقصّف:

أيها القائلُ إني ... خائفٌ أن يتقصّف

ليسَ هذا الوصفُ إلا ... وصفَ مصلوبٍ مُجفّف

وقال أبو نواس في مثل قوله:

عُلامٌ فوقَ ما أصِفُ ... كأنّ قوامه أَلِفُ

إذا ما مالَ يرعُبني ... أخافُ عليه يتقصّف

ولما قال أبو الطيّب:

دون التّعائِقِ ناحِلينَ كشكَلتِي ... نصبَ أدقَّهُما وضَمَّ الشّاكِلُ

عيبَ ذلكَ عليه لأنه خالفَ مذهبَ الشعراءِ فيه وجعلَ نفسَهُ ومحبوبَهُ في التحوّلِ سِواءً، والعادةُ أن يوصفَ

العاشِقُ بالتحولِ دونَ المعشوقِ، كقولِ ديكِ الجنِّ:

كِلاتنا عُصْنُ شَطْبُ ... فذا بالِ وذا رَطْبُ

إذا ما هبَّتِ الرِّيحُ ... ومالَ المرطُ والإثْبُ

أبانتَ منه ما طابَ ... ومني ما برى الحُبُّ

وأما تشبيهُ نفسه وحببيهِ بشكَلتِي نصبٍ ولا بُدَّ من خللٍ وافتراقٍ بينهما، وعادةُ الشعراءِ في شِلَّةِ الالتزامِ وتضائِقِ العناقِ غيرُ ذلك، كما قال ابنُ الجهمِ وابنُ المعتزِّ وغيرُهُما، وقد استوفينا الكلامَ والإنشادَ عليه في الرسالةِ العلويّةِ، وبلغنا فيه الغايةَ. ونصبَ ناحِلينَ على الحالِ كأنه قال: كمّ وقفةٍ وقفنا دونَ التّعائِقِ ناحِلينَ. وينبغي للشاعرِ أن يُحسنَ الاستعارةَ ويتجنّبَ فيها المآخذَ التي أنكرتَ على سِواه، فالسعيدُ مَنْ وعظَ بغيرِهِ، فمن ذلكَ قولُ أبي نواس:

لما بدا ثعلبُ الصّدودِ لنا ... أرسلتُ كلبَ الوصالِ في طلبِهِ

وقال أبو العذافرِ العمّي:

باضَ الهوى في فؤادي ... وفرّخَ التذكارُ

وقال الآخر:

ضرامُ الحبِّ عتَشَ في فؤادي ... وحصنَ فوقه طيرُ البعادِ

وأبَدَ للهوى في دنِّ قلبي ... فعربدتِ الهومُ على فؤادي

هذه استعاراتٌ كمن لبسَ ثيابَ حدادٍ في عرسٍ. وقال أبو تمام:

لا تسقني ماءَ الملامِ فإني ... صبُّ قد استعدبتُ ماءَ بُكائي

ماءَ الملامِ من الاستعاراتِ القبيحةِ. وقال أيضاً:

لم تُسَقِّ بعدَ الهوى ماءً على ظمأٍ ... كماءٍ كافيةٍ يسقيكهُ فهِمُ

وقال أيضاً:

فَضْرَبْتَ الزَّمَانَ فِي أَخْدَعِيهِ ... ضَرْبَةً غَادِرَتْهُ عَوْدًا رَكُوبًا  
ولأبي الطَّيِّبِ فِي هَذَا الْبَابِ أَشْعَارٌ تُعَدُّ مِنَ الْعَجَبِ الْعُجَابِ، مِنْهَا قَوْلُهُ:  
مَسْرَّةٌ فِي قُلُوبِ الطَّيِّبِ مَفْرُقُهَا ... وَحَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ  
جَعَلَ لِلطَّيِّبِ وَالْبَيْضِ وَالْيَلْبِ قُلُوبًا تُسْرُ وتَحْسُرُ. وَقَوْلُهُ:  
وَقَدْ ذُقْتُ حُلُوءَ الْبَيْنِ عَلَى الصَّبَا ... فَلَا تُحْسِبَنِي قَلْتُ مَا قَلْتُ عَنْ جَهْلٍ  
وَقَوْلُهُ:

فَكَأَنَّهُ حَسِبَ الْأَسِنَّةَ حُلُوءَةً ... أَوْ ظَنَّهَا الْبِرِّيَّ وَالْآزَادَا  
وَقَوْلُهُ:

تَسْتَعْرِقُ الْكَفَّ فُوذِيهِ وَمَنْكِبَهُ ... فَتَكْتَسِي مِنْهُ رِيحَ الْجُورِبِ الْعَرِقِ  
وَقَوْلُهُ:

خَلُوقِيَّةٌ فِي خَلُوقِيهَا ... سُوَيْدَاءٌ مِنْ عِنَبِ النَّعْلَبِ  
وَلَهُ مِنْ هَذَا أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ.

وقريبٌ من هذه الأشعار حكايةٌ أخبرني بها عبدُ الرحمن الدَّقَاقُ بقراءتي عليه في سنة ثلاثٍ عشرةٍ وستمائةٍ  
قال: أنبأني ابنُ خيرون عن الجوهري عن المرزباني قال: أخبرني الصَّوِّيُّ قال: حدثني يموتُ بنُ المُرَّعِ قال:  
كان لَحْمَدُ بنِ الحِمْصِيِّ وَلَدٌ فَقَالَ لَهُ يَوْمًا: إِنِّي قَدِ قَلْتُ شِعْرًا، فَقَالَ الحِمْصِيُّ: أَنْشِدْنِيهِ يَا بَنِي لَيْلَا يَلْعَبُ  
بِكَ شَيْطَانُ الشَّعْرِ، قَالَ: فَإِنِ أَجَدْتُ أَتَهَبُ لِي جَارِيَةً أَوْ غُلَامًا؟ فَقَالَ: بَلِ أَجْمَعُهُمَا لَكَ، فَأَنْشَدَهُ:  
إِنَّ الدِّيَارَ بَمِيفًا ... هَيَّجْنَ حُرْنَا قَدِ عَفَا

أَبْكَيْتَنِي لِشَقَاوَتِي ... وَجَعَلَنَ رَأْسِي كَالْقَفَا

فَقَالَ الحِمْصِيُّ: وَاللَّهِ يَا بَنِي مَا تَسْتَحِقُّ بِهَذَا جَارِيَةً وَلَا غُلَامًا، وَلَكِنْ أَمُكُ مِنِّي طَالِقٌ ثَلَاثًا إِذَا وَلَدَتْ مِثْلَكَ.  
وَيَنْبَغِي لِلشَّاعِرِ أَنْ يَتَجَنَّبَ الْإِغَارَةَ وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي أَقْسَامِ السَّرِقَاتِ الْمَذْمُومَةِ ذِكْرَهَا وَهِيَ: ادْعَاءُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى  
مِنْ غَيْرِ أَنْ يُفَكَّرَ الشَّاعِرُ أَنْ يَتَعَنَّى، فَمَا ذَمَّ شَاعِرٌ فِي السَّرِقَاتِ بِأَقْبَحِ مِنْهَا، وَمِثَالُ ذَلِكَ قَالَ وَالْبَةُ بنُ  
الْحَبَابِ:

يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ أَسَدٍ ... نَمَتَ عَنِ لَيْلِي وَلَمْ أَكِدِ  
أَخَذَهُ أَبُو نُؤَاسٍ فَقَالَ:

يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ حَكَمٍ ... نَمَتَ عَنِ لَيْلِي وَلَمْ أَنَمِ  
وَقَوْلُ وَالْبَةِ أْبَلِغُ لِأَنَّهُ قَالَ: لَمْ أَكِدِ وَمَنْ لَمْ يَنَمْ قَدْ يَكَادُ يَنَامُ. وَمَعْظَمُ شِعْرِ أَبِي الطَّيِّبِ مِنْ هَذَا الْقِسْمِ، فَمِنْ  
ذَلِكَ قَوْلُهُ:

كَفَلَ الشَّاءُ لَهُ بَرْدَ حَيَاتِهِ ... لَمَّا انطَوَى فَكَأَنَّهُ مَنْشُورٌ  
أَخَذَهُ مِنْ أَبِي الْقَوَافِي الْأَسَدِيِّ حَيْثُ يَقُولُ:  
رَدَّتْ صِنَائِعُهُ عَلَيْهِ حَيَاتُهُ ... لَمَّا انطَوَى فَكَأَنَّهُ مَنْشُورٌ

وقال المتنبي:

وإني لَتُعْنِي عن الماء نُعْبَةً ... وأصبرُ عنه مثلما تُصْبِرُ الرُّبْدُ  
أخذه من مروان بن أبي حفصة حيث يقول:

وإني لَتُعْنِي عن الماء نُعْبَةً ... وأصبرُ عنه مثل صَبْرِ الأَبَاعِرِ  
وأرفعُ نفسي عن صِغارِ مطامِعٍ ... إذا أعوزتني مُرغباتُ الأَكابرِ  
وقال المتنبي:

ومن نكدِ الدنيا على الحرِّ أن يرى ... عدواً له ما مِنْ صدائِقِهِ بُدُّ  
أخذه من إسحاق الموصلي حيث يقول:

ومن نكدِ الدنيا على الحرِّ أن يرى ... عدواً فيهِوى ان يُقالَ خليلُ  
وقال المتنبي:

كأنَّ بناتِ نَعشٍ في دُجَها ... خرائدُ سافراتٍ في حِدادِ  
أخذه من أبي العباس الناشي حيث يقول:

كأنَّ مُحجَّلاتِ الدُّهْمِ فيه ... خرائدُ سافراتٍ في حِدادِ  
وقال المتنبي:

كالشمسِ في كبدِ السَّماءِ وضوؤها ... يَغشى البلادَ مَشارقاً ومَغارباً  
أخذه من ابن الرومي حيث يقول:

كالشمسِ في كبدِ السَّماءِ محلُّها ... وشعاعُها في سائرِ الآفاقِ  
ولو استقصينا أقسامَ سَرَقاتِهِ في هذا القِسْمِ خاصَّةً لأفردنا لها كتاباً.

ومن حقِّ الشاعر أنه إذا أخذ معنى قد سبق إليه أن يغيّر ألفاظه ويصنعه أجود من صنعة السابق إليه، أو يزيد فيه عليه حتى يستحقّه. فأما إذا أتى بلفظه ومعناه فذاك عيبٌ قبيحٌ عند الشعراء المقصرين فضلاً عن المجيدين.

وينبغي للشاعر أن يوفّق بين التشبيه والمُشَبَّه به ويراعي ذلك، بحيث لا يأتي الكلام متنافراً والمعاني متباعدة، فإنّه إذا أعم النظر في تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ووقف على حُسن تجاوره أو قُبْحه فلازم بينها، ونظم معانيها، ووصل الكلام فيها، كان مُجيداً، مع الشعراء المجيدين معدوداً. ألا ترى ابن هرمة وقوله:

وإني وتركي ندى الأكرمين ... وقدحني بكفي زناداً شحاحاً  
كتاركه بيضها بالعراء ... ومُلبسةً ييضُ أخرى جنّاحاً  
والفرزدق وقوله:

وإنك إذ تمجو تميماً وترتشي ... سرايل قيسٍ أو سُحوقِ العمائمِ  
كمُهريقِ ماءٍ بالفاةِ وغرّه ... سرابٌ أذاعتهُ رياحُ السَّمائمِ

قال ابن طباطبا العلوي: لو أنّ ثاني بيتي ابن هرمة عوض عن ثاني بيتي الفرزدق، وثاني بيتي الفرزدق عوض عن ثاني بيتي ابن هرمة لصح التشبيه لهما واتسقت معاني شعريهما، وإلا فالتشبيه في الشعرين غير واقع

موقعه وهذا نقد من ابن طباطبا في أعلى درجات الحسن والإدراك.  
وينبغي للشاعر ألا يصف ممدوحه في فن من فنون كرمه وعلمه وبراعته وشجاعته وشرف محتده وأصاله بيته  
وجميع ما يضمه شعره من مدحه، إلا ويطلب فيه الغاية ولا يقتنع فيه بدون النهاية. فإن الشاعر إذا أتى  
بمعنى قد قصر فيه لا يعذره ناقله ولا يقول: عمله على قدر ممدوحه. ولما أنشد كثير عبد الملك مدحته التي  
يقول فيها:

على ابن أبي العاصي دلاص حصينة ... أجاد المسدي سردها وأذالها  
يؤود ضعيف القوم حمل قيرها ... ويستضلع القرم الأشم احتمالها  
قال له عبد الملك: ألا قلت كما قال الأعشى لقيس بن معديكرب:  
وإذا تحيى كتيبة ملمومة ... خرساء يخشى الذائدون نهالها  
كنت المقدم غير لايس جنة ... بالسيف تضرب معلما أبطالها

فقال كثير: إنما وصف الأعشى صاحبه بالطيش والخرق والتغير، ووصفتك بالحزم وحصافة الرأي والعمل  
على الحياطة، فرضي عبد الملك بقوله. وقول الأعشى في صناعة الشعر وحكم الشجاعة والبسالة، أبلغ  
وأحسن. وكثير مقصر عن ذلك الوصف ولكنه عذر دفع به خصمه، وتمم به قصه. وهذا كعذره إلى محمد  
بن علي الباقر رحمه الله تعالى حين قال له يا كثير، أترغم أنك من شيعتنا ومحبينا وتمدح آل مروان؟ قال:  
يا مولاي إنما أسخر منهم وأستهزئ بهم، وأجعلهم حيات وعقارب وليوثا، والليوث كلاب، وأخذ  
أموالهم وملابسهم، كقولي لعبد العزيز بن مروان حين عتبت عليه فنفر بعض النفور:

وكتبت عتبت معتبة فليجت ... بي الغلواء عن سنن العتاب  
وما زالت رفاك تسأل ضغني ... وتخرج من مكانها ضبابي  
ويرقني لك الراقون حتى ... أجابك حية تحت الحجاب  
فجعلته راقيا للحيات. وقلت لعبد الملك:

ترى ابن أبي العاصي وقد صفت دونه ... ثمانون ألفا قد توافقت كمولها  
يقلب عيني حية بمحارة ... أضاف إليها الساريات سبيلها  
يصد ويغضي وهو ليث خفية ... إذا أمكنته عدوة لا يقبلها  
فلما سمع رحمه الله ذلك منه قال: يا كثير، من أراد الآخرة لم يرغب في حطام الدنيا. وهذا دليل على أنه لم  
يقبل عذره كثير، وهو كعذر ابن الرقيات في قوله:

وبعض القول يذهب في الرياح  
والحكاية معروفة.

وينبغي للشاعر أن يقرب مأخذه ولا يبعد ملتصقه ولا يقصد الإغراب فإنه إذا دق أغلق، وإذا استعمل  
وحشي اللغة نفرت عنه مسامع الرواة، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد في مثله، وأن تكون استعارته  
وتشبيهاته لائقة بما استعيرت له وشبهت به، غير نافية عن معانيها. فإن الشعر لا تروق نصارته وتشرق  
بمجته وترق حواشيه، وتورق أغصانه، ويعجب أقاحيه، إلا إذا كان بهذه الصفة، وإذا اتفق مع ذلك معنى

لطيفٌ أو حكمةٌ غريبةٌ أو أدبٌ حسنٌ، فهو زيادةٌ في بهاءِ الشعرِ، وإن لم يتفق فقد قام الشعرُ بنفسه واستغنى عما سواه. وإذا سلكَ الشاعرُ غيرَ هذا المذهبِ المذهبِ، وكان لسأته ولقظه مُقصرين عن إدراكِ هذا المطلبِ، حتى يعتمدَ على دقيقِ المعاني بالفاظٍ متعسفةٍ، ونسجٍ مُضطربٍ، وإن اتفقَ في ضمنِ ذلك شيءٌ من سليمِ الرصفِ، وقويمِ التظمِ، قلنا له: قد جنتَ بحكمةٍ، فإن شئتَ دعوناكَ حكيماً ولا ندعوكَ شاعراً ولا بليغاً؛ لأنك ذهبتَ غيرَ مذهبِ الشعراءِ البلغاءِ. وهذه طريقةٌ لم يذهبَ إليها من شكره العلماءُ من أهلِ هذه الصناعة.

وينبغي للشاعرِ ألا يُعاديَ أهلَ العلمِ ولا يتخذَهُم خصوماً فإنهم قادرونَ على أن يجعلوا إحسانَهُ إساءةً، وبلاغتَهُ عيباً، وفصاحتَهُ حصراً، ويحولوا معناهُ، وينتقصوا ما بناه. فكم من أديبٍ أسقطَ أهلُ العلمِ حُكْمَ أدبه، وأهملوا من ذكره ما تنبَلُ به. ولو عندناهم لأفردناهم كتاباً. والله عمارُ الكلبي حيث يقول:

ماذا لقيتُ من المستعربين ومن ... قياسِ نحوهم هذا الذي ابتدعوا  
إن قلتُ قافيةً بكراً يكونُ بها ... يئتُ خلافَ الذي قاسوه أو ذرعوا  
قالوا: لحتُ وهذا ليسَ مُنتصبياً ... وذاك خفضٌ وهذا ليسَ يرتفعُ  
وحرّضوا بينَ عبدِ الله من حُمقٍ ... وبينَ زيدٍ فطالَ الصُربُ والوجعُ  
كم بينَ قومٍ قد احتالوا لمطقتهم ... وبينَ قومٍ على إعرابهم طبعوا  
ما كلُّ قولِي مشروحاً لكم فخذوا ... ما تعرفونَ وما لم تعرفوا فدعوا  
لأن أرضي أرضٌ لا تُشبُّ بها ... نارُ الجوسِ ولا تُبني بها البيعُ  
ولعلَّ أهلَ العلمِ يأتونَ الى المعاني المُستحيلةِ والألفاظِ المُختلةِ فيقومونَ أودها بعللهم ويُصلحونَ فاسدها  
بمعرفةِهم، ومن هذه سبيله فما يحسنُ أن يُغضبَ ولا يُقشِبَ؛ فربَّ داهيةٍ وقعَ على من هو أدهى منه.  
وفي حديثِ يزيدِ الرقاشيِّ لأبي العباسِ السِّفاحِ رضيَ اللهُ عنه أعجوبةٌ إن كان ما أورده صحيحاً غيرَ  
موضوعٍ، قال: نزلَ رجلٌ من العربِ بامرأةٍ من بني عامرٍ فأكرمتْ مثواه وأحسنتْ قِراه، فلما أرادَ الرحيلَ  
أنشد:

لعمرك ما تبلى سراويلُ عامرٍ ... من اللؤمِ ما دامتَ عليها جلودُها  
فقاتلتِ المرأةُ لجارتيتها: قولي له: ألم نُحسنِ إليكَ وتفعلُ كذا وكذا، فهل رأيتَ منا تقصيراً؟ فقال: لا والله،  
قالت: فما حملكَ على إنشادِ البيتِ؟ قال: جرى على لساني فأبدأه. فخرجتُ إليه جاريةً من بعضِ الأخبيةِ  
فحدثتهُ حتى أنسَ واطمأنَّ ثم قالت: ممن أنتَ يا بنَ عمِّ؟ قال: من بني تميم، قالت: أفتعرفُ الذي يقول:  
تميمٌ بطرقِ اللؤمِ أهدى من القطا ... ولو سلكتُ سبيلَ المكارمِ شلتُ  
أرى الليلَ يجلوه النهارُ ولا أرى ... خلالَ المخازي عن تميمٍ تجلتُ  
تميمٌ كجَحشِ السَّودِ يرضعُ أمه ... ويُبئعُها رهزاً إذا هي زلتُ  
ولو أن برغوثاً يُزققُ مسكهُ ... إذا هملتَ منه تميمٌ وعلتُ  
ولو أن برغوثاً على ظهرِ نملةٍ ... يكرُّ على صقيِّ تميمٍ لوئتُ  
ولو جمعتُ علياً تميمٍ جموعها ... على ذرةٍ معقولةٍ لاستقلتُ

ولو أن أم العنكبوت بنت لهم ... مظلّتها يوم التدى لا ستظلت  
ذبحنا فسمينا فحلّ ذبيحنا ... وما ذبحت يوماً تميم فسمت  
فقال: لست من تميم، قالت: ما أقبح الكذب بأهله فممن أنت؟ قال: من بني ضبّة. فأنشدته هجاء فيهم،  
فقال: لا والله ما أنا من بني ضبّة. ولم يزل ينتقل من قبيلة إلى أخرى وهي تُنشله الهجاء فيهم حتى لم يترك  
قبيلة إلا وانتسب إليها وسمع هجوها حتى استقال وقد أحلته دار الهوان وقال: أنا رجل من بني فلان.  
والحكاية معروفة.

وقريب منها ما روي عن المفضل الضبي، قيل: ورد عليه أعرابي على ناقية رثة الأداة فسلم وحسر عن وجه  
كالدینار المشوف فقال له المفضل: ممن الفتى؟ فقال: طائي، فقال المفضل، وكان حليماً قلماً عجلاً: طيا يا  
كلمة فاستمرت فقال له الأعرابي بلسان ذلق السنان:  
إن على سائلنا أن نسأله ... والعبء لا يُعرف حتى تحمله  
نسبتنا فانتسب لنا. فقال المفضل: أحد بني ضبّة. فقال الأعرابي: وإني لأخاطب ضبياً مذ اليوم، والله لأحسبه  
ذنباً عجلاً لي عقوبته، أتعرف الذي يقول:

إذا لقيت رجلاً من ضبّة ... فبكه عمداً على سواء السبّة  
يا أخا بني ضبّة، كيف علمك بقومك؟ فقال المفضل: إني بهم لعالم، فقال: أي نساء قومك التي تقول:  
بخلوة ليلة وبياض يوم ... من ابن الوائلي شفاء قلبي  
بمخنية أوسده شمالي ... وأكفت باليمين ذبول إثي  
وألصق بالحشا مني حشاه ... ويسهل من قيادي كل صعب  
وألمس كفه جنماً تعالي ... على ركب كجثة ظهر قعب  
فيجمع منكبي إليه حتى ... ينال غدائري بعفير ثرب  
أقول له فداك أبي وأمي ... حيأتك من جميع الناس حسبي  
ثم قال: أي عماتك هذه يا أخا بني ضبّة؟ وأنشأ يقول:

عشرات اللسان لا تستقال ... وبأيدي الرجال تنخرى الرجال  
فجعل العقل للسان عقلاً ... فشراد اللسان داء عضال  
واستفد من فوارط الجهل وانظر ... كيف تردى بالألسن الجهال  
إن زم الكلام مبق على العر ... ض وبالقول يستتار المقال  
فلما سمع المفضل ذلك استحال لونه وشرح جبينه عرفاً. ثم انصرف الأعرابي، فقال المفضل: والله لقد ذكر  
شيئاً ما كنت أظن على وجه الأرض أحداً يعرفه، فالحمد لله إذ لم أسترده.  
قول المفضل: طيا يا كلمة فاستمرت، من بيت وهو:

وما طيب إلا نيطت جمعوا ... وقالوا طيا يا كلمة فاستمرت  
وقريب من هذه الحكاية ما رواه لي مؤدبي الشيخ أبو محمد بن أبي البركات بن البقال المقرئ المؤدب قراً  
عليه في سنة اثنتين وستمائة، قال: حدثنا أبو محمد سلمان بن مسعود بن الحسين القصاب بجامع المنصور



قال: حدّثنا أبو الغنائم محمد بن علي النرسي الكوفي قال: حدّثنا الشريف أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن العلوي الحسيني قال: حدّثنا أبو الحسن محمد بن زيد بن مسلم قال: حدّثنا علي بن عبد الله قال: حدّثنا حرّم بن قال: حدّثنا عبد الله قال: حدّثنا إسماعيل بن مهراّن قال: حدّثني أحمد بن أبي نصر عن أبان بن عثام عن أبان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس قال: حدّثني علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر، وكان رجلاً نسابةً، فسلم فردّوا السلام، فقال: من القوم؟ قالوا: من ربيعة، قال: أمن هاميها أو من لهازمها؟ قالوا: بل من هاميها العظمى، قال: فأبي هاميها العظمى؟ قالوا: ذهل الأكبر، قال: أفيمنكم عوف الذي كان يقال: لا حرّ بوادي عوف؟ قالوا: لا، قال أفيمنكم بسطام أبو اللواء ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا، قال: أفيمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسألها نفسها؟ قالوا: لا، قال: أفيمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة؟ قالوا: لا، قال: أفأنتم أحوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا، قال: أفأنتم أصهار الملوك من لحم؟ قالوا: لا، قال: فلستم دهلًا الأكبر، أنتم ذهل الأصغر فقام إليه غلام من بني شيبان يقال له دغفل حين بقل فقال: إن على سائلنا أن نسأله ... والعبء لا يعرف حتى تحمله

يا هذا، إنك سألتنا فلم نكتفك شيئاً فممن الرجل؟ قال: من فريش، فقال: يخ بخ، أهل الشرف والرياسة، فمن أي فريش أنت؟ قال من بن تيم بن مرة، قال: أمكت والله الرامي من سواء الثغرة، أفيمنكم قضي بن كلاب الذي به جمع الله القبائل من فهر فكان يدعى مجمعا؟ قال: لا، قال: أفيمنكم هاشم ... الذي هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مستنون عجاف

قال: لا، قال: فزمنكم شيبه الحمد مطعم طير السماء الذي كأن وجهه قمر السماء يضيء ليل الظلام الداجي؟ قال: لا، قال: أفيمن المفيضين بالناس أنت؟ قال: لا، قال: أفيمن أهل التدوة أنت؟ قال: لا، قال: أفيمن أهل الحجابة أنت؟ قال: لا، قال: أفيمن أهل السقاية أنت؟ قال: لا، قال: واجتذب أبو بكر رضي الله عنه زمام ناقته ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دغفل: صادف درء السيل درءاً يدفعه ... يهضمه بدفعه أو يصدعه

أما والله لو ثبت لأخبرتك أنك من زمعات فريش، أو ما أنا بدغفل. فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال علي: فقلت يا أبا بكر، لقد وقعت من الأعراي على باقعة، قال: أجل! إن فوق كل طامة طامة والبلاء موكل بالمنطق. وتأم الحكاية معروف. والأمر كما قال أبو بكر رضي الله عنه: إن فوق كل طامة طامة. ومن مثل ذلك، شك الكميّ في قوله:

أنصف امرئ من نصف حيّ يسبني ... لعمرى لقد لاقيت خطباً من الخطب  
هنيئاً لكلب أن كلباً تسبني ... وإني لم أزد جواباً على كلب  
لقد بلغت كلب بسّي خطوة ... كفتها قديماً الفصائح والوصب

يعني أن أهل الدناة والضعة لا يقارضون بالقريض مع القدرة والسعة، والحلم أولى ما استعمله أولو الخزم والعفو لا يكون من العالم إلا في اللباب الصقو  
شيم بما اختص الوزير محمد ... وسما بما قلراً على الوزراء

فَضَلَ الصُّدُورَ صَبَاحَةً وَفَصَاحَةً ... وَسَمَاحَةً رَجَحَتْ عَلَى الْكُرَمَاءِ

وَتَبَوَّأَ الْعُلِيَاءَ طِفْلاً نَاشِئاً ... حَتَّى عَلَا فِيهَا عَلَى الْجَوَّزَاءِ

فَالكُرْمُ مِنْ طَرَائِقِهِ، وَالشَّرْفُ مِنْ خَلَائِقِهِ، وَالْحِلْمُ مِنْ طِبَائِعِهِ، وَنَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَدْبَاءِ مِنْ صَنَائِعِهِ؛ أَيَادِيهِ إِلَيْنَا  
بَادِيَةً، وَغَوَادِيهِ عَلَيْنَا رَائِحَةً وَغَادِيَةً، وَرَحًا آمَالِنَا لَا تَدُورُ إِلَّا عَلَى قُطْبِهِ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ  
أَدْبِهِ، كَمَا اقْتَبَسْتُ أَدَباً مِنْ أَنْوَارِ عُلُومِهِ، وَالتَّمَسْتُ أَرْبَاباً مِنْ نَوَارِ رِيَاضِ حُلُومِهِ، وَاقْتَسَبْتُ عُرْفاً مِنْ أَرْجِ  
ذِكْرِهِ، وَكَسَبْتُ عُرْفاً مِنْ لُحَجِّ بَحْرِهِ. وَإِنِّي لَمَّا لَجَّتُ إِلَى ظِلِّهِ الْوَارِفِ الظَّلِيلِ، وَاعْتَصَمْتُ بِطَوْدِ عِزِّهِ مِنْ  
الْحَادِثِ الصَّعْبِ الْجَلِيلِ، وَعُدِدْتُ مِنْ زُمْرَةِ غَاشِيَتِهِ، وَسَعِدْتُ بِالانْتِمَاءِ إِلَى جُمْلَةِ حَاشِيَتِهِ، طَرَفَ عَنِّي طَرَفَ  
الْحَوَادِثِ، وَكَفَّ عَنِّي كَفَّ الْكَوَارِثِ، وَمَلَأَ قَلْبِي أَمْنًا، فَلَمْ أَقْرَعْ بَعْدَ نَظَرِهِ إِلَيَّ سِتًّا، فَشُكِّرُ صَنَائِعَهُ لَدَيَّ  
وَاجِبٌ، وَسَابِغٌ مَدَارِعِهِ عَلَيَّ مِنَ التَّوَابِ حَاجِبٌ:

كَمْ مَنَّةٍ وَصَنِيعَةٍ ... عِنْدِي لِمَوْلَانَا الْوَزِيرِ

شُكْرِي لَهَا شُكْرُ الرَّيَا ... ضِ الْجُورِ لِلْمُزْنِ الْمَطِيرِ

لَا زَالَتْ دَوْلَتُهُ مَخْلَدَةً، وَنِعْمَتُهُ مُؤَبَّدَةً، وَرَفْعَتُهُ مُمَهَّدَةً، وَكَلِمَتُهُ مَسَدَّدَةً، وَسُلْطَانُهُ مُطَاعًا، وَزِمَانُهُ نَفْعًا وَانْتِفَاعًا،  
فَلَقَدْ أَحْيَا مِيَّةَ الْأَدَبِ بِأَدَابِهِ، وَجَعَلَ الْإِحْسَانَ مِنْ دَيْدَنِهِ وَدَابِهِ:

فَكُلُّ مَا عِنْدِي مِنْ عِنْدِهِ ... الْعِلْمُ وَالْإِنْعَامُ وَالْجَاهُ

أَبِي عَلِيٍّ الدَّهْرُ فَاضْطَرُّهُ ... إِلَى مُرَاعَاتِي وَأَلْجَاهُ

وَحَيْثُ انْتَهَى بِنَا الْكَلَامِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ وَأَتَيْنَا فِيهَا اشْتِرَاطَهُ بِالْكَفَايَةِ وَالزِّيَادَةَ عَلَى الْكَفَايَةِ، فَقَدْ وَجَبَ أَنْ  
نُحْتِمَ الْكِتَابَ، وَنَقْصُرَ الْإِسْهَابَ، وَاللَّهُ الْمَوْقِفُ لِلصَّوَابِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.